موسوعة
التاريخ الإسلامي

الشيخ
محمد هادي اليوسفي الغروي

الجزء الثامن

أضواء الحوزة
لبنان

موسوعة التاريخ الإسلامي

موسوعة التاريخ الإسلامي

الجزء الثامن

تأليف

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

أضواء الحوزة - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

فقتل، فتحرك ابنه صالح بن وصيف واجتمع إليه أصحاب أبيه فصار في منزلته، وتفرّد بُغا بالتدبير، وضعف أمر المعتزّ في سنة (٢٥٣هـ)[١].

وفي (٢٥٤هـ) وقع باجور ومفلح بأهل قم، فقتلا منهم مقتلة عظيمة في شهر ربيع الأول[٢].

الهادي يزوج ابنه الحسن عليهما السلام:

قال الشيخ التقيّ الشوشتري في «رسالة في تواريخ النبيّ والآل» في فصل أزواجهم: لم نقف على ذكر زوجة (حرة) للأئمة من الكاظم إلى العسكري عليهم السلام[٣] إلّا أنّه في فصل أُمهاتهم نقل عن الشهيد قولاً بأن أُم الحجة زوج العسكري عليه السلام هي مريم بنت زيد العلوي[٤] فهي أُخت الحسن بن زيد العلوي الحسني الداعي الزيدي الذي مرّ خبر خروجه بالديلم وطبرستان وجرجان وامتدت الدعوة إليه إلى الري سنة (٢٥٠هـ) وأقدم مصدر لهذا القول هو الحسين بن حمدان الخصيبي[٥] الجنبلايي الواسطي الذي قال فيه النجاشي: فاسد المذهب وكتبه تخليط[٦].

ولذا قال الشيخ التقيّ الشوشتري: المشهور أنها أُم ولد، وذكر نقل الشهيد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠١، ٥٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٩: ٣٨١ كذا مجملاً.

(٣) الرسالة الملحقة بقاموس الرجال ١٢: ٧٥.

(٤) قاموس الرجال ٢: ٦١، عن الدروس ٢: ١٦، وهو عن الهداية للخصيبي: ٣٢٨ أحد الأقوال.

(٥) الهداية الكبرى: ٣٢٨.

(٦) رجال النجاشي: ٦٧ برقم ١٥٩.

وهو عن الخصيبي وقال : يردّه أخبار كثيرة في كون الحجة عليه السلام ابن أمة وكان يعلمه حتى بنو مروان. وذكر نماذج منها[١].

فإذا تجاوزنا هذا النقل ـ وليس خبراً ولا قولاً مختاراً ـ بقيت بأيدينا ثلاثة أخبار تتفق في أنها كانت جارية في بيت أُخت الهادي عليه السلام (حكيمة بنت الجواد عليه السلام) فزوّجته الحسن العسكري بأمر أبيه الهادي عليهما السلام، ويبدو لي أنّ ذلك كان بعد وفاة محمد بن الهادي عليه السلام في سنة (٢٥٢هـ) كما مرّ، في الفترة بينها وبين وفاة الهادي عليه السلام في (٢٥٤هـ) كما يأتي.

وأقدم ما بأيدينا من هذه الأخبار ما جاء في «إثبات الوصية» قال : روى لنا الثقات من مشايخنا : أنّ بعض أخوات أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام كانت لها جارية تسمى نرجس ربّتها في بيتها حتى كبرت، وجاء يوماً الحسن بن علي العسكري لزيارة عمّته فكأنما رأت عمّته منه التفاتة إلى نرجس فسألته : أراك تنظر إليها؟ فقال عليه السلام : إني إنما نظرت إليها متعجباً! فإنّ المولود الكريم على الله جلّ وعلا سيكون منها! ثمّ طلب منها أن تستأذن أباه لتدفعها إليه. فاستأذنته فأمرها بذلك ففعلته[٢] مما يكشف عن كون أمرها إلى أبي الحسن عليه السلام.

والظاهر أنه إلى هذا أشار الحسين بن عبد الوهاب إذ قال : قرأت في كتب كثيرة بروايات صحيحة كثيرة : أنّه كانت لحكيمة بنت أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام جارية في بيتها تسمى نرجس ربّتها حتّى كبرت، فدخل أبومحمد الحسن ونظر إليها، فسألته عمّته حكيمة : يا سيدي! أراك تنظر إليها! فقال عليه السلام : إني نظرت إليها متعجباً..[٣].

---

(١) قاموس الرجال ١٢ : ٦١ و ٦٢.

(٢) إثبات الوصية : ٢١٨.

(٣) عيون المعجزات : ١٣٨.

وهو ما أسنده الصدوق إلى محمد بن عبد الله الطهوي[١] عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام قالت: كانت لي جارية تسمى نرجس، فزارني ابن أخي (الحسن) فأقبل ينظر إليها، فقلت له: يا سيدي! لعلّك هويتها فأُرسلها إليك؟ فقال لي: يا عمّة إني أتعجب منها! فقلت له: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: «سيخرج منها الولد الكريم على الله عزّ وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» فقلت: فأُرسلها إليك يا سيدي؟! فقال: استأذني في ذلك أبي.

قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن فسلّمت وجلست، فابتدأني قال: يا حكيمة! ابعثي نرجس إلى أبي محمد! يا مباركة، إن الله تبارك وتعالى أحبّ أن يُشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً.

قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيّنتها وجمعت بينهما في منزلي أياماً، ثمّ وجّهتها معه إلى (دار) والده. ثمّ مضى أبو الحسن وجلس أبو محمد مكان والده عليهما السلام[٢].

أخرج الصدوق هذا مسنداً في الباب (٤٢) في ميلاد القائم عليه السلام، وفي الباب (٤١) قبله أخرج خبراً مسنداً عن النوفلي عن محمد بحر الشيباني عن بشر بن سليمان النخاس من بني أبي أيوب الأنصاري من موالي الهادي عليه السلام وجاره بسامرّاء، أنه أنفذه في ابتياع أمة رومية وصفها له، من بغداد وقال: معبر الفرات! من عمر بن يزيد النخاس، وأنه تسلّم منه الجارية مستبشرة بل ضاحكة! وقالت: إنها مليكة بنت يشوعا بن قيصر الروم(؟) وأُمها تُنسب إلى وصيّ المسيح شمعون (الصفا) وأنها كانت بعد الثالثة عشر من عمرها، وأنها التحقت متنكّرة بزيّ الخدم

---

(١) ذكره جامع الرواة ٢: ١٤٢ عن الرجال الكبير لميرزا محمد، في أصحاب الرضا عليه السلام.

(٢) كمال الدين: ٤٢٦، ٤٢٧، الحديث ٢، الباب ٤٢ ميلاد القائم عليه السلام.

بالجيش الرومي المسرّب لقتال المسلمين مع وصائف أُخريات، فوقعن في أسر طلائع المسلمين يوم كذا(؟) وأنها هي تسمّت نرجس من أسماء الجواري(؟!) وأنها كانت قد تعلّمت العربية من امرأة ترجمان لجدها القيصر(؟) ومع ذلك كتب الهادي عليه السلام لها كتاباً بلغة رومية وخط رومي وطبع عليها بخاتمه وجعله كتاباً ملصقاً. وأنها حدّثت كلّ هذا لشاريها بشر بن سليمان الأيوبي الأنصاري السامرائي.

وأنّه انكفأ بها إلى سامرّاء فأدخلها على أبي الحسن عليه السلام فبشّرها بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً! ثمّ دعا أُخته حكيمة فقال لها: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن؛ فإنها (ستكون) زوجة أبي محمد وأُم القائم عليه السلام.

وأن بشراً حدّث بهذا سنة (٢٨٦هـ) في مشهد الكاظم والجواد عليهما السلام وهو شيخ قد انحنى صلبه وتقوس منكباه وثفنت جبهته وراحتاه[1] فذلك بعد الحادثة بأكثر من ثلاثين عاماً.

أخرج الصدوق هذين الخبرين في بابين متواليين ولم يعلق عليهما ممّا ظاهره جمعهما وعدم التنافي بينها.

وعلّق المحقق الغفاري على الأول قال: سيأتي ما ينافيه في الجملة. وفي آخر الثاني قال: قيل: لا منافاة بين هذا الخبر وبين الذي سبق، ففي السابق: قال عليه السلام: «يا بنت رسول الله أخرجيها وعلّميها الفرائض والسنن» وعليه فهي كانت عند حكيمة فأُضيفت إليها حتى اشتهرت بجارية حكيمة، ثمّ جرى بعد ذلك ما جاء في هذا الخبر الثاني[2].

---

(١) كمال الدين: ٤١٧ ـ ٤٢٣، الحديث ١، الباب ٤١ ما روى في نرجس.

(٢) كمال الدين: ٤٢٣ هـ ٥ و ٤٢٧ هـ ١.

إلّا أنّ الشيخ التقي الشوشتري استظهر التنافي وأصحية الخبر السابق، فإنّ بنت يشوعا بن قيصر الروم لا تكون سوداء، والنعماني أسند عن الكناسي عن الباقر عليه السلام أنها «أمة سوداء» وروايته أخباراً أُخر بمعناه، وأنه تبنّاها[1] وذكر اختلاف الأخبار في اسمها ومصادرها[2]. وهي محمولة على استحباب تغيير أسماء الجواري السراري المولّدات باختلاف أحوالهن، كما مرّ في أمثالها.

وفاة الإمام الهادي عليه السلام:

في (٢٥) جمادى الثانية عام (٢٥٤هـ) مضى أبو الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام وله أربعون عاماً[3] وروي أنّه عليه السلام قبض في شهر رجب بسامرّاء، ودُفن في داره، رواه الكليني[4] ونقله المفيد وزاد:

خلف أبا محمد الحسن الإمام، والحسين، ومحمداً، وجعفر، وابنته عائشة[5].

ونقله الطبرسي ثمّ ذكر الخلفاء المعاصرين حتى المعتزّ بن المتوكل ثماني سنين وأشهراً، وفي آخر ملكه استشهد ودفن في داره عليه السلام[6] وسمّى الأبناء والبنت سمّاها عالية[7].

---

(١) قاموس الرجال ١٢: ٦٣، ٦٤ عن الغيبة للنعماني: ١٠٩.

(٢) قاموس الرجال ٢: ٦٢ من رسالة التواريخ.

(٣) تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ٨٦.

(٤) أُصول الكافي: ٤٩٧، ٤٩٨.

(٥) الإرشاد ٢: ٣١١، ٣١٣.

(٦) إعلام الورى ٢: ١٠٩، ١١٠.

(٧) إعلام الورى ٢: ١٢٧.

ونقل الحلبي عن ابن عياش : قبض بسامرّاء في الثالث من رجب نصف النهار. وليس عنده غير ابنه أبي محمد الحسن. فلعلّه تأكّد من وفاة الحسين ومحمد في حياة أبيهما الهادي عليه السلام، وغفل عن جعفر فإنه كان حياً لا خلاف فيه. ثمّ نقل عن ابن بابويه أنّه استنسهد مسموماً وسمّى الأبناء والبنت سمّاها عُليّة[١] والتاريخ الأخير عن ابن عياش هو المعمول به اليوم.

واليعقوبي كأنما تأكّد من أنّه عليه السلام لم يبقَ له عند وفاته من ولده الذكور غير اثنين : الحسن وجعفر. واختار وفاته في (٢٧) جمادى الآخرة وزاد : بعث المعتزّ بأخيه أحمد بن المتوكل (الموفق) فصلّى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، فلمّا كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجّتهم فرُد النعش إلى داره فدُفن فيها، وسنّه أربعون سنة[٢].

والطبري قال : في (٢٧) جمادى الآخرة (مات) علي بن محمد بن الرضا عليه السلام وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إليه، ودُفن في داره[٣].

والمسعودي قال : في (٢٧) جمادى الآخرة كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا في خلافة المعتزّ بالله سنة (٢٥٤هـ) وهو ابن أربعين سنة، وصلّى عليه أحمد بن المتوكل في شارع أبي أحمد، وكان يوم الاثنين فسُمعت جارية تقول في جنازته : ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً[٤]! ثمّ ذكر ما مرّ

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٢٣، وقال : في آخر أمر المعتمد العباسي. والصحيح : المعتز.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠٣، ولبحث غسل المعصوم والصلاة عليه يراجع جدّه الرضا عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري ٩ : ٣٨١.

(٤) مروج الذهب ٤ : ٨٤ وقديم يوم الاثنين وفاة خاتم المرسلين.

من خبر يحيى بن هرثمة عن إشخاصه للإمام إلى سامرّاء، وقال: وقيل: إنه مات عليه السلام مسموماً[١].

فالمسعودي هنا ذكر خبر الجارية المنادية في جنازة الهادي عليه السلام بلا ذكر لموقف العسكري عليه السلام من ذلك، وفي كتاب منسوب إليه أو إلى سميّه ومعاصره، حدّث عن جماعة حكوا أنّه كان قد اجتمع في جنازته جلّة بني هاشم من العباسيين والطالبيين وخلق من شيعتهم، فكانوا في حيرة المصيبة إذ خرج من داخل الدار (الدخلاني) خادم، ثمّ فُتح باب من صدر الرواق وخرج خادم أسود وخرج بعده أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس بثوب مشقوق وعليه مبطَّنة بيضاء وجهه كوجه أبيه لا يخطئ منه شيئاً ما كان يخرم من أبي الحسن شيئاً حتى كأنهم لم يفقدوا منه إلّا شخصه!

وكان في الدار من العباسيين أولاد المتوكل ومنهم ولاة عهده، ومنهم أبو أحمد الموفّق[٢] فلم يبقَ أحد إلّا قام على رجله وأمسكوا عن الأحاديث والكلام ووثب إليه أبو أحمد الموفق فقصده أبو محمد العسكري فعانقه ثمّ قال له: مرحباً بابن العم! وجلس بين بابي الرواق، والناس بين يديه ساكتين لا نسمع إلّا السعال والعطاس!

وخرجت جارية تندب أبا الحسن عليه السلام فقال أبو محمد: ما هاهنا من يكفي مؤونة هذه الجاهلة! فبادر إليها بعض شيعته فأعادها إلى داخل الدار (الدخلاني).

---

(١) مروج الذهب ٤: ٨٦.

(٢) في الكتاب: أبو محمد، وبقرينة لقب الموفق فهو أبو أحمد كما في سائر الأخبار والتواريخ.

وكان أبو محمد عليه السلام قد صلّى على أبيه قبل أن يُخرج إلى الناس، وخرج خادم إلى أبي محمد عليه السلام فوقف بحذائه، فنهض واُخرجت الجنازة، فخرج يمشي حتى أُخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بُغا، فصلّى عليها المعتمِد (كذا ولعلّه الموفّق) ثمّ ردّ إلى بيت من بيوت داره فاشتغلوا بدفنه.

وبعد الصلاة على الجنازة اشتدّ الحرّ من ضغطة الناس على أبي محمد عليه السلام في طريق منصرفه من الشارع، وكان في طريقه دكان بقال مرشوش، فلمّا رآه سلّم عليه واستأذنه في الجلوس فأذن له وجلس ووقف الناس حوله ونحن فيهم، إذ أتاه شابّ حسن الوجه نظيف الثياب على بغلة شهباء مسرّجة، يقود له برذوناً أبيض، فنزل وسأله أن يركب، فركب إلى الدار. ثمّ خرج إلى الناس في عشية ذلك اليوم[1] الثالث من رجب عام (٢٥٤هـ).

ونختم الفصل بكلام ابن الوردي قال: في (٢٥) جمادى الآخرة توفي في سامرّاء علي بن الجواد، الملقّب بالنقي الزكي الهادي، أحد الأئمة الاثني عشر برأي «الإمامية» ثمّ أورد خبر السعي به إلى المتوكل وحمله إليه ليلاً وهو على الشراب والخمر، وطلبه الشعر من الإمام عليه السلام، ثمّ قال: وقيل له العسكري أيضاً لسكناه بسامرّاء فهي عسكر لسكنى العسكر بها. وهو والد الحسن العسكري وهو والد محمد المنتظر وهو ثاني عشرهم، ويلّقب بالقائم والمهدي والحجة[2] عجلّ الله تعالى فرجه.

---

(١) اثبات الوصية: ٢٣٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٣.

عهد

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أوائل عهد العسكري عليه السلام:

مرّ خبر مولد الحسن العسكري عليه السلام بالرواية عنه قال: كان مولدي بالمدينة في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومئتين[1] من مولّدة في العرب اسمها سليل، أو أسماء أو سمانة أو سوسن[2] ولعلّها كلّها، للسنّة في الجواري السراري والمولّدات. وعليه فعمره لإمامته بعد أبيه (٢٣) عاماً.

ولما مضى أبو الحسن الهادي عليه السلام اشتغل أبو محمد ابنه (الأكبر) بغسله وشأنه، وأسرع بعض الخدم إلى أشياء من ثياب ودراهم وغيرها فاحتملوها!

فلمّا فرغ أبو محمد من شأنه صار إلى مجلسه فجلس فيه، ثمّ دعا أُولئك الخدم فقال لهم:

إن صدقتموني عمّا أُحدّثكم به وأسألكم عنه فأنتم آمنون من عقوبتي!

---

(١) دلائل الإمامة للطبري: ٢٢٣.

(٢) تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ١٢٤، وأُصول الكافي ١: ٥٠٣.

وإن أصررتم على الجحود دللت على كل ما أخذه كل واحد منكم، وعاقبتكم عند ذلك بما تستحقّونه مني!

ثمّ سأل كل واحد منهم من ذكر أو أُنثى عمّا أخذه: أنت يا فلان أو يا فلانة أخذت كذا، أكذلك هو؟ فيقول أو تقول: نعم يابن رسول الله، فيرده أو ترده[١].

واختصره الاربلي عن «دلائل الإمامة» لعبد الله بن جعفر الحميري القمي بأنّه لمّا مضى أبو الحسن عليه السلام انتُهبت خزانته، فأُخبر بذلك أبو محمد العسكري عليه السلام؛ فأمر بغلق الباب ثمّ دعا بحرمه وعياله! فجعل يخبر كل واحد منهم بما أخذ ويقول له: ردّ كذا، فردّوا حتى ما فُقد شيء[٢].

تأكّد الوكيل من خطّ الإمام عليه السلام:

كان أحمد بن إسحاق الرازي النيشابوري من وكلاء الهادي عليه السلام بنيشابور[٣] فلمّا بلغه نعي الهادي عليه السلام كأنّما أراد تجديد وكالته والتأكّد من رسم خط الإمام الحاضر المعاصر، ولذا سافر إلى سامراء وتوصّل إلى العسكري عليه السلام قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطّه فأعرفه إذا ورد (عليّ) فدعا بالدواة وكتب، فقلت في نفسي: أستوهبه القلم. فلمّا فرغ أخذ يمسح القلم ثمّ قال: هاك يا أحمد وناولنيه!

---

(١) إثبات الوصية: ٢٣٩ مسنداً، وفي الخرائج والجرائح مرسلاً ١: ٤٢٠، الباب ١٢، الحديث ١.

(٢) كشف الغمة ٤: ٨٢ عن دلائل الإمامة للحميري مختصراً نقلاً بالمعنى بزيادة الحرم والعيال؟!

(٣) انظر قاموس الرجال ١: ٣٩١ برقم ٢٨٩.

فقلت له : جُعلت فداك، أردت أن أسأل أباك فلم يُقضَ لي ذلك، قال : وما هو؟ قلت : يا سيدي؛ روي لنا عن آبائك : أن نوم الأنبياء على قفاهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم الشياطين على وجوههم، والمنافقين على شمائلهم؟! قال : كذلك هو، قلت : يا سيدي، فأنا أجهد أن أنام على يميني فلا يأخذني النوم عليها!

فقال لي : أُدن مني، فدنوت منه، فأخرج يده من ثيابه وأدخلها في ثيابي ومسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرّات.

فمنذ فعل بي ذلك ما يأخذني نوم على يساري وما أقدر أن أنام عليها[1].

بقايا أحداث عام (٢٥٤هـ):

في شهر رمضان عام (٢٥٤هـ) صيّر المعتزّ بايكباك التركي معاونه لأعمال مصر، فولّاها بايكباك إلى أحمد بن طولون التركي، فترك سامرّاء إلى الفسطاط.

وحيث آثر المعتزّ بايكباك وتنكّر لبُغا الصغير بلغه أن بُغا يحاول البغي عليه فأخذ المعتزّ يدبّر لقتله، وبلغ ذلك إلى بُغا فهرب إلى ناحية الموصل وهو يقدّر أن أكثر الأتراك لا يتركونه بل سيلتحقون به! فلمّا لم يلحقه أحد منهم عاد راجعاً في زورق فعرفه أصحاب مسلحة الجسر (المخفر) وكاتبوا إلى المعتزّ بخبره فأمر بقتله فقتلوه، ونفى ابنه فارس إلى المغرب. ونُهبت دورهم[2].

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٥١٣، باب مولد العسكري عليه السلام، الحديث ٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠٣.

وكان بُغا الصغير قد عزم على أن ينحدر إلى سامرّاء سرّاً فيصل إليها ليلاً، وكان يحمل معه أموالاً يريد أن يصرف بها الأتراك عن المعتزّ عليه. وكان المعتزّ في حياة بُغا يلازم سلاحه لا يخلعه عن نفسه ليلاً ولا نهاراً خوفاً منه ويقول: لا أزال على هذه الحال حتى أعلم هل رأسي لبُغا أو رأسه لي! فإني لأخاف أن ينزل عليَّ بُغا من السماء أو يخرج عليَّ من الأرض! فلمّا حصل على رأسه أحدره إلى بغداد فنُصب على الجسر بها[١] وكان ذلك في آخر ذي القعدة سنة (٢٥٤هـ) وبقتل بُغا غلب على المعتزّ صالح بن وصيف الأحمر[٢].

وخاف المعتزّ من محمد بن هارون الواثق الملقّب بالمهتدي، فاعتقله وحمله إلى بغداد سجيناً[٣].

بل وخاف المعتزّ من وثوب الأتراك عليه فلكي لا يختلس الأتراك أحد العباسيين من أولاد الخلفاء ومن غيرهم، أشخص من كان منهم بسامرّاء إلى بغداد[٤].

المصريون وأحمد بن طولون:

قال اليعقوبي: كان بمصر أبو صحبة شقير الخادم يتولّى ضياعاً في أقطار مصر والبريد وما يستعمل للسلطان من المتاع، وكان عامل الخراج بها أحمد بن المدبّر، فلمّا قدمها أحمد بن طولون أفسد أبو صحبة بصحبته ما بينهما

---

(١) مروج الذهب ٤: ٩١، ٩٢.

(٢) التنبيه والإشراف: ٣١٦.

(٣) مروج الذهب ٤: ٩٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٣.

وكتب كل منهما في صاحبه إلى بايكباك الغالب على أمر الخليفة المعتزّ، فنصر بايكباكُ التركي أحمدَ بن طولون التركيَّ وكتب بعزل ابن المدبّر عن خراج مصر وتوليته لمصري يُدعى محمد بن هلال، فتولّى هذا الخراج، وقبض ابن طولون على ابن المدبّر فقيّده وألبسه جبّة صوف وألزم بإيقافه في الشمس ثلاثة أشهر[١]!

وكان ابن طولون عالي الهمّة يستقل بعقول الأتراك وديانتهم، وهم يثقون به في العظائم، وتشاغل هو بالخير والصلاح حتى تمكّنت محبّته في القلوب فاستولى على جميع مدن مصر والشام[٢].

أمر يعقوب بن الليث الصفّار:

مرّ صدر خبر علي بن الحسين بن قريش وأنّه تغلّب بجيشه على شيراز بفارس، قال اليعقوبي: ثمّ قوى أمر يعقوب بن الليث الصفّاري فسار إلى فارس فهزم جيش ابن قريش وأسره، وتغلّب هو على فارس[٣].

وقال ابن الوردي: إنّ يعقوب بن الليث الصفّار استولى على كرمان، ثمّ على فارس ودخل شيراز ونادى بالأمان، ثمّ كتب إلى الخليفة بطاعته مع هدايا جليلة منها مئة فارة مسك وعشرة بزاة بيض[٤]!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠٣.

(٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبري : ١٤٧ وله آثار خالدة من عمرانه بالمسجد النبوي الشريف منها المنبر الحجري المعروف ولا زال قائماً حتى اليوم.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠٤.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٢٤.

موت الجاحظ البصري:

قال ابن الوردي : في المحرم من عام (٢٥٥هـ) توفي بالبصرة أبو عمران عمرو بن بحر الجاحظ العينين. كثير التصانيف، كثير الهزل، نادر النادرة، نادَم الخلفاء وأخذ العلم عن النظّام البصري المتكلم، وكانت له علاقة بمحمد بن عبد الملك الزيات فلمّا قتل المتوكلُ الزيات أُخذ الجاحظ وقيّد ثمّ أُطلق. وفي مرضه دخل عليه المبرِّد البصري فسأله : كيف أنت؟ قال : كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نُشر ما أحسّ به! ونصفه الآخر منقرس فلو طار به الذباب آلمه، وقد جاوز التسعين؟! ثمّ أنشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيامَ الشباب

لقد كذبتك نفسك، ليس ثوب ... دَريس كالجديد من الثياب

وفي مرضه هذا وقد صفّ عند رأسه مجلداته فوقعت عليه فقتلته[1]!

وكان يميل إلى العثمانية، ومن تأليفاته رسالة «العثمانية» التي نقضها عدّة، منهم الشيخ أبو جعفر الاسكافي المعتزلي البغدادي، والمفيد البغدادي، وابن طاووس الحلّي، وله «كتاب الحيوان» وغيره[2].

ابن وصيف يُذلّ المعتزّ!:

قال اليعقوبي : كان أحمد بن إسرائيل الكاتب وزير المعتزّ، وعلي بن الحسن بن مخلّد صاحب ديوان الضياع، ومعه علي بن نوح وعيسى بن إبراهيم من أعوان بايكباك التركي الغالب على المعتزّ، فوثب عليهم صالح بن وصيف

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٢٥.

(٢) هدية الأحباب : ١٣١.

التركي فحبسهم وعذّبهم بأنواع العذاب لأخذ أموالهم وضياعهم، وهكذا تغلّب على الأمر[١] وبدأ المعتزّ يدبّر عليه وبلغ ذلك إلى صالح بن وصيف[٢].

فدبّر صالح بن وصيف مع قوّاد الأتراك على المعتزّ، ولمّا رأى الأتراك إقدام المعتزّ على قتل رؤسائهم وإعمال الحيلة في إفنائهم، وأنّه قد اصطنع الفراغنة والمغاربة لذلك دونهم، اتفقوا فيما بينهم وعلى المصير إليه بأجمعهم في (٢٦) رجب سنة (٢٥٤هـ) فصاروا إليه بأجمعهم وطالبوه بأرزاقهم المعوّقة فأنكر أن يكون قِبله شيء من المال، وجعلوا يقرعونه بذنوبه إليهم ويوبّخونه على أفعاله بهم[٣] وأخذ يماطلهم في أرزاقهم وحقوقهم[٤] ونزلوا معه إلى (خمسين ألف دينار) فلم يكن عنده[٥].

وشط السيوطي بعيداً فقال: اتّفق جماعة من كبار الأتراك وأتوه وقالوا له: يا أمير المؤمنين! أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف (كذا)! ولم يكن بقي شيء في بيوت الأموال. وكانت في حوزة أُمه أموال ثِقال فطلب منها مالاً لينفقه فيهم، فشحّت وأبت!

فاجتمع الأتراك إلى صالح بن وصيف ومحمد بن بُغا فتوافقوا على خلع المعتزّ، فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة فلم يخرج إليهم[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٤.

(٢) التنبيه والإشراف: ٣١٦.

(٣) مروج الذهب ٤: ٩٢.

(٤) مختصر تاريخ الدول: ١٤٧.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٤.

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢١.

فلمّا حُصر المعتزّ في أيديهم، بعثوا إلى بغداد من يأتيهم بمحمد بن هارون الواثق الملقّب بالمهتدي من حبسه، فأتوا به في يوم وليلة إلى سامرّاء! وتلقّوه قبلها. وأبىٰ محمد بن الواثق أن يقبل البيعة له حتى يرى المعتزّ ويسمع كلامه! فأُتي إليه بالمعتزّ وعليه قميص مدنّس! وعلى رأسه منديل! فلمّا رآه محمد الواثق وثب إليه فعانقه وأجلسه معه على السرير وقال له: يا أخي ما هذا الأمر؟ فقال المعتزّ: هو أمر لا أُطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له، فحاول المهتدي أن يتوسط ويصلح الحال بينه وبين الأتراك فقال له المعتزّ: لا حاجة لي فيها ولا يرضونني لها! فقال له المهتدي: إذاً فأنا في حلٍّ من بيعتك؟! قال له: أنت في حلّ وسعة! فصرف المهتدي وجهه عنه، فأقاموه وردّوه إلى محبسه[١].

قال اليعقوبي: واجتمع القوّاد على أنّه ليس في أولاد الخلفاء أعقل ولا أفضل من محمد بن الواثق، فشخص إليهم من بغداد فلمّا قدم اجتمعت كلمتهم عليه وبايعوه في يوم (٢٧ رجب) سنة (٢٥٥هـ)، وبعد يومين جلس للناس، وقرأ عليهم كتاباً ذكر فيه خلع المعتزّ نفسه وسمّاه خالع نفسه[٢] والغالب على الأمر والقائم بالتدبير صالح بن وصيف في غياب موسى بن بُغا الكبير إذ كان بالريّ[٣] والمهتدي دون الأربعين[٤].

وقال ابن العبري: دخل جماعة من الأتراك على المعتزّ فجرّوه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس يرفع رجلاً ويضع رجلاً

---

(١) مروج الذهب ٤: ٩٢.

(٢) اليعقوبي ٢: ٥٠٥.

(٣) التنبيه والإشراف: ٣١٧.

(٤) مروج الذهب ٤: ٩٧.

لشدة الحر[١] وقال السيوطي: أقاموه في الشمس في يوم صائف يلطمون وجهه ويقولون له: اخلع نفسك. وكان قاضيه ابن أبي الشوارب الأُموي فأحضروه وشهوداً آخرين فخلع نفسه. واحضروا محمد بن الواثق من بغداد فما قبل البيعة حتى أتوا بالمعتز فقام له المهتدي وسلّم عليه بالخلافة وجلس بين يديه! فجيء بالشهود فشهدوا: أنّ المعتزّ عاجز عن الخلافة! فاعترف هو بذلك ومدّ يده فبايع المهتدي، فحينئذٍ ارتفع المهتدي إلى صدر المجلس[٢].

قال المسعودي: وتنازع الناس في كيفية قتل المعتز مفصّلاً، ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوي العناية بأخبار الدول قد تباينوا فيه.. والأشهر في الأخباريين ممن عُني بأخبار العباسيين: أنّه أُكره على دخول الحمام وكان محمياً جداً ومُنع الخروج منه وتُرك في الحمام حتّى فاضت نفسه، ومنهم من ذكر أنه بعد أن كاد يموت أُخرج ولكنه سُقي شربة ماء مثلّجة فنثرت كبده وأمعاءه فخمد، وذلك ليومين خلون من شعبان سنة (٢٥٥هـ)[٣] وصلّى عليه المهتدي، وله ثلاثة أبناء: محمد وعبد الله والمهتدي أيضاً وعمره (٢٢) عاماً[٤] أو (٢٤) عاماً، وكان أبيض حسن الوجه أسود الشعر حسن العينين لم يُر في الخلفاء أجمَلَ منه، ولكنه لا رأي له فتُدبّره أُمه قبيحة الرومية، وهو يؤثر اللذات[٥].

وانفرد ابن العبري في كيفية قتله بقوله: سلّموه إلى من يعذّبه فمنعه الأكل

---

(١) مختصر تاريخ الدول: ١٤٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢١ و ٤٢٢.

(٣) مروج الذهب ٤: ٩٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٤.

(٥) التنبيه والإشراف: ٣١٦.

والشرب ثلاثة أيام! ثمّ أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات فيه[١] وقد مرّ عن اليعقوبي أنّ المهتدي صلّى عليه، وأورد نحوه ابن الوردي وزاد: ودفن مع المنتصر بسامرّاء[٢].

وقبل قتل المعتزّ بشهر تقريباً في الثاني من رجب (٢٥٥هـ) ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى بن جعفر الحسنيان فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود العباسي[٣] المشهور بابن أُترجة أو أُترنجة وبالنصب والبغض لعلي عليه السلام ومن ندماء المتوكل العباسي ووالیه على المدينة الذي كتب إليه يسعى على علي بن محمد الهادي عليه السلام.

وكان بسامرّاء من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام: علي وكان واقفيّاً، وإسماعيل غير واقفي، فأسند الكليني عن محمد بن إسماعيل هذا: أنّ أبا محمد

---

(١) مختصر تاريخ الدول: ١٤٧.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٤.

(٣) تاريخ الطبري ٩: ٣٨٨ وعنه في الكامل في التاريخ ٧: ٦٥ في حوادث (٢٥٥هـ) قبل خلع المعتزّ وقتله أو موته، والأُموي الزيدي لم يذكر عيسى بن جعفر! وإنما ذكر علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، فهو زيدي حسيني وليس حسنياً كما في الطبري. والأُموي الزيدي ذكر أنّ المهتدي وجّه إليه الشاه بن المكيال في عسكر ضخم فهزمه، ثمّ التحق بصاحب الزنوج بالبصرة! مقاتل الطالبيين: ٤٣٥ فلعلّ خروجه وقتله لابن أُترجة كان قبل قتل المعتز. وصُحّف في الكافي: ابن أُترجة بابن بُريحة! وفي خاتمة أحداث عام (٢٥٥هـ) قال ابن العبري: في أواخر عام (٢٥٥هـ) مات الطبيب النصراني شابور بن سهل الأهوازي باني «بيمارستان = مستشفى» جندي شابور (قلعة شاپور) صاحب «كتاب القرابادين الكبير» وهو اثنان وعشرون باباً في الصيدلة، المعوّل عليه يومئذ في البيمارستانات ودكاكين الصيدلة وقال: توفي نصرانياً. يؤكّد عليه!

العسكري كان قبل قتل عبد الله بن محمد بن داود بعشرة أيام قد كتب إلى رجل يخبره بقتله (خلال عشرة أيام) قال: فلمّا كان اليوم العاشر قتل!

وقبل قتل المعتزّ بنحو عشرين يوماً (أو أكثر بقليل) كتب إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري: «الزم بيتك حتى يحدث الحادث» فلمّا قتل ابن تُرنجة تصور أن الحادث هو هذا فكتب إليه: قد حدث الحادث فما تأمرني؟ فكتب إليه: «ليس هذا الحادث، الحادث الآخر، فكان ما كان على المعتزّ»[1].

ونقل الاربلي عن «دلائل الإمامة» للحميري عن محمد بن عمر الكاتب، عن علي بن محمد بن زياد الصيمري، وكان من وجوه الشيعة وثقاتهم ومقدماً في الكتابة والأدب والعلم والمعرفة وله كتاب الأوصياء وذكر الوصايا[2]، وكان مع ذلك صهر جعفر بن محمود الوزير، قال: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (مولاهم) أمير شرطة بغداد بعد (٢٥٣هـ) وإذا بين يديه رقعة أبي محمد العسكري عليه السلام وإذا فيه: «إنّي نازلت الله (دعوته مكرراً) في هذا الطاغي، وهو آخذه بعد ثلاث» وكان يعني الزبير (المعتزّ بن المتوكل) فلمّا كان اليوم الثالث فعل به ما فُعل[3].

وفي الخبر فُسّر «الطاغي» قال: يعني الزبيري؟ ثمّ نقل الاربلي الخبر عن «الخرائج والجرائح» وفيه فُسّر «الطاغي» بالمستعين[4] ثمّ علّق عليه الاربلي قال: كأنّ هذا من غلط النُسّاخ أو الرواة، فإنّ المستعين بويع له في (٢٤٨هـ)

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٠٦، الحديث ٢، باب مولد العسكري عليه السلام.

(٢) مهج الدعوات: ٢٧٣.

(٣) كشف الغمة ٤: ٨٤، ٨٥ عن دلائل الإمامة للحميري، وبهامشه مصادره الأُخرى.

(٤) كشف الغمة ٤: ١٠٣.

وكانت مدّة ملكه دون الأربع سنين فلا يكون ملكه في أيام إمامة أبي محمد العسكري عليه السلام فكيف ينازل الله فيه[١]؟!

وكأنّ المعتز كان قبل قتله بقليل أمر سعيد الحاجب بحمل العسكري عليه السلام إلى الكوفة وقتله في طريقه! وبلغ خبره إلى أبي الهيثم فكتب إليه: بلغنا خبر بلغ منّا وأقلقنا! فكتب إليه: بعد ثلاث يأتيكم الفرج! فقُتل المعتزّ في اليوم الثالث[٢].

مصير قبيحة الرومية أُمّ المعتزّ:

أورد ابن الوردي ما يرى فقال: اختفت في قتل ابنها في شعبان، وظهرت في رمضان، ونُبش لها ألف ألف (مليون) دينار، وسفط من زمرّد، وسفط من لؤلؤ، وكيلجة ياقوت أحمر لا يوجد مثله، حُمل كلّه إلى صالح بن وصيف فقال: قبّح الله قبيحة! عرّضت ابنها للقتل لأجل (خمسين ألف دينار) وعندها كل هذه الأموال[٣]!

وذكر السيوطي: أعطت صالح بن وصيف ألف ألف دينار وثلاثمئة ألف دينار، وسفطاً فيه مسكوك زمرد، وسفطاً فيه لؤلؤ حبٍّ كبار، وكيلجة ياقوت أحمر، فقُوّمت السفاط بألفي ألف (مليوني) دينار! فلمّا رأى ذلك ابن وصيف قال: قبّحها الله عرّضت ابنها للقتل لأجل (خمسين ألف دينار) وعندها هذا! فأخذ الجميع ونفاها إلى مكة[٤].

---

(١) كشف الغمة ٤: ١٠٩، ١١٠.

(٢) كشف الغمة ٤: ٨١ عن دلائل الإمامة للحميري وبهامشه مصادره الأُخرى ومنها مناقب الحلبي ٤: ٤٦٤.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٤.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢٢ وتمامه: بقيت بها إلى أيام المعتمد فردّها إلى سامراء وماتت (٢٦٤ هـ).

وكانت في مكة تصرخ وتقول : هتك صالح ستري وقتل ولَدي وأخذ مالي وغرّبني عن بلدي وركب الفاحشة مني[١]!

سوابق قيام صاحب الزنج:

قال المسعودي : في سنة (٢٥٢هـ) في خلافة المعتزّ ثارت الفتن بالبصرة بين البلالية والسعدية (من بني تميم) وجرّ ذلك إلى ظهور صاحب الزنج[٢] وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم العبدي من عبد قيس بالبصرة، وكان من حاشية المنتصر في سامراء يمدحهم ويستمنحهم بشعره، وفي سنة (٢٤٩هـ) شخص من سامرّاء إلى البحرين فادّعى أنّه طالبي علوي حسني، ورحل إلى الأحساء ثمّ عاد إلى البصرة سنة (٢٥٤هـ)، ثمّ جمع الزنوج الذين كانوا يكسحون السباخ في جهة البصرة وخرج بهم في (٢٥٥هـ) واستفحل أمره بالاغارة والنهب[٣].

واختزل خبره اليعقوبي قال : وقعت العصبية بين أهل البصرة حتّى أحرق بعضهم منازل آخرين، وقوى أمر صاحب (الزنج) بالبصرة وصار إلى أُبلّة البصرة فخرّبها[٤].

وهنا كان ما نقله الإربلي عن «دلائل الإمامة» للحميري عن محمد بن صالح الخثعمي قال : كتبت إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أسأله عن أشياء وكنت أُريد أن أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة، فنسيت، فكتب إليّ : «صاحب الزنج ليس من أهل البيت»[٥].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٢٤ ولعلّه لذلك ردّها المعتمد!

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٥.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٤) اليعقوبي ٢ : ٥٠٦. (٥) كشف الغمة ٤ : ٩٧.

بعض سيرة المهتدي:

قال اليعقوبي : وظهرت من المهتدي سيرة حسنة ومذاهب محمودة، جلس للمظالم بنفسه، وباشر الأُمور بجسمه، ووقّع في قصاصات الناس (عرائضهم) بخطّه، وأبطل الملاهي، وقدّم أهل العلم، وأقام أياماً كثيرة يلبس لُبسة واحدة فيقيم عليها لا يغيّرها. وكتب بالأمان لجميع المتحركين والمتغلّبين، ومنهم عيسى بن الشيخ الربعي (الشيباني) فكتب إليه بمثل ذلك شريطة أن يحمل إليه ما قبله من أموال مصر وغيرها، فامتنع.

فكتب إلى ابن طولون بالمسير إليه لقتاله، فسار إليه إلى العريش بمصر إذ ورد عليه كتاب المهتدي بالانصراف عنه فانصرف عنه بلا قتال. وخرج إليه أماجور التركي عامل دمشق فهزمه أماجور، فحمل ابن الشيخ عياله إلى قلعة له في صور فتحصّن بها.

وأخرج قبيحة أُمّ المعتزّ مع ابنها عبد الله، وأبا أحمد وإسماعيل ابني المتوكل إلى مكة[1].

وقال المسعودي : جلس المهتدي للمظالم بنفسه، بل بنى لها قبة سمّاها قبّة المظالم لها أربعة أبواب للخواص والعوام، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وحرّم الشراب، ونهى عن القيان، وأظهر العدل. وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمّهم، فثقلت وطأته على الخاصة والعامة لحمله إياهم على طريق الشرع وسئموا أيامه[2].

وقال : وكان ورعاً كاد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في

---

(١) اليعقوبي ٢ : ٥٠٥.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢٦.

بني أُمية، هديا وفضلاً وقصداً وديناً، فصادف أقواماً لا يجوز عندهم أخلاق الدين، ولا يريدون إلّا أمر الدنيا فسفكوا دمه[١].

وقال: كان المهتدي بالله ذهب في أمره إلى القصد والدين، فقرّب العلماء ورفع منازل الفقهاء، وعمّهم ببرّه. وقلّل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب، وأمر بإخراج أواني الذهب والفضة من الخزائن لتضرب دراهم ودنانير، وعمد إلى الصور التي كانت في المجالس فمحاها. وذبح الكباش والديوك التي كان يناطَح بها بين يدي الخلفاء! وقتل السباع المحبوسة. ورفع بُسط الديباج وكل فرش لم ترد إباحته في الشرع. وكان الخلفاء قبله ينفقون لموائدهم كل يوم عشرة آلاف درهم! فهو جعل لسائر مؤونته كل يوم نحو مئة درهم! وكان يواصل الصيام. وكان ينام من الليل ساعة بعد العشاء الآخرة ثمّ يقوم فيلبس جبة صوف ويركع ويسجد إلى أن يدركه الصباح.

وكان يقول لبني العباس: يا بني هاشم! دعوني أسلك فيكم مسلك عمر بن عبد العزيز، فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أُمية[٢].

وحكى السيوطي عن رجل كان عند المهتدي في عشية يوم من رمضان فدعاه أن يفطر معه، فصلّى ثمّ دعا بطعامه فأُتي بطبق فيه أرغفة خبز نقي رقاق وزيت وخل وملح! فقال له: ولِمَ هذا وقد أسبغ الله عليك نِعَمه؟! قال: الأمر كما وصفت، ولكن كان في بني أُمية عمر بن عبد العزيز، وكان من التقلّل والتقشّف على ما بلغك، فغِرتُ على بني هاشم (بني العباس) أن لا يكون فيهم مثله فأخذت نفسي بما ترى! (فهل يا ترى هذا من الدين في شيء؟!).

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣١٨.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٠٣.

وقال: طرح الملاهي وحرّم الغناء، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم، وضرب عليه جماعة من الرؤساء. وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، يجلس بنفسه للمظالم الاثنين والخميس! ثمّ يجلس بنفسه ويُجلس الكتّاب بين يديه فيعملون حسابهم. وكان قاضيه جعفر بن عبد الواحد نقل له قولاً عن أحمد بن حنبل وأشار إلى مخالفة آبائه إياه، فقال: رحم الله أحمد بن حنبل، ولو جاز لي أن أتبرّأ من أبي لفعلت! ونُسب عنده جعفر بن محمود إلى «الرفض» فكره مقامه معه بسامرّاء! فنفاه إلى بغداد[1].

ابن وصيف والمهتدي والعسكري عليهم السلام:

صالح بن وصيف كان بعد أبيه مع المعتز ثمّ مع المهتدي وقُتل قبله، وقد ورد في الخبر أنّ العسكري عليه السلام سُجن عنده بلا تاريخ له، فهنا قبل أن نصل إلى مقتله في آخر عهد المهتدي نقف عند هذا الخبر الذي أسنده الكليني عن علي بن عبدالغفار: أنّ صالح بن وصيف لمّا حبس أبا محمد العسكري عليه السلام دخل عليه صالح بن علي(؟) والعباسيون المنحرفون عن هذه الناحية (الإمامة) يؤكّدون عليه بأن يشدّد على أبي محمد عليه السلام.

فقال لهم صالح: قد وكّلت به رجلين من شرّ من قدرت عليه[2]! فصارا من

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢٣ فالسيوطي يحسب شدة وطأته على «الرافضة» من محاسنه!

(٢) نقله الحلبي في المناقب ٤: ٤٦٢ فسمّاهما! اقتامش وعلي بن بارمش أو تارمش، وبذلك انحلّت معضلة خبر الكافي ١: ٥٠٨، الحديث ٨، باب مولد العسكري عليه السلام عن العلوي قال: حُبس أبو محمد عند علي بن اوتارمش وهو أنصب الناس وأشدهم على ←

الصلاة والصيام إلى أمر عظيم! فقلت لهما: ما رأيتما فيه؟ قالا: ما نقول في رجل لمّا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا! يقوم الليل كلّه ويصوم النهار، لا يتشاغل ولا يتكلم!

فلمّا سمع المنحرفون ذلك انصرفوا خائبين[1].

فكأنّ يأسه عن نتائج التشديد عليه حمله على أن حبس جمعاً من مواليه منهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: حبسنا صالح بن وصيف الأحمر أنا والحسن بن محمد العقيقي، ومحمد بن إبراهيم العمري، وفلان وفلان، ثمّ أدخل علينا أبا محمد الحسن وأخاه جعفر معه! وكان قد أدخل معنا رجلاً من بني جُمح يدّعي أنه علوي!

فالتفت أبو محمد عليه السلام إلينا وقال: لولا أنّ فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يُفرَّج عنكم! ثمّ أومأ إلى الجُمحي أن يخرج عنا، فخرج، فقال لنا أبو محمد عليه السلام: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه، وإن في ثيابه قَصّة (قطعة) كتبها للسلطان يخبره بما تقولون فيه.

فقام بعضهم وفتّش ثيابه (المتروكة هناك) فوجد فيها القَصّة (قطعة ورق) يذكرنا فيها بكل عظيمة!

وكان وصيف قد أذن لأبي الحسن أن يأتيه غلامُه بطعامه، فكان عليه السلام يصوم، وعند فطوره نأكل معه من الطعام الذي كان يحمله إليه في جُونة (سلّة) مختومة!

← آل أبي طالب، فما أقام عنده إلّا يوماً حتّى وضع له خدّيه، فكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وقولاً فيه. فهو أحد الرجلين وليس مستقلاً.

(١) أُصول الكافي ١: ٥١٢، الحديث ٢٣، باب مولد العسكري عليه السلام.

وكنت أصوم، وذات يوم وجدت ضعفاً، وكانت عندي كعكة فذهبت إلى بيت آخر وأفطرت بالكعكة وما شعر بي والله أحد! ثمّ عدت فجلست إليه، وكان غلامه معه فقال له: أطعم أبا هاشم شيئاً فإنه مفطر! فتبسّمت! فقال لي: ما يُضحكك يا أبا هاشم؟ إذا أردت القوة فكل اللحم وأمّا الكعك فلا قوة فيه! فقلت له: صدق الله ورسوله وأنتم، عليكم السلام. ثمّ قال لي: أفطر ثلاثة أيام، فإنّ المُنّة (القوة) لا ترجع إذا أنهكها الصوم في أقل من ثلاث.

وسأله غلامه يوماً قال له: يا سيدي أحمل فطورك؟ قال: احمل، وما أحسبني آكل منه.

فحمل إليه الطعام ظهراً، وكان صائماً فلم يأكل، وعند العصر أُطلق، فقال لنا: كلوا منه هنّأكم الله[1].

غضب المهتدي وآخر أمره:

ولم يُذكر لنا لماذا غضب المهتدي على أبي المهدي خاصّة والعلويين عامة، فبلغ الناس ذلك وأنّه تهدّدهم يقول: والله لأُجلينّهم من جديد الأرض! وقبل أن ينفّذ ذلك انشغل عنهم بقتل بعض مواليه، فكأنه فرح بذلك بعض موالي العسكري عليه السلام فكتب إليه منهم أحمد بن محمد قال: حين أخذ المهتدي في قتل الموالي كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: يا سيدي؛ الحمد لله الذي شغله عنّا (وعنك) فقد بلغني أنّه يتهدّدك يقول: والله لأُجلينّهم من جديد الأرض!

---

(١) إعلام الورى ٢: ١٤٠، ١٤١ عن كتاب أحمد بن محمد بن عياش مسنداً. وأسند صدر الخبر الطوسي في الغيبة: ٢٢٧، الحديث ١٩٤ وفيه سمّى أربعة أشخاص وقال: ممن حُبس بسبب قتل عبد الله بن أُترجة العباسي. وهو قُتل قبل قتل المعتز بعشرة أيام!

فردّ أبو محمد عليه السلام بخطّه وتوقيعه: «ذلك أقصر لعمره! عُدَّ من يومك هذا خمسة أيام، وفي اليوم السادس يُقتل بعد هوان واستخفاف يمرّ به».

قال الراوي أحمد بن محمد: فكان كما قال عليه السلام[1].

وإذا كان يظهر من الخبر الآنف الذكر عدم كونه محبوساً، فلعله في غضون هذه الأيام الخمسة أُعيد إلى الحبس مع أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كنت محبوساً مع أبي محمد العسكري عليه السلام في حبس المهتدي ابن الواثق (ففي آخر ليلة) قال لي أبو محمد: يا أبا هاشم؛ إنّ هذا الطاغي (المهتدي) أراد أن يتعبّث (بأمر) الله في هذه الليلة (بقتله عليه السلام)! وقد بتر الله عمره وجعله للقائم من بعده (المعتمد) وليس لي ولد، وسأُرزق ولداً!

قال أبو هاشم: فلمّا أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه، وولّي المعتمِد مكانه، وسلّمنا الله تعالى[2].

سيف المصري والعسكري عليه السلام:

وقبل أن يُقتل المهتدي، لقد عُرف من خدّامه ومواليه شفيع الخادم المفادي لأسرى المسلمين لدى الروم عام (٢٥٣هـ)[3] ويظهر من الخبر التالي أنّه كان على خراج مصر أو ضياعها على عهد المهتدي.

أسند الكليني عن عمر بن أبي مسلم السامرّائي قال: قدم علينا بسامرّاء رجل من أهل مصر يقال له: سيف بن الليث، يتظلّم إلى المهتدي في ضيعة له قد

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥١٠، الحديث ١٦، باب مولد العسكري عليه السلام.

(٢) إثبات الوصية: ٢١٥، وكتاب الغيبة للطوسي: ٢٠٥، الحديث ١٧٣ و ٢٢٣ و١٨٧ مكرراً.

(٣) التنبيه والإشراف: ١٦٣.

غصبها منه وأخرجه منها شفيع الخادم، فأشرنا عليه أن يكتب إلى أبي محمد العسكري عليه السلام يسأله تسهيل أمرها. فكتب إليه فجاءه الجواب: «لا بأس عليك ضيعتك تُردّ عليك، فلا تتقدّم إلى السلطان (المهتدي) والقَ الوكيل الذي في يده الضيعة وخوِّفه بالسلطان الأعظم رب العالمين». فلقيه فقال له الوكيل الذي بيده الضيعة وهو بسامرّاء: عند خروجك من مصر إلى هنا كُتب إليّ: أن أطلبَك وأردّ عليك الضيعة. ثمّ أحضر شهوداً والقاضي ابن أبي الشوارب الأُموي فردّها عليه. فصارت الضيعة له وفي يده ولم يحتج إلى أن يتقدم إلى المهتدي.

فكأنّه لمّا عرف العسكريَّ عليه السلام وله ابن عليل بمصر، كتب إلى أبي محمد العسكري قال: كتبت إليه أسأله الدعاء لابني العليل. فكتب إليّ: «قد عُوفي ابنك المعتل، ومات الكبير وصيّك وقيّمك، فاحمد الله ولا تجزع فيحبط أجرك». وفي يوم وصول جواب أبي محمد إليّ ورد إليّ الخبر: أنّ ابني قد عوفي من علّته ومات الكبير[1]!

شغب يؤدي إلى قتل المهتدي:

قال اليعقوبي: وثب بناحية صعيد مصر رجل طالبي يُدعى إبراهيم بن محمد الصوفي من وُلد عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ووثب بها أيضاً رجل يدّعي أنّه عبد الله بن عبد الحميد من بني عمر بن الخطاب.

وكان على حِمص محمد بن إسرائيل فوثب عليه أهلها يتقدّمهم ابن عكّار، فهرب ابن اسرائيل فخرج إليه ابن عكّار فكانت بينهما وقعة قُتل فيها ابن عكّار وهُزم جمعه، وعاد ابن اسرائيل إلى عمله.

---

(١) الكافي ١: ٥١١، الحديث ١٨.

وكان أحمد بن إسرائيل بسامرّاء، وزيراً وكان صالح بن وصيف قد حبسه مع عيسى بن إبراهيم والحسن بن مخلّد من أصحاب الدواوين، فأخرجهم صالح من الحبس إلى باب العامة، فهرب ابن مخلّد وضُرب أحمد وعيسى حتى ماتا (رمضان ٢٥٥هـ)! وكان صالح وبايكباك التركيان الغالبين على أُمور المهتدي (وقيل: بل هو من فعل المهتدي).

وتنكّر المهتدي للأتراك وعزم على تقديم الأبناء عليهم، فأحضر جماعة منهم وضرب أعناقهم، فاجتمع الأتراك وشغبوا وأظهروا الطعن عليه، فاستنفر المهتدي العامة عليهم وأباحهم دماءهم وأموالهم ومنازلهم[1].

وقال المسعودي: كان موسى بن بُغا الكبير بالريّ مشغولاً بحرب الحسن بن زيد الحسني وما كان منه ببلاد قزوين والديلم، فلمّا بلغه ما كان من أمر صالح بن وصيف والأتراك في قتل المعتزّ أنكر ذلك وقفل من تلك الديار إلى سامرّاء.

ولمّا اتصل بالمهدي مسير موسى بن بُغا إلى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالإقامة في عمله بالريّ وأن لا يرحل من مركزه للحاجة إليه هناك، فأبى موسى إلّا الإسراع في المسير حتى وافى سامرّاء (في المحرم ٢٥٦هـ) فلمّا دنا من سامرّاء أخذت الغوغاء من العامة يهتفون على ابن وصيف: يا فرعون قد جاءك موسى!

فدخل موسى سامرّاء حتّى انتهى إلى مجلس المهتدي وهو جالس للمظالم، والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم، فدخل أصحاب موسى الدار وجعلوا يُخرجون منها العامة بضرب الدبابيس والطبرزينات! فقام المهتدي منكراً عليهم فعلهم ذلك فلم يُقلعوا.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٦.

ولمّا رأى موسى ضجة العامة في دار المظالم انصرف عنها إلى دار القائد التركي يارجوج، وقُدّم إلى المهتدي فرس فركبه فمضوا به إلى تلك الدار فأقام فيها ثلاثاً عند موسى بن بُغا حتى أخذ موسى عليه العهود والمواثيق أن لا يغدر به. وقد اختفى صالح بن وصيف لمّا دخل موسى، فخاف موسى أن يكون صالح يعمل الحيلة عليهم في اختفائه فبثّ في طلبه العيون حتّى وقع عليه فقاتلهم حتّى قُتل وأُتي برأسه إلى موسى (في صفر عام ٢٥٦هـ) وكان في موسى ديانة وتقشف ولا يشرب النبيذ[1].

قال: وغلظ أمر الشاري (الخارجي) مساور بن عبد الحميد البجلي (مولاهم) ببلاد الموصل وشهزور والجبال وغيرها من البلاد، ودنا بعسكره من سامرّاء وظهرت معه الأعراب حتّى انقطعت الطرق! فتجهّز موسى بن بُغا للخروج إليه ومعه بايكباك في جيش عظيم، فلقياه وهزماه وقتلا من أصحابه جماعة. وكتب موسى إلى بايكباك بالفتك بموسى! وتسلم العسكر! فأطلع بايكباك موسى على الكتاب: وسار بايكباك إلى سامرّاء لمواقفة المهتدي على كتابه! فلمّا حضر عنده قبض عليه، فشغب أصحابه فقتله ورمى برأسه إليهم، في رجب من هذه السنة (٢٥٦هـ).

وخرج أخو موسى أبو نصر بن بُغا بعسكره الموالي إلى خارج سامرّاء، فوجّه إليه المهتدي بالأمان فلمّا صار إليه قتله! فتنكّر له الموالي وشغبوا عليه.

فخرج المهتدي لحربهم مع المغاربة والفراغنة والأشروسنية واستنصر العامة، فهزموهم، وأسروه وبه ضربات مثخنة، فقتل لمنتصف شهر رجب سنة (٢٥٦هـ) وله أربعون عاماً.

---

(١) مروج الذهب ٤: ٩٧، ٩٨.

وكان مربوعاً حسن الجسم رحب الجبهة، أشهل العينين قد طوّل لحيته، عظيم البطن، وأُمه رومية تسمّى قُرْب[١].

وقيل: إنّ المهتدي كتب إلى كل منهما بقتل الآخر، وكل منهما أطلع الآخر على الكتاب إليه بذلك، فلمّا رأيا ذلك تراجعا عن قتال مساور الشاري، فأما موسى بن بُغا فانصرف إلى ظَهر سامرّاء متحرجاً عن قتال الخليفة المهتدي، وأما بايكباك فإنه توجّه لقتاله، فلمّا استشعر المهتدي رجوعهما خرج بعسكره من المغاربة والفراغنة وغيرهم إلى جسر سامرّاء لحرب بايكباك، فكانت بين المهتدي وبين بايكباك حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس، وكان بايكباك قد قرّر القائد يارجوج التركي كميناً للمهتدي، فلمّا استظهر المهتدي بعساكره على بايكباك خرج كمينه على المهتدي فولّى أصحابه، فدخل سامرّاء مستغيثاً بالعامة يصيح بهم في الأسواق ومعه جمع من أنصاره، ومضى آيساً إلى دار ابن خيعونة ليختفي فيه!

فهجموا عليه وحملوه منها إلى دار القائد يارجوج، وقالوا له: ماذا تريد أن تفعل؟

فقال: أُريد أن أحمل الناس على سيرة الرسول و«أهل بيته»! والخلفاء الراشدين[٢].

فقيل له: إنّ الرسول كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، وأنت إنّما رجالك ما بين تركي وخزري وفرغاني ومغربي من أنواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم! وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا! فكيف تحملهم على ما ذكرت من السيرة؟!

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣١٧، ٣١٨.

(٢) هذه من بوادر استعمال هذا اللقب لهم.

وكاد أن يتم أمرهم، فقام فيهم سليمان بن وهب الكاتب أو غيره وقال لهم: هذا إن أعطاكم بلسانه فنيّته فيكم غير هذا! فسيأتي عليكم ويفرّق جمعكم! فلمّا سمعوا هذا تراجعوا عن توافقهم، وأخرجوا له خناجرهم. وأكثر حنقهم عليه من قتله بايكباك التركي في الحرب أو بضرب عنقه.

وكان في أوائلهم ابن عم لبايكباك كان سكران قد ارتوى يومئذٍ من الخمر، فكان أول من جرحه بخنجره في أوداجه. قال المسعودي: وهذا هو أشهر ما ذُكر لنا في قتل المهتدي، وقيل: قُتل خنقاً، وقيل: كبُس عليه بالبُسط والوسائد حتى مات، وقيل: شُدّ بالحبال بين لوحين عظيمين حتّى مات، وقيل: عُصرت خصيتاه حتّى مات. ثمّ ندموا من ذلك وداروا به يبكون له وينوحون عليه! ولم يدخل في فعل الأتراك هذا صاحب الدار يارجوج التركي ولا موسى بن بُغا. وذلك في نصف رجب سنة (٢٥٦هـ) وله ١٧ ذكراً و٦ بنات[1].

المهتدي وخبر عن علي عليه السلام:

كان محمد بن علي الربعي من علماء أخبار الناس وأيامهم وحسَن المجلس، فاتّخذه المهتدي ملازماً له حتى أنّه يبايته الليالي عنده، فروى المسعودي عنه قال: سألني المهتدي ذات ليلة: أتعرف خبر نَوف (البكالي الكوفي) حين بايت علي بن أبي طالب؟ قلت له: نعم.

ذكر نوف قال: رأيت علياً عليه السلام ليلةً أكثر من الخروج والنظر إلى السماء، وكنت رامقاً، فقال لي: أنائم أنت يا نَوف؟ قلت له: بل ارمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين. فقال لي: يا نَوف، طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة!

---

(١) مروج الذهب ٤: ٩٩، ١٠٠.

أُولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً وترابها سُباتاً وماءها طيباً، والكتاب شعاراً والدعاء دثاراً. ثمّ قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

يا نَوف؛ إنّ الله تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل أن لا يدخلوا إليّ إلّا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكفّ نقيّة، وأعلِمهم أني لا أُجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي قِبلهم مظلمة!

فكتبه المهتدي بخطه، فإذا بايتُّه سمعته في جوف الليل يبكي ويمرّ على الخبر يقرأه إلى آخره[1].

أيام أحمد المعتمد العباسي:

كان المهتدي خاف على نفسه من أبناء المتوكل ومنهم أحمد، فكان قد حبسه عنده في جوسق القصر، فلمّا حُبس المهتدي أُخرج أحمد من حبسه في جوسق القصر، فبايعه الأتراك وغيرهم، ولُقّب بالمعتمد على الله، ثمّ مات المهتدي[2] لمنتصف شهر رجب سنة (٢٥٦هـ)، فاتّخذ عبيدَ الله بن يحيى بن خاقان وزيراً وقلّده أُموره، وكتب بالبيعة إلى الآفاق، فبايع بخراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (مولاهم) وفي كور الفرات مالك بن طوق التغلبي، وفي ديار ربيعة ومضر وجند قنّسرين أبو الساج بن ديوداد الأشروسني وبمصر أحمد بن طولون التركي.

وامتنع في فلسطين عيسى بن الشيخ الربعي الشيباني، وكانت فلسطين من أعمال دمشق، فوجّه المعتمد أماجور التركي في سبعمئة منهم إلى دمشق لقتال الربعي الشيباني، فقدم أماجور إلى دمشق، وزحف إليه عيسى بن الشيخ من

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٠٦، ١٠٧ (وذكره الرضي في نهج البلاغة).

(٢) مختصر تاريخ الدول: ١٤٧، ١٤٨.

فلسطين حتّى أناخ بباب دمشق وحاصرها، فلمّا اشتد الحصار خرج أماجور وأصحابه، وتقدم إليه خليفة عيسى أبو الصهباء ظفر بن اليمان وابن عيسى منصور، فحمل عليهما أماجور وأصحابه، فقتل منصور وأسر ظفر فقُتل وصلب، وعاد عيسى إلى الرملة من فلسطين[١].

وغلب على أمره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه أخوه أبو أحمد طلحة[٢] بن المتوكل الملقب بالموفق والناصر لدين الله، وصيّره كالمحجور عليه فلا أمر ينفذ له ولا نهي، وهو أهمل أُمور الرعية وتشاغل بلهوه ولذاته. أما الموفق فقد قام بأمر أخيه أحسن قيام فمن قرُب من الأعداء قمعه ومن نأى استصلحه، على كثير ممّا كان يلقاه من اعتراض الموالي وسوء طاعتهم وشغبهم[٣].

مرّ خبر الكليني عن أحمد بن محمد بن عبد الله: أنّ المهتدي العباسي كان قد تهدّد العلويين عامة وأبا محمد العسكري عليه السلام خاصة يقول: والله لأُجلينّهم عن جديد الأرض[٤]!

ومرّ في آخر أخبار الشغب عليه وقتله: أنّ من قوّاد المغاربة المقتولين معه فيها: نصر بن أحمد الزبيري، فلعلّه كان رسوله بتهديده إلى العسكري عليه السلام.

فقد أسند الكليني عن أحمد بن محمد بن عبد الله ـ وهو راوي التهديد السابق ـ قال: حين قُتل الزبيري خرج (توقيع) عن أبي محمد العسكري عليه السلام يقول: هذا جزاء من افترى على الله في أوليائه!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٧.

(٢) الملاحظ أن المتوكل سمّى اثنين من أبنائه بطلحة والزبير وهو المعتز، ولم يسم أحداً منهم بعلي عليه السلام!

(٣) التنبيه والإشراف: ٣١٨.

(٤) أُصول الكافي ١: ٥١٠، الحديث ١٦ باب مولد العسكري عليه السلام.

المعتمِد يسأل الإمام الاستسقاء:

كان ذلك آخر الخبر عن كتاب ابن عياش مشتملاً على إطلاق العسكري عليه السلام من سجن الجوسق الأحمر عند صالح بن وصيف الأحمر، وجرت الكتب على ذلك، حتى أرسل ابن الصباغ المالكي (٨٥٥هـ) عن أبي هاشم الجعفري أنّ بعد خبر إفطاره صومه بالكعكة سرّاً وإخبار الإمام له جهراً قال:

ثمّ لم تطل مدة أبي محمد الحسن عليه السلام في الحبس إلّا أن قحط الناس بسامرّاء قحطاً شديداً[1] فأمر الخليفة المعتمد على الله ابن المتوكل[2] بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يدعون ويستسقون فلا يُسقون (وأين دجلة؟!).

وفي اليوم الرابع خرج الجاثليق (الكاثوليك) إلى الصحراء بالنصارى والرهبان (ولا عهد لنا بهم يخرجون لذلك من كنائسهم!) وكان فيهم راهب مدّ يده إلى السماء فهطلت بالمطر (فوراً بلا سحاب ولا برق ولا رعد؟!) وكذلك في اليوم الثاني. فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصبا بعضهم إلى النصارى والنصرانية! وبلغ ذلك الخليفة فشق عليه.

فأنفذ إلى صالح بن وصيف: أن أَخرج أبا محمد الحسن بن علي من السجن وآتني به! (كذا هنا فقط) فلمّا أُحضر أبو محمد الحسن عند الخليفة (المعتمد) قال له: أدرك أُمة جدك محمد صلى الله عليه وآله فيما لحق بعضهم من هذه النازلة بهم!

---

(١) فهل جفّت دجلة؟! ولم يُعلم ذكر ذلك في أي مصدر من مصادر تاريخ ذلك العهد.

(٢) كذا هنا، وفي سائر المصادر: المتوكل، وهو لا يعاصر العسكري عليه السلام فأُكمل الخبر أخيراً بالمعتمِد بين حاصرتين!

(وأخبَره خبرهم) فقال عليه السلام : أُدعهم (المسلمين والنصارى) يخرجون غداً. قال : قد استغنى الناس واستكفوا من المطر (فأين دجلة ؟!) فما فائدة خروجهم ؟ قال : لأُزيل عن الناس شكّهم وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي أفسدت عقولاً ضعيفة.

فأمر الخليفة (المعتمِد) أن يخرج الناس والجاثليق والرهبان أيضاً يوماً ثالثاً ! فخرج النصارى وخرج لهم أبو محمد الحسن ومعه المسلمون. فوقف النصارى وخرج ذلك الراهب ومدّ يديه إلى السماء للاستسقاء فغيّمت السماء في الوقت ونزل المطر !

فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يدي الراهب واكتشاف ما فيهما وأخذه ! ففعلوا وإذا بين أصابعه عظم صغير، فأخذه أبو محمد الحسن ولفّه وقال له : استسق مرّة أُخرى ! فاستسقى فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس. فسأله الخليفة (المعتمِد) : ما هذا يا أبا محمد ؟ قال : هذا عظم نبيّ ظفر به هؤلاء من قبر بعض الأنبياء ! وما كشف عن عظم نبيّ تحت السماء إلّا هطلت بالمطر ! فامتحنوه مرّة أُخرى فوجدوه كما قال عليه السلام (كذا هنا فقط).

ثمّ كلّم أبو محمد الحسن الخليفة لإخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأمر بإطلاقهم وإخراجهم !

وأقام أبو محمد الحسن بمنزله مبجَّلاً معظَّماً مكرَّماً ! وعادت تصله صلات الخليفة وأنعامه إلى وفاته[1] !

---

(١) الفصول المهمة : ٤٤٣ ـ ٤٤٥ بتحقيق الحسيني ونشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، منفرداً بهذه الكيفية !

مولود الموعود عليه السلام:

مرّ خبر الكليني عن أحمد بن محمد: أنّ المهتدي كان قد تهدّد العلويين عامة وأبا محمد العسكري عليه السلام خاصة يقول: والله لأُجلينّهم من جديد الأرض[1]!

ومرّ خبر أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كنت محبوساً مع أبي محمد العسكري عليه السلام في حبس المهتدي ابن الواثق (ففي آخر ليلة) قال لي: يا أبا هاشم؛ إنّ هذا الطاغي (المهتدي) أراد أن يتعبّث (بأمر) الله في هذه الليلة (بقتله عليه السلام) وقد بتر الله عمره وجعله للقائم بعده (المعتمِد) وليس لي ولد وسأُرزق ولداً!

قال أبو هاشم: فلمّا أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه[2] في نصف رجب (٢٥٦هـ).

فهذا صريح في تأخر مولود الموعود المهدي عجّل الله فرجه عن مقتل المهتدي.

وفي كيفية ولادته عليه السلام سيأتي آنفاً طريقان من الصدوق نقلهما الطوسي عن غيره، وزاد عليهما طريقين آخرين، ثمّ جمع الأخبار الأربعة في خبر آخر كلها عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام وكلها على أنَّ حمله كان كحمل أُم موسى عليه السلام بين عشية وصباحها بل وفجرها وليس ضحاها، فلا مقتض لاحتساب مدة الحمل الطبيعي للعام القادم بعد مقتل المهتدي بل إنما بعد شهر منه في منتصف شعبان (٢٥٦هـ).

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥١٠، الحديث ١٦، باب مولد العسكري عليه السلام.

(٢) إثبات الوصية: ٢١٥، وكتاب الغيبة للطوسي: ٢٠٥، الحديث ١٧٣ و ٢٢٣ و ١٨٧ مكرراً.

وللشيخ التقي الشوشتري ملحقاً برجاله رسالة في تواريخ النبي والآل عليهم السلام، ففي فصل مواليدهم يبحث في أخبار تاريخ مولود الموعود إلى أن يقول: وكيف كان فالأظهر هو القول الثاني (سنة ٢٥٦هـ) لكون رواياته خمسة، بخلاف الأول (سنة ٢٥٥هـ) فليس فيه إلّا خبران. ثمّ يرد ترجيح النوري الأول بخبر الفضل بن شاذان عن محمد بن علي العباسي في رسالته في الغيبة، بأنها بالوجادة وليست بالاسناد، ثمّ يرد تأويل المجلسي لقول راوي الخبر الأول للكليني عن أحمد بن محمد بن عبد الله قال: وولد له ولد سماه محمداً سنة (٢٥٦هـ)[١] تركه المجلسي ونقله عن الصدوق والطوسي وفي بيانه قال: ربما يُجمع بينه وبين ما ورد من (٢٥٥) بكون السنة هنا ظرفاً لخروج التوقيع أو قتل الزبيري[٢] فقال الشيخ: لا وجه له لعدم حصر المعارض به[٣] فلانعارض الشيخ التقي، وغفل كلهم عن مقتضى خبر أبي هاشم الجعفري، فلم أعلم من نظر إليه في هذا الموضوع مع وضوحه.

خبر حكيمة بكيفية الولادة:

أسند الصدوق عن موسى بن محمد الموسوي عن حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام قالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: يا عمة اجعلي افطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، حجته في أرضه!

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥١٤، الحديث ١، باب مولد الصاحب وقبله في: ٣٢٩، الحديث ٥، باب النص عليه.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٤ عن كمال الدين وغيبة الطوسي غفلةً عن الكافي في موردين.

(٣) قاموس الرجال: ١٢، رسالة التواريخ: ٢٤.

قالت : فقلت له : ومَن أُمُّه ؟ قال لي : هي نرجس. قلت له : جعلني الله فداك ما بها أثر ! فقال : هو ما أقول لك.

قالت : فلمّا جلست جاءت (نرجس) تنزع خُفّي ! وقالت لي : يا سيدتي كيف أمسيتِ ؟ فقلت لها : بل أنت سيدتي وسيدة أهلي ! فقالت : ما هذا يا عمة ! قالت : فقلت لها : يا بنية ؛ إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة ! قالت : فخجلتْ واستحيتْ !

فلمّا أن فرغتُ من صلاة العشاء الآخرة أفطرتُ، وأخذتُ مضجعي فرقدتُ، فلمّا أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي، ثمّ جلست معقّبة ثمّ اضطجعتُ ثمّ انتبهتُ وهي راقدة. ثمّ قامت فصلّت ونامت. وخرجت أنا أتأمل الفجر، فإذا أنا بالفجر الأول كذنب الذئب السحران ! وهي نائمة، فدخلتني الشكوك (كذا) !

فصاح بي أبو محمد من المجلس (محلّ المجلس العام) فقال : لا تعجلي يا عمة ! فهاكِ الأمر قد اقترب !

قالت : فجلست وقرأت الم السجدة ويس، فبينا أنا كذلك إذ انتبهتْ (نرجس) فزعةً، فوثبت إليها فقلت لها : اسم الله عليك ! ثمّ قلت لها : أَتُحسّين شيئاً ؟ قالت : نعم يا عمّة. فقلتُ لها : اجمعي نفسك وقلبك فهو ما قلت لك ! فأخذتها فترة وأخذتني وانتبهت بحسّ سيدي ! فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ساجداً يتلقى الأرض بمساجده، فضممتُه إليّ فإذا أنا به نظيف متنظّف !

فصاح بي أبو محمد عليه السلام : هلّمي إليّ ابني يا عمة.

فجئت به إليه فوضع يديه تحت ظهره ووضع قدميه على صدره وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثمّ أدلى لسانه في فيه ثمّ قال له : تكلّم يا بني...

ثمّ أسند الصدوق عن محمد بن عبد الله الطهَوي عن حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام وفيه تفصيل القول عن خبر تزويج نرجس بالعسكري عليه السلام بإذن أبيه بل بأمره. وقالت: حتى مضى أبو الحسن الهادي وجلس أبو محمد مكان والده فكنت أزوره كما كنت أزور والده. فزرته يوماً.. وجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحتُ بالجارية، قلتُ لها: ناوليني ثيابي لأنصرف. فقال لي أبو محمد: لا يا عمتاه، بِيتي الليلة عندنا، فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجل، الذي يُحيي الله به الأرض بعد موتها! فقلت: ممّن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل! فقال: مِن نرجس لا من غيرها. قالت: فوثبت إليها فقلّبتها ظهراً لبطن فلم أرَ بها أثر حبل! فعدت إليه فأخبرته بما فعلتُ، فتبسّم ثمّ قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأنّ مثَلها مثَل أُم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشق بطون الحبالىٰ في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فعدتُ إليها فأخبرتها بما قال، وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا! قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى (قبيل) وقت طلوع الفجر، وهي نائمة بين يديّ لا تقلّب جنباً إلى جنب.

حتّى إذا كان وقت طلوع الفجر وإذا بها وثبت فزعة، فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها: «اسم الله عليك» وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبركِ به مولاي. وصاح بي أبو محمد قال لي: اِقرئي عليها: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» فأقبلتُ اقرأ عليها كما أمرني. وأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما اقرأ وسلّم عليَّ! ففزعت لِما سمعت، فصاح بي أبو محمد: لا تعجبي من أمر الله عزّ وجل! إنّ الله تبارك وتعالى يُنطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حججاً في أرضه كباراً.

فلم يستتم كلامه حتّى غُيّبتْ عني نرجس فلم أرها! كأنّه ضُرب بيني وبينها حجاب!

فغدوت إلى أبي محمد وأنا صارخة! فقال لي: ارجعي يا عمة فإنك ستجديها في مكانها! قالت: فرجعتُ فلم ألبث أن كُشف الغطاء الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبي ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابته يقول....

فصاح بي أبو محمد قال: يا عمّة تناوليه وهاتيه، فتناولتُه وأتيت به نحوه، فلمّا مَثُلت به بين يدي أبيه وهو على يدي، سلّم على أبيه! فتناوله الحسن عليه السلام منّي.. ثمّ قال: امض به إلى أُمه لترضعه وردّيه إليّ. فتناولته أُمه فأرضعته، ورددته إلى أبي محمد عليه السلام[1].

ورواهما الطوسي عن غير الصدوق، بدأ بخبر الطهَوي باسم أبي عبد الله المطهري، وباختلاف في أطراف الخبر منه في ذكر السنة: (٢٥٥هـ) ومنه في اسمها «سوسن». وثنّى الطوسي بخبر موسى بن محمد بن القاسم باسم موسى بن محمد بن جعفر (سهواً) وثلّث باسناده إلى محمد بن إبراهيم عن حكيمة بمثل معنى الخبر الأول (المطهري) مع ذكر التاريخ كذلك، وفيه زيادة: فلمّا كان اليوم الثالث اشتد شوقي إليه فأتيته عائدة فبدأت بحجرتها فإذا أنا بها جالسة وعليها أثواب صُفر كالمرأة النُفساء معصبة الرأس، فسلّمت عليها والتفتّ إلى جانب البيت، وإذا بمهد عليه أثواب خضر، فعدلت إليه ورفعت عنه الثوب فإذا أنا بولي الله نائم على قفاه بلا قماط ولا حزام، وفتح عينيه وجعل يناجيني باصبعه، فتناولته وأدنيته إلى فمي لأُقبّله فشممت منه رائحة ما شممت قط أطيب منها!

---

(١) كمال الدين: ٤٢٤ ـ ٤٢٨.

ثمّ أسند الطوسي رابعاً عن محمد بن علي بن بلال (بن راشتة المتطبّب) عن حكيمة مثله.

ثمّ قال: وفي رواية عن جماعة الشيوخ عن حكيمة حدثت بالحديث[١] ويظهر لي من الخبر أن جماعة الشيوخ هم الرواة السابقون الأربعة، فهو جمع لأخبارهم، وليس طريقاً خامساً.

وأسند الصدوق عن أحمد بن محمد السياري البصري عن نسيم ومارية قالتا: لمّا خرج صاحب الزمان عليه السلام من بطن أُمه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وعطس فقال: الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله، عبداً داخراً لله، غير مستنكف ولا مستكبر. زعمت الظلمة أنّ حجة الله داحضة[٢]! ممّا يدل على حضورهن ومباشرتهن لمولده عليه السلام وعدم حصره في حكيمة ونرجس.

وأسند عن محمد بن عثمان العمري قال: لمّا ولد السيّد عليه السلام بعث أبو محمد عليه السلام إلى أبي (أبي عمرو = عثمان بن سعيد) فصار إليه فأمره أن يشتري عشرة آلاف رطل خبزاً ومثله لحماً، ويعق عنه بكذا وكذا شاةً، ويفرّقها على بني هاشم[٣].

وأسند عن إبراهيم بن محمد الموسوي عن أحمد بن محمد السياري

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٣٤ ـ ٢٣٩، الحديث ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

(٢) كمال الدين: ٤٣٠، الحديث ٥، وقبله في الهداية الكبرى: ٧٠، وإثبات الوصية: ٢٢١ وبعده في كتاب الغيبة للطوسي: ٢٤٤، الحديث ٢١١ عن كتاب أخبار القائم عليه السلام لعلي بن محمد الكليني الرازي المعروف بعلّان.

(٣) كمال الدين: ٤٣٠، ٤٣١، الحديث ٦.

البصري عن نسيم خادمة أبي محمد عليه السلام قالت : دخلتُ على صاحب الزمان بعد مولده بليلة فعطستُ عنده، فقال لي : يرحمكِ الله ! ففرحت بذلك فقال لي : ألا أُبشّركِ في العطاس؟ قلت : بلى يا مولاي، فقال : هو أمان من الموت ثلاثة أيام[١].

وأسند الصدوق عن أبي هارون قال : رأيت صاحب الزمان وكشفت ثوبه عنه فوجدته مختوناً ! فسألت أبا محمد عليه السلام فقال : هكذا وُلد وهكذا وُلدنا، ولكنّا نُمرّ عليه الموسى لإصابة السنّة وإصابة السنة على السابع من المولد، فيظهر أنّ الخبر كان قبل تمام الأُسبوع الأول.

وقبله أسند عن الحسن بن الحسين العلوي (الحسني) : أنّه دخل عليه فهنّأه بولادة ابنه[٢].

ورواه الطوسي عن الكليني (وليس في الكافي) رفعه عن نسيم خادمة أبي محمد عليه السلام قالت : دخلتُ على صاحب الزمان عليه السلام بعد مولده بعشر ليال فعطست عنده..[٣].

أحداث عام (٢٥٧هـ):

قال اليعقوبي : في شهر ربيع الآخر سنة (٢٥٧هـ) وجّه المعتمِد بالحسين الخادم المعروف بعِرق الموت إلى عيسى بن الشيخ الربعي الشيباني المتغلّب على

---

(١) كمال الدين : ٤٣٠ ذيل الحديث ٥ و ٤٤١، الحديث ١١ مكرراً.

(٢) كمال الدين : ٤٣٤، الحديث ١ والحديث ١ في بابين والأخير في الطوسي بسندين : ٢٢٩، الحديث ١٩٥ و ٢٥١ والحديث ٢٢١.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي : ٢٣٢، الحديث ٢٠٠ ويبعد التكرار، فالأول أولى وله طريقان.

فلسطين، بأمان على نفسه وماله وولده والصفح عمّا كان منه وتوليته أرمينية؛ وتسليم ما في يده إلى عامل دمشق أماجور التركي، فسلّمها إليه من دون أن يردّ من الأموال شيئاً، وشخص من البلد إلى أرمينية للولاية عليها في جمادىٰ الآخرة عام (٢٥٧هـ).

وكانت أُمور مصر بيد بايكباك التركي وقد قُتل، فصيّر المعتمد ما كان إليه من أعمال مصر وغيرها إلى يارجوج التركي، فكتب يارجوج إلى أحمد بن طولون التركي عامل مصر بإقراره على ما كان يتولى منها. فحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلاً في بيت المال بمصر وكان مبلغه ألفي ألف (مليون) ومئة ألف درهم، وحمل الطراز والخيش والشمع وقاد الخيل حتى سلّمها إلى أماجور التركي بدمشق، وأشهد به عليه وعاد إلى الفسطاط. وكان على الاسكندرية إسحاق بن دينار، فكتب المعتمد إلى أحمد بن طولون بولاية الاسكندرية، فشخص إليها في شهر رمضان سنة (٢٥٧هـ).

وكان على خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبّر، فصرفه المعتمد إلى خراج الشامات، وولّى خراج مصر أحمد بن محمد الشجاع ابن أُخت الوزير، فقدِم الفسطاط في شهر رمضان عام (٢٥٧هـ).

وكان على بريد مصر أبو صحبة سفير الخادم، فعزله المعتمد وولّى مكانه أحمد بن الحسين الأهوازي، فقدمها في شوال عام (٢٥٧هـ).

وفي هذه السنة وجّه أحمد بن طولون مع حُجّاج مصر ألف فارس مع ماطعان التركي، وأمره أن يدخل المدينة وحتى مكة بالسلاح والتعبئة، فوافاهما وحتّى في عرفات بالأعلام والطبول والسلاح[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٠٨، ٥٠٩.

وعن صاحب الزنج بالبصرة:

قال اليعقوبي: زحف الخارج بالبصرة علي بن محمد المدّعي إلى آل أبي طالب، زحف إلى الأُبلّة فنهبها وأخربها وأحرقها بالنار. فتوجّه إليه سعيد بن صالح فواقعه بنهر أبي الخصيب[١].

وفي آخر سنة (٢٥٧هـ) دخل المدّعي العلوي البصرة وحرّق المسجد الجامع ونهب بها، فتوجّه إليه محمد المولّد التركي، فلمّا بلغه الخبر خرج منها.

وفي أوائل سنة (٢٥٨هـ) دخل محمد المولّد التركي البصرة، ولم يبقَ من أصحاب المدّعي العلوي بها أحد، وكان أهلها قد خرجوا منها خوفاً منهم فعادوا فلم يجدوا منزلاً يُسكن[٢]!

وفي أول ربيع الأول سنة (٢٥٨هـ) خلع المعتمد على أخيه أبي أحمد الموفّق وعلى مفلح التركي معه، ليشخصا إلى البصرة لحرب صاحب الزنج، ففي منتصف جمادى الأُولى أوقع مفلح التركي به، ولكنه أصابه سهم في صُدعه فنزف الليل حتى مات صباحاً. فانصرف أبو أحمد الموفّق عن حربه وحمل مفلحاً معه إلى سامرّاء فدفنه بها[٣] فاستولى صاحب الزنج على عبّادان بالأمان، ثمّ على الأهواز عنوة بالسيف[٤].

ونقل السيوطي عن الصولي قال: كان يصعد المنبر بالبصرة فيسبّ طلحة والزبير وعائشة، ولا يسبّ الشيخين، ويسبّ عثمان ومعاوية حتى علياً عليه السلام

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٩.

(٣) مروج الذهب ٤: ١١١.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٦.

وفي يوم واحد قُتل بالبصرة ثلاثمئة ألف آدمي، ومنهم علويون، ويسبون نساءهم وبناتهم حتّى أنّه كان عند الزنجي الواحد منهم عشرة من العلويات يستخدمهن ويطأهنّ، ويُنادي عليهن في عسكره بثلاثة دراهم وحتّى بدرهمين!

قال: واستمر القتال معه منذ تولّى المعتمد سنة (٢٥٦هـ) دخلوا البصرة فبذلوا السيف وأحرقوا وخرّبوا وسبَوا، وجرى بينهم وبين عساكر المعتمِد عدة وقعات وفي أكثرها أمير عسكر المعتمد أخوه الموفّق.

وأعقب ذلك الوباء الذي كان لا يتخلّف عن الملاحم الكبرى بالعراق، فمات به خلق لا يُحصون كثرةً! ثمّ أعقبته زلازل وهدّات، فمات تحت الردم أُلوف من الناس[1].

وفي اليعقوبي: في سنة (٢٥٨هـ) وقع بالعراق الوباء فمات منه خلق كثير: حتّى يقال إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر ألف إنسان، كان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل عودته!

وفيها (٢٥٨هـ) توجّه أبو أحمد الموفّق إلى المدّعي العلوي بالبصرة في جيش كثيف، وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن، فوقعت النار في السفن فاحترقت، فعاد الموفّق أدراجه[2].

العسكري عليه السلام في مشايعة الموفّق:

متزامناً مع ما مرّ من خروج المعتمد في أول ربيع الأول عام (٢٥٨هـ) لمشايعة أخيه الموفّق خارجاً بجيشه لمواجهة صاحب الزنج بالبصرة، كانوا قد

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢٥ و٤٢٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥١٠.

أخرجوا معهم العسكري عليه السلام. وكان وفد من شيعته من أهل الأهواز قد وفدوا إليه إلى سامراء وصادف وصولهم خروج الإمام عليه السلام مع موكب المعتمد للموفّق.

فروى الحسن بن سهل النوبختي عن علي بن محمد بن الحسن قال: وافت جماعة من أصحابنا من الأهواز وخرج السلطان إلى صاحب البصرة (!) وخرج أبو محمد عليه السلام ماضياً معه، وخرجنا نريد النظر إليه فنظرنا إليه ماضياً مع السلطان، وقعدنا ننتظر رجوعه. وكان عليه قلنسوة، فلما قرب منا وحاذانا مدّ يده إلى قلنسوته فأخذها عن رأسه وأمسكها بيده وأمرّ يده الأُخرى على رأسه والتفت إلى رجل منا وضحك في وجهه! فبادر الرجل يقول: أشهد أنك حجة الله وخيرته!

فقلنا له: ما شأنك؟ قال: كنت شاكاً فيه فقلت في نفسي: إن رجع وأخذ قلنسوته عن رأسه قلت بإمامته[1].

العسكري عليه السلام والطالبيون في سجن المعتمد:

نقل الطبرسي عن ابن عياش قال: كان المعتز حبس أبا محمد العسكري عليه السلام مع عدة من الطالبيين منهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري في سنة (٢٥٨هـ)[2] والمعتز إنما كان إلى (٢٥٥هـ) ثمّ المهتدي إلى (٢٥٦هـ) ثمّ المعتمد. فالظاهر أنّ المعتز هنا مصحف عن المعتمد. قال ابن عياش ذلك معلّقاً به على خبر رواه وظاهره أنّ العسكري عليه السلام حينئذ كان خارج السجن وليس معه:

أسند الخبر عن أبي هاشم نفسه قال: شكوت إلى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس وثقل القيد! فكتب إليّ: «تصلّي الظهر اليوم في منزلك» فلمّا صار الظهر

---

(١) إثبات الوصية: ٢٤٦ وعيون المعجزات: ١٣٩ والخرائج والجرائح ١: ٤٤٤ الحديث ٢٦ وكشف الغمة ٤: ٩٨ عن دلائل الإمامة للحميري.

(٢) إعلام الورى ٢: ١٤٠.

أُخرجتُ فصلّيت في منزلي. وكنت مضيّقاً (مالياً) فأردت أن أطلب منه في كتابي دنانير فاستحييت، فلمّا صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمئة دينار وكتب إليّ: «إذا كانت لك حاجة فلا تستح ولا تحتشم واطلبها، فإنك ترى ما تحب»[١].

أحداث عامي (٢٥٨هـ) و(٢٥٩هـ):

وكان جمع من الطالبيين من المدينة توجهوا إلى مصر، ففي جمادىٰ الآخرة من هذه السنة (٢٥٨هـ) أمر أحمد بن طولون التركي المصري بجمعهم وإخراجهم إلى المدينة، وأراد أحدهم من ولد العباس بن علي عليه السلام أن يتوجّه إلى المغرب، فأخذه ابن طولون وضربه مئة وخمسين سوطاً وأطافه بالفُسطاط!

ثمّ أخذ ابن طولون الجند والشاكرية والموالي والناس بالبيعة له دون المعتمد.

وفي شهر رمضان (٢٥٨هـ) وجّه المعتمد شنيف الخادم مولى المتوكل إلى الروم لمفاداة الأسرى المسلمين لديهم، فاجتمعوا بنهر اللامس، وشرط الروم هدنة أربعة أشهر، فتوافقوا وتفادَوا.

وكان الأعراب من حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس، يقطعون الطرق على الحجّاج ويسلبونهم أمتعتهم، ففي سنة (٢٥٩هـ) نال أهل البادية زلازل ورياح وظلمات، فهربوا إلى مكة والمدينة يستجيرون بالكعبة وبقبر رسول الله، وأحضروا معهم بعض أمتعة الحجاج ممّن قطعوا عليهم طريقهم، وهلك منهم في البادية خلق عظيم[٢].

---

(١) إعلام الورى ٢ : ١٤٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥١٠، ٥١١. هذا وهيئة الناهين عن المنكر لم يستنكروا عليهم ذلك!

الحُجة والجدّة إلى الحج:

روى محمد بن الحسن الصفّار القمي (٢٧٩هـ) أنّ أبا محمد العسكري عليه السلام ذات يوم من أيام سنة (٢٥٩هـ) أحضر والدته السيّدة سليل وقال لها : في سنة ستين ومئتين (٢٦٠هـ) تصيبني حزازة أخاف أن أُنكب منها نكبة !

فأخذها البكاء وأظهرت الجزع فقال لها : لابدّ من وقوع أمر الله، فلا تجزعي[١] ثمّ أمرها بالحجّ في سنة (٢٥٩هـ) مع الصاحب عليه السلام. وأحضره وأوصى إليه وسلّم إليه الاسم الأعظم والسلاح والمواريث.

ثمّ أحضر أبا علي أحمدَ بن محمد بن مطهّر ووكّله وولّاه قافلتهم إلى الحج، فخرجت أُم أبي محمد مع الصاحب عليه السلام جميعاً إلى مكة، والوكيل عليهم والمتولي لأُمورهم أبو علي ابن المطهر.

فلمّا وصلوا إلى بعض المنازل لقيتهم قوافل من الأعراب، فعرّفوهم بقلة الماء وشدة الخوف، فانصرف أكثر الحجاج عن الحج لتلك السنة[٢].

ويظهر من الخبر اللاحق أنّ ذلك كان بالقادسية من العراق إلى صحراء الحجاز :

أسند الكليني عن ابن مطهّر أنّه في سنة القادسية كتب منها إلى أبي محمد العسكري عليه السلام يُعلمه انصراف الناس عن الحج وأنهم يخافون العطش! فكتب إليه بجوابه : «امضوا فلا خوف عليكم إن شاء الله» فمضوا سالمين، والحمد لله رب العالمين[٣].

---

(١) بصائر الدرجات : ٤٨٢، الحديث ٨.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي : ٢٤٨ وعن عيون المعجزات في بحار الأنوار ٥٠ : ٣٣٦، الحديث ١٣، وانظر ترجمته في قاموس الرجال ١ : ٦٤٦ برقم ٥٨٢.

(٣) أُصول الكافي ١ : ٥٠٧، ٥٠٨، الحديث ٦، باب مولد العسكري عليه السلام.

الوزير ابن خاقان والعسكري عليه السلام:

قال المسعودي: لمّا أفضت الخلافة إلى المعتمِد على الله استوزر عبيدَ الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل سابقاً[١].

فروى الكليني عن ابنه أبي بكر أحمد بن عبيد الله وهو على الخراج والضياع بقم، قال: إني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو في يوم مجلسه للناس، إذ دخل عليه حُجّابه فقالوا له: أبو محمد ابن الرضا بالباب. فرفع صوته وقال: ائذنوا له! ولم يكن يكنّىٰ عند أبي إلّا خليفة أو وليّ عهد أو من أمر السلطان أن يكنّي، فتعجّبت من أنهم جسروا على أن يكنّوا رجلاً عند أبي بحضرته!

فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيّد البدن، حدث السنّ ولكن له جلالة وهيبة! ولمّا نظر إليه أبي قام يمشي إليه خُطا، وما رأيته يفعل ذلك بأحد من القواد وبني هاشم (بني العباس) فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلّاه الذي كان هو عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وأخذ يكلّمه ويفدّيه بنفسه، وأنا متعجب ممّا أرى منه!

إذ دخل عليه الحاجب فقال له: الموفّق قد جاء! فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد العسكري يحدثه، حتى رأى الغلمان من خاصة قوّاد الموفّق دخلوا ووقفوا سِماطين بين باب الدار إلى مجلس أبي، فحينئذٍ قال أبي لأبي محمد: إذا شئت جعلني الله فداك (أن تخرج) ثمّ قال لحجّابه: خذوا به خلف السِماطين حتى لا يراه هذا! يعني الموفّق. فقام وقام أبي وعانقه ومضى.

فسألت حجّاب أبي: ويلكم مَن هذا الذي كنّيتموه على أبي! وفعل به أبي هذا الفعل إكراماً!

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١١، والتنبيه والإشراف: ٣٢٠.

فقالوا: هذا علوي يقال له: الحسن بن علي، يُعرف بابن الرضا، فازددت تعجباً.

ثمّ لم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه! حتّى كان الليل، فلمّا صلّى وجلس على عادته لينظر فيما يحتاج إليه من المشاورات وما يرفعه إلى السلطان، جئت إليه وليس عنده أحد وجلست بين يديه، فقال لي: يا أحمد ألك حاجة؟ قلت: نعم.. مَن الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والتبجيل والكرامة، وفدّيته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بُني؛ ذاك إمام «الرافضة» ذاك الحسن بن علي المعروف بابن الرضا.. ثمّ قال: يا بُني، لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا! وإنّ هذا ليستحقها في فضله وعفافه، وهَدْيه وصيانته، وزهده وعبادته، وجميل أخلاقه وصلاته! ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً! فاستزدته في قوله فيه ما قال! أي حسبته زائداً مبالغاً!

ثمّ ما سألت أحداً من بني هاشم (بني العباس) والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخهم! فعظم قدره عندي، إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلّا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه[1].

ترحّم الإمام على ابن شاذان:

سيأتي ذكر وفاة العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ)، وفيما يلي أخبار عنه عليه السلام بترحُّمه على الفضل بن شاذان بن خليل

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٠٣، ٥٠٤، الحديث ١، باب مولد العسكري عليه السلام.

النيشابوري الخراساني، ممّا يُعلم منه كما يأتي وفاته قبل إمامة العسكري عليه السلام في أوائل عام (٢٦٠هـ)، فهنا نقف على طرف من أخباره وترجمته:

كان يروي عن أبيه شاذان بن خليل، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على علوّ كعبه وعراقته في التشيع، وعن إسماعيل بن سهل وأبي داود المسترق، وإبراهيم بن عاصم أو هاشم وأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري وابن أبي نجران. والحسن بن علي بن فضّال والحسن بن محبوب وصفوان بن يحيى وعثمان بن عيسى وعلي بن الحكم وعمارة بن المبارك وفضالة بن أيوب والقاسم بن عروة. ومحمد بن أبي عمير ومحمد بن الحسن الواسطي ومحمد بن سنان[١].

وهو في أواخر عهده كان يقول: مضى هشام بن الحكم رحمه الله وكان يونس بن عبد الرحمان خلفاً له يرد على المخالفين، ثمّ مضى يونس بن عبد الرحمن ولم يخلّف خلفاً سوى السكّاك فردّ على المخالفين حتّى مضى رحمه الله، وأنا أدركت صفوان بن يحيى ومحمد بن أبي عمير وغيرهما فأنا خلف لهم من بعدهم رحمهم الله[٢].

فدعا به عبد الله بن طاهر الخزاعي (مولاهم) الخراساني والي خراسان العباسي وأمر أن يَكتب له ما يستعلم به كتبه ـ وهي أكثر من مئة وخمسين كتاباً ـ فكتب له بخطه: نخبة الإسلام الشهادتان، ثمّ ما يتلوهما. فذكر ابن طاهر أنّه يحبّ أن يقف على قوله في السلف، فقال أبو محمد الفضل: أتولّى أبا بكر، ولكنّي أتبرّأ من عمر! قال: ولِمَ تتبرّأ من عمر؟! قال متخلّصاً به: لإخراجه العباس من الشورى! ومع ذلك نفاه من نيشابور[٣] فخرج إلى رستاق بيهق[٤].

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٤٣، ٥٤٤، الحديث ١٠٢٩.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٥٣٩، الحديث ١٠٢٥.

(٣) المصدر السابق: ٥٣٩، الحديث ١٠٢٤.

(٤) المصدر السابق: ٥٤٣، الحديث ١٢٢٨.

وكان أحد كتبه مع رجل من أهل البوزجان من نيشابور وجّهه أبو محمد الفضل عنه إلى أبي محمد العسكري عليه السلام، فذكر أنه دخل عليه فلما قضى أمره وأراد الخروج وقد لفّ الكتاب في رداء له في حضنه فسقط منه الكتاب فتناوله أبو محمد عليه السلام ونظر فيه وقال: «إني أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم» ثمّ ترحّم عليه! (كذا)[1].

وكأنّ خبر استدعائه من قِبل عبد الله بن طاهر كان قد بلغ إلى عدة من المشايخ منهم محمد بن عيسى العُبيدي على أنّ أبا محمد الفضل قد حُبس فكانوا مغتمين محزونين! رآهم هكذا بُورق البوشخاني الهروي في طريقه إلى الحج. قال: فحججت ورجعت فوجدت محمد بن عيسى قد انجلى عنه ما كنت رأيته به، فسألته عن الخبر قال: قد خُلّي عن أبي محمد الفضل.

قال بورق: وكان معي «كتاب يوم وليلة» من الفضل، فخرجت به إلى سامرّاء فدخلت به على أبي محمد وأريته ذلك الكتاب وقلت له: جعلت فداك، إن رأيت أن تنظر فيه! فتصفّحه ورقة ورقة ونظر فيه ثمّ قال: هذا صحيح ينبغي أن يُعمل به!

قال: وكان الفضل معتلاً شديد العلة من بطنه حتى أنه يختلف إلى الخلوة في الليلة مئة مرة إلى مئة وخمسين مرة! فقلت لأبي محمد عليه السلام: إنّ الفضل بن شاذان شديد العلة ويقولون إنها من دعوتك عليه لموجدتك عليه، لما ذكروا عنه أنّه قال: إنّ وصيّ إبراهيم عليه السلام خير من وصيّ محمد صلى الله عليه وآله، ولم يقل ذلك بل إنما كذبوا عليه هكذا!

فقال: نعم، رحم الله الفضل!

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٤٢، الحديث ١٠٢٧.

قال بورق : فلمّا رجعت إلى نيشابور وبيهق وجدته قد توفي في الأيام التي قال أبو محمد العسكري : رحم الله الفضل[١].

وكان الفضل بن شاذان في روستاق بيهق، فورد خبر توجّه الخوارج إليهم، فهرب منهم، فأصابته خشونة السفر فاعتل ومات منه، وصلّى عليه أبو علي أحمد بن يعقوب البيهقي[٢].

وانتشر خبر كتاب كتبه عبد الله بن حمدويه البيهقي في الفضل بن شاذان إلى أبي محمد العسكري عليه السلام، وأنّه أجابهم بما فيه تهديد بالدعاء عليه! وكتب نسختها أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة نحو صفحتين[٣].

فكتب أبو عمرو محمد بن عمر الكشي إلى أبي علي أحمد بن يعقوب البيهقي يسأله عن التوقيع الذي خرج في الفضل بن شاذان وأنّ المولى العسكري لعنه لقوله بالتجسيم!

فكتب إليه أبو علي البيهقي قال : أما ما سألت من ذكر التوقيع .. فإني أُخبرك أنّ ذلك باطل، وإنّما كان مولانا عليه السلام قد أنفذ إلى نيشابور «وكيلاً» من العراق يُدعى أيوب بن الناب ليقبض حقوقه. وكان في نيشابور قوم من الشيعة ممّن يذهب مذهب الارتفاع والغلو والتفويض. فكأن هؤلاء شكوا إليه أنّ الفضل بن شاذان يزعم أنه ليس عن الإمام ويمنع الناس من إخراج حقوق الإمام إليه! وكتب هؤلاء بهذا إلى الإمام، وكتب الوكيل بذلك كذلك، وليس فيه الاتهام بالتجسيم.

وأنّ أبا علي البيهقي قرأ صورة توقيع الإمام عليه السلام الخارج على يد المعروف

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٣٧، ٥٣٨، الحديث ١٠٢٣.

(٢) المصدر السابق : ٥٤٣، ذيل الحديث ١٠٢٨.

(٣) المصدر السابق : ٥٣٩ ـ ٥٤١، الحديث ١٠٣٦.

بالدهقان في بغداد، والتوقيع في جواب كتاب عبد الله بن حمدويه البيهقي، وهو هكذا فقط:

«ما للفضل بن شاذان ولمواليّ يؤذيهم ويكذّبهم؟! وإني لأحلف بحق آبائي! لئن لم ينته الفضل بن شاذان عن هذا لأرمينّه بمرماة لا يندمل جرحه منها في الدنيا ولا في الآخرة»!

وإنما انتشر هذا التوقيع في سنة ستين ومئتين بعد موت الفضل بن شاذان بشهرين[1]. ويظهر من الخبر أنّه كان قبيل وفاة العسكري عليه السلام بقليل.

ثمّ دافع الكشي عن الفضل فقال: إنّ بعض من يخالف الفضل وقف على هذا التوقيع، فكان أن طابت نفسه وقال: هذا إمامه قد أوعده وهدّده وكذّب بعض ما وصف.

فقلت له: أما هذا التوقيع فقد عاتب فيه الجميعَ عامة وعاتب الفضلَ خاصة وأدّبه ليرجع عمّا عسى قد أتاه مَن ليس بمعصوم وأوعده نعم ولكن لم يفعل شيئاً من ذلك، بل ترحّم عليه. وأبو محمد الفضل رحمه الله لم يَعرض له بمكروه بعد هذا العتاب.

ثمّ أشار الكشي إلى التشكيك في صحة انتساب هذه الرقعة إلى العسكري عليه السلام فقال:

علىٰ أنّ هذه الرقعة ممّا كتب به إلى إبراهيم بن عبده، وكل ما كتب إليه ـ ذُكر ـ أنّ مخرجه من ناحية العمري، والله المستعان.

ثمّ قال الطوسي المختار من كتاب الكشي: قيل: إنّ للفضل مئة وستين مصنّفاً، وذكرنا بعضها في «كتاب الفهرست»[2].

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٤٢، ٥٤٣، الحديث ١٠٢٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٥٤٤، الحديث ١٠٢٩.

أيام مرض الإمام عليه السلام:

جاء في خبر الكليني عن أحمد بن عبيد الله بن الخاقان: أنّ العسكري عليه السلام لمّا اعتلّ بعث أخوه جعفر بن علي إلى أبي (عبيد الله بن الفتح بن خاقان): أنّ ابن الرضا (العسكري) قد اعتلّ، فركب أبي (عبيد الله الوزير) من ساعته إلى دار الخلافة ثمّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين (المعتمد العباسي) كلّهم من ثقاته وخاصّته فيهم نحرير الخادم، فأمرهم بلزوم دار الحسن عليه السلام وتعرّف خبره وحاله. وبعث إلى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساءً.

فلمّا كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أُخبر أنّه قد ضعف، فأمر المتطبّبين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة (الحسن بن محمد بن أبي الشوارب الأُموي) فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق به في دينه وأمانته وورعه! فأحضرهم، فبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً[1].

خبر أبي الأديان البصري:

من مشايخ الرواية للصدوق: محمد بن الحسين بن عبّاد، وجد الصدوق لديه كتاباً مصنفاً في أخبار التواريخ، وسمع روايته عنه.

ومن أخباره ما رواه عن أبي الحسن علي بن محمد بن حُباب (أو خشاب) عن أبي الأديان البصري قال: كنت أحمل كتب الحسن بن علي بن الرضا عليه السلام إلى الأمصار، وكتب كتباً وأرسل عليَّ فدخلت عليه وإذا به في علّته، فناولني الكتب وقال لي: امضِ بها إلى المدائن (؟) وستغيب خمسة عشر يوماً، وفي اليوم الخامس عشر تدخل سامرّاء، فتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٠٣، ٥٠٤، الحديث ١، باب مولد العسكري عليه السلام.

قال أبو الأديان : فقلت : يا سيدي، فإذا كان ذلك فمن؟ قال : مَن طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي. فقلت : زدني، فقال : من يصلّي عليَّ فهو القائم بعدي. فقلت : زدني، فقال : مَن أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي. ثمّ منعتني هيبته أن أسأل عمّا في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن(؟) وأخذت جواباتها، وفي اليوم الخامس عشر كما ذكر دخلت سامرّاء، فإذا أنا بالواعية في داره[١].

ومقتضاه أن يكون مرض الإمام استدام أكثر من أُسبوعين من الأيام، والمروي في سائر الأخبار أنّه عليه السلام بدأت علّته مع أول شهر ربيع الأول واستمرت أُسبوعاً حتى توفي في الثامن من الشهر[٢].

صبيحة وفاة العسكري عليه السلام:

أسند الطوسي عن أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي البغدادي قال : دخلت على أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في المرض الذي توفي فيه، فأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد، وكان نوبيّاً أسود خدم من قبله أباه : يا عقيد، إغل لي ماءً بمصطكي[٣]. فأغلى له، وجاءت به الجارية صقيل أُم الخلف عليه السلام، فلمّا صار القدح في يديه وهمَّ بشربه أخذت يده ترتعش حتى ضرب القدح ثناياه فتركه من يده وقال لعقيد : ادخل البيت فإنك ترى صبيّاً ساجداً فأتني به!

---

(١) كمال الدين : ٤٧٣ و ٤٧٥ بعد الخبر ٢٥، ولم يُذكر هؤلاء في كتب الرجال، ولا في رواة الأخبار إلّا هنا!

(٢) الإرشاد ٢ : ٣٣٦.

(٣) المصطكي شجر خاص له صمغ يُعلك وثمر مرّ يُداف ويشرب دواءً. العين ٥ : ٤٢٥.

وأسرعت أُمه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام، وإذا هو درّي اللون في شعر رأسه قطط، مفلّج الأسنان إذ سلّم على أبيه. فلمّا رآه الحسن عليه السلام بكى وقال: يا سيّد أهل بيته، اسقني الماء (المصطكي) فإني ذاهب إلى ربّي! فأخذ الصبيّ القدح المغلّى بالمصطكي بيده وحرّك شفتيه بشيء ثمّ سقاه، فلمّا شربه قال: هيئوني للصلاة.

فطرح في حجره منديل، ثمّ وضّأه الصبيّ على وجهه ويديه مرة مرة، ثمّ مسح رأسه وقدميه.

فقال له أبو محمد عليه السلام: «أبشر يا بُنيّ فأنت «صاحب الزمان» وأنت «المهدي» وأنت «حجة الله» على أرضه! وأنت ولدي ووصيي، أنت «محمد» بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولّدك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت خاتم الأوصياء الأئمة الطاهرين، و(قد) بشّر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّاك (باسمه) وكنّاك (بكنيته) بذلك عهد إليّ أبي عن آبائك الطاهرين، وصلّى على «أهل البيت» ربنا إنه حميد مجيد» ثمّ مات من وقته صلوات الله عليه وعليهم أجمعين[1].

ونقل الصدوق عن كتاب مصنّف في أخبار التواريخ سمعه من محمد بن الحسين بن عبّاد قال:

ليلة وفاة الحسن العسكري عليه السلام كانت ليلة جمعة، وقد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة (أو المُدن) وفي يوم الجمعة مع صلاة الصبح، وعنده الجارية صقيل والخادم عقيد وغيرهما، فنقل عن عقيد قال: فدعا بماء قد أُغلي له بالمصطكي،

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٧٢، ٢٧٣، الحديث ٢٣٧.

فجئنا به إليه فقال : ابدأ بالصلاة فهيّئوني، فبسطنا في حجره المنديل، فأخذ الماء من صيقل فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة، ثمّ مسح على رأسه وقدميه مسحاً، ثمّ صلّى صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب ويده ترتعد فأخذ القدح يضرب ثناياه، فأخذت صقيل القدح من يده، ومضى من ساعته، وذلك لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومئتين للهجرة[1].

فلعلّ الخادم عقيد تعقّد هنا عن بيان ما زاد عنه في الخبر السابق عن أبي سهل إسماعيل النوبختي، للراوي هنا محمد بن الحسين بن عبّاد، أو تعبّد بالتعمية عن وجود الوليد الوحيد للإمام حينئذ رعاية لواجب التقية والكتمان على وليّ العصر وصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه. كما أغفل أبو سهل أو تساهل في نقل صلاة الإمام عليه السلام وهذا أكمل النقل بذكرها.

وكون وقت الوفاة في وقت صلاة الصباح لعلّه أشغل أو أغفل المغفّلين المحضَرين لرقابة دار العسكري عليه السلام في تلك الأيام، ولعدم علمهم بالوقت بالخصوص مع كتابة الإمام في ليلتها كتباً كثيرة. وقد مرّ الخبر عن إرسال العسكري عليه السلام لابنه الحجة مع أُمّه السيّدة سليل إلى مكة، فلابدّ من القول بحضور الحجة حينئذ غيبياً وليس عادياً طبيعياً، ومعه فعدم إطلاعهم غير بعيد، إلّا فيما يكشف عنه إتماماً للحجة.

وسيأتي في الخبر التالي : أنّ عقيد الخادم خرج من الدار وقال لجعفر الكذاب : يا سيدي قد كُفّن أخوك فقم وصلّ عليه! فإن صح هذا فلعلّه لهذا لم يرَ ما رآه النوبختي فروى، أو رآه وكتمه؟! والله العالم.

وبعد ذلك أخذوا في تهيئته، وعُطّلت الأسواق، وركب بنو هاشم

---

(١) كمال الدين : ٤٧٣، ٤٧٤ بعد الخبر ٢٥.

(بنو العباس) والقوّاد وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سامرّاء يومئذٍ شبيهة بالقيامة! فلمّا فرغوا من تهيئته بعث السلطان (المعتمِد العباسي) إلى أخيه أبي عيسى بن المتوكل أمره بالصلاة عليه[1].

إجراءات ما بعد الوفاة:

جاء في خبر الكليني عن أحمد بن عبيد الله بن الخاقان: أنّ العسكري عليه السلام لمّا توفي صارت سامرّاء ضجة واحدة، وبعث السلطان (المعتمد العباسي) إلى داره من فتّشها وفتّش حُجَرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولَده! وجاءوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن: أنّ هناك جارية بها حمل! فجُعلت في حجرة ووُكّل بها نحريرُ الخادم وأصحابه ونسوة معهم.

وجاء في خبر أبي الأديان البصري قال: دخلت سامرّاء فإذا أنا بالواعية في داره وهو عليه السلام على المغتسل، وإذا بأخيه جعفر بن علي على باب الدار وبعض الشيعة يعزّونه[2] وأنا كنت أعرفه أنه كان يقامر في جوسق قصر الخليفة ويلعب بالطنبور ويشرب النبيذ (المحرّم عند آبائه) فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة! وعزّيته فلم يسألني عن شيء.

ثمّ خرج عقيد الخادم وقال لجعفر: يا سيدي: قد كُفّن أخوك، فقُم وصلّ عليه! فقام جعفر ودخل، فلمّا صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي على نعشه مكفّناً، وتقدم جعفر ليصلّي عليه.

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٠٣، ٥٠٤، الحديث ١، باب مولد العسكري عليه السلام.

(٢) هنا في الخبر: ويهنّئونه! ممّا لا عهد لنا به في وفاة أي إمام وبداية عهد أي إمام ويتكرر هذا في الخبر! فهو مردود.

فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سُمرة وبشعره قطط وبأسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر وقال له: يا عمّ تأخّر! فأنا أحق بالصلاة على أبي! فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه واصفر، وتقدم الصبيّ فصلّى عليه.

ثمّ توجّه إليّ وقال لي: يا بصري، هات جوابات الكتب التي معك. فدفعتها إليه وقلت في نفسي: هاتان بيّنتان، وفي خبر الهميان، وكان جعفر قد خرج من الدار فخرجت إليه، وكان معه حاجز الوشّاء فقال له: يا سيدي، مَن الصبيّ لنقيم عليه الدعوى؟! فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه!

فبينا نحن جلوس إذ قدم نفر من «قم» وعرفوا وفاة الحسن بن علي عليه السلام، فقالوا: فمن نعزّي؟ فأشار الناس إلى جعفر، فسلّموا عليه وعزّوه وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول: ممّن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون منّا أن نعلم الغيب؟

فخرج الخادم(؟) وقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار عشرة منها مطليّة!

فقالوا له: إنّ الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام ودفعوا إليه الكتب والمال[1].

ونحوه ما أسنده الطوسي عن رجل من العباسيين الحاضرين يومئذ يُدعى أحمد بن عبد الله قال: كنا نحن من ولد العباس الحاضرين دار أبي محمد الحسن بن علي بن الرضا بسامرّاء يوم توفي، تسعة وثلاثين رجلاً قعود ننتظر، فأُخرجت جنازته ووضعت، فخرج غلام عشاريٌّ (السنّ) حاف عليه رداء قد تقنّع به، فقمنا له هيبة منه ولا نعرفه! وقام الناس، فتقدم للصلاة،

---

(١) كمال الدين: ٤٧٥، ٤٧٦، الحديث ٢٥.

فاصطفوا له خلفه، فصلّى عليه ومشى حتى دخل باباً سوى الذي خرج منه[١].

فهذه الصلاة كانت داخل الدار، أما المحضَرين للرقابة فقد جاء في خبر أحمد بن عبيد الله الخاقان:

أنّ الجنازة لمّا وُضعت للصلاة عليها (خارج الدار بالشارع العام) جمع أبو عيسى حوله بني هاشم من العلويين والعباسيين، والقوّاد والكتّاب، والقضاة والمعدّلين ودنا من الجنازة فكشف عن وجه أبي محمد العسكري وعرضه عليهم وقال لهم: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، مات حتف أنفه على فراشه، وقد حضره من حضره، من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان (فهذه هي مُهمّتهم دون من يصلّي عليه في الدار).

قال: ثمّ غطّى وجهه (وصلّى عليه) وأمر بحمله، فحُمل (إلى) وسط داره ودُفن في البيت الذي دُفن فيه أبوه[٢].

أما خبر وفد قم بالكتب والأموال، فيظهر من خبر لاحق أنّه لم يكن هنا متلاحقاً لاصقاً بلا فاصل، بل كان بفاصل زمان، إلّا أنّ أبا الأديان أوصله هنا استعجالاً باستكمال العلائم التي تلقّاها من العسكري عليه السلام على الإمام القائم بالأمر من بعده، وسيأتي الخبر.

قال ابن خاقان: فلمّا دُفن أخذ السلطان (المعتمد) في طلب ولده (فلعلّهم علموا به من صلاته) وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه[٣].

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٥٨، الحديث ٢٢٦.

(٢) أُصول الكافي ١: ٥٠٥، الحديث ١، باب مولد العسكري عليه السلام.

(٣) المصدر السابق.

وقد مرّ الخبر أنّ العسكري عليه السلام أرسل أُمّه مع ابنه الحجة إلى الحج، وبعد الحج رحلوا إلى المدينة فنزلوا بها. فلمّا وصل خبر وفاته عليه السلام إليها بالمدينة خرجت حتى قدمت سامرّاء. ويظهر أنّ جعفر لم يكن منها بل من أُمّ ولد أُخرى للهادي عليه السلام ولذا نازعها في المواريث ورافعها إلى القاضي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الأُموي وقضى لها وأن يقسم الميراث بينهما. وعند ذلك ادّعت السيدة صقيل أنها حامل، فحُملت إلى دار المعتمد العباسي وجعل نساءه ونساء الواثق ونساء القاضي ابن أبي الشوارب يتعهدن أمرها.

ثمّ دهمهم موت الوزير عبيد الله بن الخاقان وخروج الزنوج بالبصرة والصفّار إلى العراق فتركوها[1].

وجاء في آخر خبر ابن خاقان: أنّ الجارية إنما تُوُهم عليها الحمل، فوُكّل بها نساء يلازمنها حتّى يتبيّن أمرها، فلم يزل اللواتي وُكّلن بحفظ الجارية ملازمين لها حتى تبيّن بطلان ذلك.

فلمّا بطل الحمل قُسّم ميراثه وادّعت أُمّه أنها وصيّته، وثبت ذلك عند القاضي (ابن أبي الشوارب) فقُسّم ميراثه بين أُمه وأخيه جعفر. ومع بطلان الحمل لم يزل السلطان على ذلك يطلب أثر ولده.

وبعد ذلك جاء جعفر إلى أبي (عبيد الله بن خاقان) وقال له: اجعل لي مرتبة أخي، وأُوصلُ إليك في كل سنة عشرين ألف دينار!

فقال له أبي: يا أحمق! إنّ السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك، فلم يتهيّأ له ذلك! فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك أن يرتّبك في مراتبهما السلطان أو غير السلطان،

---

(١) انظر بعضه في دلائل الإمامة: ٢٢٣.

وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا. ثمّ أمر أبي حاجبه أن يحجبه عنه فلم يأذن له بالدخول عليه حتى مات أبي[١].

وفود الأموال من قم والجبال:

أسند الصدوق عن سنان الموصلي قال: لمّا قُبض سيدنا أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، وفدت وفود بالأموال من قم والجبال، كما كانت تُحمل على الرسم والعادة من دون أن يعلموا بوفاته عليه السلام. فلمّا وصلوا سامرّاء وسألوا عن سيدنا الحسن عليه السلام وقيل لهم بوفاته قالوا: فمن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي! وقد خرج اليوم يتنزّه فركب زورقاً في دجلة ومعه المغنون وهم يشربون!

فتوقّفوا وتشاوروا وقال بعضهم: امضوا بنا حتى نردّ هذه الأموال على أصحابها، فهذه ليست من صفات الإمام! وكان فيهم محمد بن جعفر الحميري القمي فقال لهم: بل قفوا بنا حتى يرجع ونختبر أمره.

فلمّا عاد دخلوا عليه فسلموا وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم، ومعنا جماعة من الشيعة وغيرهم، وكنا نحمل أموالاً إلى سيدنا أبي محمد الحسن. ولها خبر طريف! قال: وما هو؟ قالوا: إنّ هذه الأموال تُجمع من عامة الشيعة ويكون فيها الدرهم والدرهمان! ثمّ يجعلونها في كيس ويختمون عليه. وكنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً، من عند فلان كذا ومن فلان كذا، حتى يأتي على أسماء الناس كلّهم ويقول ما على الخواتيم من نقوش!

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٠٥، ٥٠٦، الحديث ١، باب مولد العسكري عليه السلام، وفي كمال الدين: ٤٠ ـ ٤٤ وفيه: لازموها سنتين!

فقال لهم: كذبتم، إنكم تقولون على أخي ما لم يفعله، فهذا «علم الغيب» ولا يعلمه إلّا الله! وقال لهم: احملوا هذا المالي إليّ.

فقالوا: إنا قوم وكلاء مستأجَرون لأرباب المال ولا نسلّم المال إلّا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا أبي محمد الحسن، فإن كنت الإمام فبَرهِن لنا، وإلّا رددناها إلى أصحابها يرون رأيهم فيها.

فاستعداهم جعفر إلى المعتمِد العباسي وأحضرَهم لديه، فقال لهم الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر! قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين! إنّا قوم وكلاء مستأجَرون لأرباب هذه الأموال، وهي ودائع لجماعات أمرونا أن لا نسلّمها إلّا بدلالة وعلامة، جرت بها العادة مع أبي محمد الحسن.

فقال الخليفة: وما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد؟

قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها وكم هي الأموال؟ فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه دلالتنا معه وعلامتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر! فليُقِم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه، وإلّا رددناها إلى أصحابها.

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين! هذا «علم الغيب» وهؤلاء قوم كذّابون يكذبون على أخي بهذا!

فقال الخليفة: القوم رسل، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾! فلم يرد جعفر جواباً.

فقال قائل القوم للخليفة: يتطوّل أمير المؤمنين! باصدار أمره إلى أن يبَدرِقونا (يشايعوننا) حتى نخرج من هذه البلدة! فأمر لهم بنقيب (من الشرطة) فأخرجوهم من سامرّاء.

فلمّا أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام من أحسن الناس وجهاً، فناداهم: يا فلان ويا فلان! أجيبوا مولاكم! قالوا: أنت؟ قال: أنا عبد مولاكم فسيروا إليه.

فساروا معه حتى دخلوا دار المولى الحسن عليه السلام فإذا ولده سيدنا القائم قاعد على سرير، وكأنه فلقة قمر! وعليه ثياب خُضر! فسلّموا عليه فردّ عليهم السلام ثمّ قال لهم: جملة المال كذا وكذا ديناراً حَمّل فلان كذا، وحَمّل فلان كذا، حتى وصف كلّها، ووصف ثيابهم ورحالهم ودوابّهم!

فسجدوا شكراً لله لما عرّفهم وقبّلوا الأرض بين يديه وسألوه مسائل فأجابهم، وحملوا إليه الأموال. فقال لهم: لا تحملوا بعدها شيئاً من المال إلى سامرّاء بل إنه ينصب لهم «ببغداد» رجلاً يحملون إليه المال وتخرج من عنده «التوقيعات».

ثمّ دفع إلى محمد بن جعفر الحميري القمي كفناً وحنوطاً وقال له: أعظم الله أجرك في نفسك!

فلمّا بلغ أبو العباس محمد الحميري عقبة همَدان توفي رحمه الله[1] فاختصر بل اختزل أبو الأديان هذا البيان كلّه في كلمات وأوهم أنها كانت يوم بل حين تشييع الجنازة والصلاة عليها، وهو غير معقول تقريباً!

نقل الصدوق الخبر ثمّ علّق عليه قال: لماذا كفّ عمّا مع القوم من الأموال بل ودفع جعفراً الكذاب عن مطالبته إياهم، ولم يأمرهم بتسليمها إليه؟!

وأجاب: إنّ هذا الخبر يدل على أنّ الخليفة (المعتمد) كان يعرف هذا الأمر من أين هو وكيف هو وأين موضعه! إلّا أنّه كان يحب أن يخفى هذا الأمر ولا ينتشر، لئلّا يهتدى الناس إليه فيعرفونه. ثمّ نقل هنا آخر خبر ابن خاقان في

---

(١) كمال الدين: ٤٧٦ ـ ٤٧٨، الحديث ٢٦، الباب ٤٣.

عرض جعفر على أبيه العشرين ألف دينار، ليجعل له مرتبة أخيه الحسن العسكري عليه السلام، وجواب أبيه الخاقان، إلّا أنّه بدّله بالخليفة نفسه[١].

فإما أن يكون هذا من الصدوق سهواً، أو أنه يرى أنّ هذا العرض على الوزير لا يكون له رأساً مستقلاً بل بوصفه وزيراً للخليفة فالعرض عليه بالحقيقة، ولا يبعد أن يكون هذا بعد أن رأى من الخليفة المعتمد من تعمّد إغفاله وإهماله والتسامح والتساهل مع أُولئك الشيعة وأموالهم المحمولة الحاضرة!

ولعلّ أحمد بن خاقان لم يُحط علماً بسوابق هذا العرض من جعفر على أبيه وخلفياته فأخبر بما علِم.

هل كنّ الجواري عند العَمري؟:

مرّ الخبر أنّ العسكري عليه السلام نعى نفسه إلى والدته سليل جدّة الحجة عجل الله فرجه وأرسله معها إلى الحج ثمّ إلى المدينة، إلّا أنها بعد علمها بوفاته عليه السلام عادت إلى سامراء، ولم يكن جعفر منها فنازعها الميراث فادّعت الوصية عن ابنها الحسن عليه السلام وحكم لها بذلك القاضي ابن أبي الشوارب الأُموي العبّاسي!

وبلا استناد إلى خبر خاص تحدّث من قدماء الشيعة الشيخ علي السدّآبادي: أنّ العسكري عليه السلام لما أدركته وفاته أمر وكيله الشيخ عثمان بن سعيد الأسدي العَمري أن يجمع له جمعاً من شيعته، فأخبرهم بابنه الحجة وأنه صاحب الأمر بعده، وأنّ أبا محمد عثمان العَمري، بابه ووكيله وسفيره بينه وبينهم، فمن كانت له حاجة فليقصده كما كان. ثمّ سلّم إليه أمر جواريه بما فيهن والدة الحجة (عجل الله تعالى فرجه).

---

(١) كمال الدين: ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

فلمّا قُبض العسكري عليه السلام تسلّم العمريّ أمرهن، فسعى جعفر إلى المعتمِد في جواري أخيه عند العَمري وقال له: إنّ في هذه الجواري جارية حُبلى إذا ولدت ولداً يكون على يده ذهاب دولتكم! فأنفد المعتمد إلى الشيخ العَمري وأمره أن ينقلهنّ إلى دار القاضي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الأُموي، أو بعض شهوده، حتى يُستبرأنَ من الحمل. فسلّمَهن إلى بعض عدولهم (؟)

فأقمن الجواري عند ذلك العدل سنة، ثمّ ردّهن إلى الشيخ العمري وفيهن والدة الحجة (عجل الله تعالى فرجه) فلمّا تسلّمهن الشيخ العَمري انتقل إلى بلده بغداد ونقلهنّ معه.

فكانت الشيعة تقصده من كل بلد بحوائجهم في قصاصات أوراق، فكانت الأجوبة تخرج منه إليهم[1].

وهنا هكذا ينبتر الخبر بلا خبر عن عودة السيّدة نرجس ورجوعها إلى سامراء، ووفاتها ودفنها بدارهم هناك! على المشهور المعروف في ذلك، كما عليه الشيعة اليوم، بل خلفاً عن سلف.

هذا، وقد أسند الطوسي عن هبة الله ابن الكاتب سبط الشيخ محمد بن عثمان العَمري: أنّ جدّه لأُمّه الشيخ عثمان العَمري كان مأموراً بتولّي جميع أُمور العسكري عليه السلام فحضر غسله وتولّى تحنيطه وتكفينه ودفنه[2].

ولم يذكر تسلّمه لجواريه ثمّ نقلَهنّ معه إلى بغداد ثمّ عودتهنّ إلى سامرّاء كما في الأخبار السابقة.

---

(١) المقنع في الإمامة: ١٤٦، وعنه في الأنوار البهية: ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٥٦، الحديث ٣١٨.

عهد

الإمام المهدي عليه السلام

في الغيبة الصغرى

بقي المهدي(عجل الله تعالى فرجه) بسامرّاء:

مرّ الخبر أنّ جعفر بن علي الكذّاب ادّعى كذباً وراثته لأخيه الحسن عليه السلام، واستظهرنا أنه لم يكن من أُمّ الحسن عليه السلام ولذا خاصمها في ذلك ورافعها إلى القاضي ابن أبي الشوارب الأُموي فقضى له.

وقد مرّت أخبار عن عناية العسكريَّين عليهما السلام بأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري من أحفاد عمّهم جعفر الطيار، فلعلّه كان هو أو أحد الجعفريّين أودع صبيّة له في دار العسكريَّين يربّونها، فروى الكليني عن شيخه علي بن محمد بن بندار القمي قال: كان فيما باع جعفر الكذّاب صبيّة جعفرية كانت في دار العسكريَّين، فذهب بعض العلويّين إلى أهل «الناحية» فأعلمهم بالخبر، فبعثوا إلى الذي اشترى الصبيّة من جعفر بثمنها أحد وأربعين ديناراً، وأمروه أن يدفعها إلى صاحبها. فقال المشتري: قد طابت نفسي بردّها وأن لا أرزأ (لا أنقص) من ثمنها شيئاً، فخذوها[1].

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٤، الحديث ٢٩، باب مولد الصاحب عليه السلام.

والمعنيّ بالناحية : الناحية المقدسة للحجة عليه السلام ، وظاهره أنه وإن لم يكن بداره جهاراً ولكنّه كان بسامرّاء سرّاً يعلمه ويعرفه بعض العلويّين فأعلمهم بخبر الصبيّة وبعثوا (؟) بثمنها عن أصحابها من آل جعفر الطيار رضي الله عنه . وكان لهم من المال ما يتصرّفون به وإن كان جعفر الكذّاب حاول أن يجرّدهم منه .

بل أسند الكليني عن شيخه علي بن محمد القمي عن الفضل المدائني الخزّاز (عن) مولى خديجة بنت الجواد عليه السلام (أُخت حكيمة) : أنّ قوماً من الطالبيين بالمدينة كانوا يقولون بالحق، وكانت ترد عليهم وظائف (مالية) في أوقات معلومة ! عن أبي محمد العسكري عليه السلام ، فلمّا مضى أبو محمد عليه السلام ثبت جمع منهم على القول بولده (المهدي عليه السلام) فوردت إليهم وظائفهم (المالية) وقُطعت عن من لم يثبت منهم على القول به عليه السلام[1].

وكان من وكلاء الهادي عليه السلام : فارس بن حاتِم القزويني البغدادي، ثمّ غلا فيه وفتن جمعاً ودعاهم إلى البدع، وبلغ ذلك إلى الإمام عليه السلام فخرج منه كتاب فيه : هذا فارس «لعنه الله» كان يعمل من قبلي (ثمّ كان) فتّاناً داعياً إلى البدعة، فدمه هدر لكل من قتله ! فمن يقتله ويريحني منه وأنا ضامن له على الله الجنة !

وقصد فارس سامرّاء، فأرسل الهادي عليه السلام إلى رجل من مواليه يُدعى الجُنيد أمره بقتل فارس !

فأسند الكشي عن سعد بن عبد الله الأشعري القمي عن جُنيد هذا قال : لمّا أرسل إليَّ أبو الحسن العسكري يأمرني بقتل فارس، قلت : لا، حتى أسمعه منه يقول لي ذلك يشافهني به !

فبلغ ذلك إلى الإمام عليه السلام فبعث إليّ فدعاني إليه، فصرت إليه، فقال لي :

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٥١٨، الحديث ٧، باب مولد الصاحب عليه السلام .

آمرك بقتل فارس بن حاتم! وناولني دراهم وقال لي : اشتر بهذه سلاحاً واعرضه عليَّ.

قال جُنيد : فذهبت واشتريت سيفاً فعرضته عليه فقال : ردّ هذا وخذ غيره. قال : فرددته وأخذت مكانه ساطوراً فعرضته عليه فقال : هذا نعم.

قال جُنيد : وكان فارس يصلّي في المسجد فلما صلّى المغرب وخرج جئته فضربت على رأسه بالساطور وثنّيت عليه فسقط ميتاً، ورميت بالساطور من يدي. ووقعتِ الضجة واجتمع عليه الناس، وإذ لم يوجد هناك أحد غيري أُخذت، ولكنّهم لم يروا معي سلاحاً ولا سكيناً، ولم يروا أثراً للساطور! وطلبوا الزقاق والدور فلم يجدوا شيئاً[1] فأفلتوه. وكان ذلك بعد سنة (٢٤٨هـ)[2].

ثمّ أمر الهادي عليه السلام بعض وكلائه أن يُجروا على الجُنيد هذا قاتل فارس وآخرين معه وظيفة مالية في أوقات معلومة، ولمّا توفي في (٢٥٤هـ) كان يرد كتاب العسكري عليه السلام على وكيله الحسين بن محمد الأشعري القمي البغدادي بالإجراء على الجُنيد كما كان، حتى توفي في (٢٦٠هـ) فورد عليه من الصاحب عليه السلام استئناف الإجراء على الآخرين ولم يرد في أمر الجُنيد شيء. بل ورد نعيه[3]. فعُرف أنه توفي في سنة وفاة العسكري عليه السلام عام (٢٦٠هـ).

فلعلّ هذه المصارف الأولية كانت من أموال الوفدين القميّين : وفدهم في خبر أبي الأديان البصري، ثمّ وفدهم الذي طالبهم جعفر الكذاب ثمّ رافعهم إلى المعتمِد العباسي فسلِموا منه، وقد مرّ خبرهما.

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٢٤، الحديث ١٠٠٦.

(٢) المصدر السابق : ٥٢٧، الحديث ١٠٠٩.

(٣) أُصول الكافي ١ : ٥٢٣، الحديث ١٩.

وممّا يؤكد أنّ «الناحية» يومئذٍ بسامراء: ما أسنده الكليني عن شيخه علي بن محمد بن بندار القمي عن أبي محمد الحسن بن عيسى العُريضي: أنّ مصرياً ورد بمال معه من مصر إلى مكة يسأل عن أبي محمد العسكري عليه السلام، فقيل له: إنّ أبا محمد قد مضى بسامرّاء وخلفه أخوه جعفر، وقيل له: بل إنه مضى عن خلف له بسامرّاء.

فبعث رجلاً من أصحابه يكنّى أبا طالب بكتاب معه إلى سامرّاء! فوردها وصار إلى جعفر وسأله عن برهان فلم يتهيّأ له! فدُل على الباب(؟) فصار إليه وأنفذ الكتاب، فخرج إليه الجواب: آجرك الله في صاحبك فقد مات، وأوصى بالمال الذي كان معه إلى ثقة ليعمل فيه بما يحب[1].

كذا جاء في هذا الخبر ذكر «الباب» بلا تسمية له، ولعلّه لمعلوميته أنه الشيخ عثمان بن سعيد العَمري الأسدي باب الهادي عليه السلام، ومن قِبل العسكري له ثمّ لابنه المهدي عليه السلام في سامرّاء.

إلّا أنّ ذلك لم يكن مشهوراً معروفاً معلوماً لدى عموم شيعتهم عليهم السلام ومنهم أهل قم، فأسند الكليني عن شيخه علي بن محمد بن بندار القمي عن سعد بن عبد الله الأشعري القمي بأنهم لمّا بلغهم مُضيّ العسكري عليه السلام اجتمعوا وفيهم الحسن بن النضر وتكلّموا في الوكلاء، وأرادوا الفحص، فقال الحسن بن النضر أنه يريد الحج، فقال له أبو صدّام(؟) أخِّره هذه السنة فأبى، وأوصى بمال له للناحية إلى أحمد بن يعلى بن حمّاد، وأمره أن لا يُخرج من يده شيئاً إلّا بعد ظهور أمره، وخرج إلى العراق.

ولمّا عاد من سفره حدّث إلى سعد بن عبد الله قال: لمّا وافيت بغداد اكتريت

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٥٢٣، الحديث ١٩.

داراً فنزلتها، فجاءني بعض الوكلاء بثياب ودنانير وخلّفها عندي، فقلت له: ما هذا؟ قال: هو ما ترى! ثمّ جاءني آخر بمثلها، وآخر، حتى ملؤوا الدار! ثمّ جاءني أحمد بن إسحاق الأشعري القمي بجميع ما كان معه، فتعجبت وبقيت متفكراً!

ثمّ وردت عليَّ رقعة من الرجل عليه السلام: إذا مضى من النهار كذا فاحمل ما معك (إلى العسكر = سامراء). فحملت ما معي ورحلت، وصادفت في الطريق صعلوكاً يقطع الطريق في ستين رجلاً معه! فاجتزت عليه وسلّمني الله منه، حتى وافيت العسكر (سامرّاء) ونزلت.

فوردت عليَّ رقعة: أن احمل ما معك (إلينا)؟ فناديت حمّالين حملوه في صِنانهم حتى بلغت دهليز (المنزل؟) فإذا فيه أسود قائم فقال لي: أنت الحسن بن النضر؟ قلت: نعم. قال: ادخل. فدخلت الدار ودلّني على بيت ففرغ فيه الحمالون صنانهم. وكان في زاوية البيت خبز كثير! فأَعطى الأسود كلّ واحد من الحمّالين رغيفين وخرجوا.

ثمّ نوديت: يا حسن بن النضر! وإذا بالصوت من بيت عليه ستر، قال: أحمد الله على ما منّ به عليك ولا تشكّن، وقد ودّ الشيطان أنّك شككت! (ثمّ دخل العبد) وأخرج إليّ ثوبين وقيل لي: خذهما فستحتاج إليهما! فأخذتهما وخرجت[1].

حدّث الحسن بن النضر بهذا لسعد بن عبد الله الأشعري القمي (بقم ظاهراً) قبل شهر رمضان، قال سعد: فلمّا دخل شهر رمضان مات الحسن وكُفّن في الثوبين[2] فإن كان في رمضان من عام (٢٦٠هـ) فذلك يعني أنه انصرف من العراق إلى قم ومات قبل الحج، وخلا الخبر عن ذكر الحج، ولعلّه كان ذلك في رمضان عام (٢٦١هـ) بعد عودته من الحج. وخلا الخبر كذلك عن ذكر عن العَمري

---

(١) و(٢) أُصول الكافي ١: ٥١٧، الحديث ٤.

الأسدي ببغداد أو سامرّاء، وهل كانت داراً جديدة أم دارهم الأُولى؟ فكيف سلمت من مزاحمة جعفر الكذّاب؟

ولئن كان الكليني اكتفى في السفراء بالإشارة بلقب الأسدي إلى أكبرهم وأوّلهم عثمان بن سعيد الأسدي العَمري، فتلميذه وكاتبه ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني (ق٣هـ) علّق عليه على خبر عن الصادق عليه السلام في الغيبتين قال: هذه الأحاديث التي يذكر فيها: أنّ للقائم عليه السلام غيبتين، أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام، وأظهر برهان صدقهم فيها. فأمّا الغيبة الأُولى: فهي الغيبة التي كان فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق سفراء قائمون منصوبون ظاهرون! موجودوا الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم الشفاء من العلم وعويص الحكم، والأجوبة عن كل ما كانوا يسائلون عنه من المعضلات والمشكلات. وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرّمت مدّتها. والغيبة الثانية: هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط[1] بالإجمال بلا تفصيل.

وعلّق على آخر الأحاديث المئة في الباب العاشر من كتابه قال: وهل هذه الأحاديث إلّا دالة على غيبة صاحب الحق.. ثمّ على غيبة السبب الذي كان منصوباً عنه عليه السلام بينه وبين شيعته، وهو اسناد الذي كانوا يُسندون إليه أُمورهم فيرفعها إلى إمامهم في حال غيبته عليه السلام، فصاروا عند رفعه كموات المعز! وقد كان لهم في الوسائط بلاغ وهدى ومسكة عن الإرهاق، حتى أجرى الله تدبيره وأمضى مقاديره برفع الأسباب[2] بلا تفصيل أيضاً، ولعلّ لأنهم كانوا يرون ذلك يومئذٍ توضيحاً للواضح لا طائل تحته.

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١١٥.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ١٢٨.

نعم يُعلم من الخبر التالي : أنّه حتى بعض الوكلاء لم يكونوا يعرفون السفارة :

كان إبراهيم بن مهزيار الأهوازي من وكلاء العسكري عليه السلام وتوفي بعده بقليل، وأوصى بما لديه إلى ابنه محمد، قال : فقدمت العسكر (سامرّاء) وقصدت الناحية، فلقيتني امرأة سألتني : أنت محمد بن إبراهيم؟ قال : قلت : نعم، قالت : انصرف هذا الوقت فإنك لا تصل فيه وارجع الليلة فإنّ الباب مفتوح، فادخل الدار واقصد البيت الذي فيه السراج. قال : فانصرفت ورجعت ليلاً وقصدت الباب فإذا هو مفتوح، فدخلت الدار فإذا بيت فيه سراج فقصدت البيت الذي وصفَته لي، فإذا فيه القبران للعسكريَّين وفيه سراج على قبر العسكري عليه السلام، فقعدت بين القبرين أبكي وانتحب إذ سمعت صوتاً يقول لي : يا محمد! اتّقِ الله وتُب من كل ما أنت عليه، فقد قُلّدت أمراً عظيماً[1]! فلمّا عاد إلى الأهواز حدّث بهذا إلى إبراهيم ومحمد ابني الفرج، فهو بهذا كأنه ادّعى تقليده الوكالة كأبيه، بلا ذكر للسفارة ولا كيفية تحويله الأموال معه.

وكان نصر بن الصبّاح البلخي في مرو إنما كان يعلم بوكالة حاجز الوشّاء للعسكري عليه السلام بسامرّاء ثمّ ببغداد، وكان كاتب خوزستاني في مرو اجتمع عنده مبلغ ألف دينار للناحية، فاستشار نصر البلخي قال : فقلت له : ابعث بها إلى الحاجز، فقال : إن سألني الله عنه يوم القيامة فهو في عنقك؟ قلت : نعم.

قال نصر : ثمّ لقيته بعد سنتين فسألته عن المال؛ فذكر أنه بعث منه إلى الحاجز بمئتي دينار! فكتب إليه : كان المال ألف دينار فبعثت بمئتي دينار، فإن أحببت أن تعامل (!) أحداً فعامل الأسدي بالريّ (محمد بن جعفر).

---

(١) كمال الدين : ٤٨٧، الحديث ٨.

قال نصر: وورد عليَّ نعي الحاجز (في تلك الأيام، فأخبرته) فجزع من ذلك جزعاً شديداً واغتمّ، فقلت له: ولم تغتمّ وتجزع وقد منَّ الله عليك بدلالتين: قد أخبرك بمبلغ المال، وقد نعى إليك الحاجز مبتدئاً[١]! محوّلاً له على محمد بن جعفر الأسدي بالريّ وليس الأسدي العَمريّ في بغداد!

ويظهر من الخبر التالي: أنّ الدار عادت إلى يد الجدّة أُم العسكري عليه السلام:

أسند الصدوق عن جعفر بن عمرو قال: خرجت ومعي جماعة إلى سامرّاء وأُم أبي محمد عليه السلام في الحياة، فكتبوا أسماءهم يستأذنونهم لزيارة المرقدين، وقلت لهم: أما أنا فلا أستأذن فلا تُثبتوا اسمي، فتركوا اسمي. فخرج إلينا: ادخلوا ومن أبى أن يستأذن[٢]!

ويظهر من الخبر التالي: أنها بقيت في الحياة بعد ابنها العسكري عليه السلام بأكثر من عشرين عاماً، وأنّ الشيعة كانوا يفزعون إليها بوصية حفيدها المهدي عليه السلام تستّراً عليه: ذلك ما قالته حليمة أو حكيمة أو خديجة بنت الجواد وأُخت الهادي عليهما السلام في سنة (٢٨٢هـ) بالمدينة لأحمد بن إبراهيم، قال: فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة! فقالت: كما أنّ الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أُخته زينب بنت علي في الظاهر، فكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم يُنسب إلى زينب بنت علي تستّراً على علي بن الحسين[٣].

الأسدي العَمري الأب والابن:

الأب: الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد الأسدي العَمري، وابنه الشيخ

---

(١) كمال الدين: ٤٨٨، الحديث ٩.

(٢) كمال الدين: ٤٩٨، الحديث ٢١.

(٣) كمال الدين: ٥٠١، الحديث ٢٧ و ٥٠٧، الحديث ٣٦.

أبو جعفر محمد، السامرّائيان على عهد العسكريّين عليهما السلام ووكيلاهما، كما جاء في غير واحد من الأخبار عنهما مرّ بعضها، وبعد العسكري وفي أوائل عهد الغيبة الصغرى انتقلا إلى بغداد.

ويظهر من صدر الخبر التالي: أنّ من كان يُدعى بالمختار من المتكلمين من الشيعة المنحرفين كان قد صدّق جعفر بن علي الكذّاب في دعواه الإمامة، وكان يناظر من يلقاه من الشيعة ويحتجّ له على أن لا خلَف غير جعفر!

فكتب الأسديان العَمريان الأب والابن معاً إلى صاحب الزمان عليه السلام بذلك! فخرج إليهما توقيع من صاحب الزمان كانت صورته عند سعد بن عبدالله الأشعري القمي وفيه: «وفّقكما الله لطاعته وثبّتكما على دينه وأسعدكما بمرضاته...

أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن، فإنه عزّ وجل يقول: ﴿**الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[1] كيف يتساقطون في الفتنة ويترددون في الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالاً، فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق؟! أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة؟! أو علموا ذلك فتناسوا أما يعلمون أنّ الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً أو مغموراً؟!

أوَ لم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيّهم واحداً بعد واحد، إلى أن أفضى الأمر -بأمر الله عزّ وجل- إلى الماضي (يعني أباه العسكري) فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. كانوا نوراً ساطعاً وشهاباً لامعاً وقمراً زاهراً. ثمّ اختار الله له ما عنده، فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل، على عهد عهده ووصية أوصى بها إلى وصيّ ستره الله عزّ وجل بأمره إلى غاية، وأخفى

---

(١) العنكبوت: ١ و ٢.

مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ. وفينا موضعه ولنا فضله. ولو قد أذن الله عزّ وجل فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمة؛ لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية وأبين دلالة وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجّته. ولكنّ أقدار الله لا تُغالَب وإرادته لا تُرد وتوفيقه لا يُسبق.

فليدَعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا سُتر عنهم فيأثموا! ولا يكشفوا ستر الله عزّ وجل فيندموا. وليعلموا أنّ الحق معنا وفينا، لا يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفتر، ولا يدعيه غيرنا إلّا ضال غوي، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله[1]!

وكان جعفر بن علي قد كتب إلى بعض الشيعة ببغداد كتاباً يعرّفه فيه بنفسه ويُعلمه أنّه القيّم بعد أخيه وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه بل وغير ذلك من كل العلوم! فحمله الشخص المكتوب إليه إلى الشيخ أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري وأعلمه بالكتاب وأراه إياه، فقرأه، ثمّ كتب إلى صاحب الزمان كتاباً وأدرج معه كتاب جعفر، فخرج الجواب إليه كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي أنفذته في درْجه، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه.. والحمد لله رب العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا. أبى الله عزّ وجل للحق إلّا إتماماً وللباطل إلّا إزهاقاً، وهو شاهد عليَّ بما أذكره ووليّ عليكم بما أقوله، إذا اجتمعنا ليوم لا ريب فيه وسُئلنا عمّا نحن فيه مختلفون.

إنه سبحانه لم يجعل لصاحب الكتاب (جعفر) على المكتوب إليه ولا عليك

---

(١) كمال الدين: ٥١٠، ٥١١، الحديث ٤٢.

ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ولا طاعة ولا ذمة. وسأُبيّن لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى.

يا هذا، يرحمك الله، إنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى، بل خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألبابا، ثمّ بعث إليهم النبيين عليهم السلام مبشّرين ومنذرين يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته، ويعرّفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة بينهم وبين من بعث إليهم، بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة.

فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتّخذه خليلاً، ومنهم من كلّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علّمه منطق الطير وأُوتي من كل شيء.

ثمّ بعث محمداً صلى الله عليه وآله للعالمين، وتمّم به نعمته وختم به أنبياءه. وأرسله إلى الناس كافّة، وأظهر من صدقه ما أظهره، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن. ثمّ قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً واحداً. أحيى بهم دينه وأتمّ بهم نوره.

وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمّهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيّناً، يُعرف به الحجة من المحجوج والإمام من المأموم؛ بأن «عصمهم» من الذنوب وبرّأهم من العيوب وطهّرهم من الدّنس ونزّههم من اللبس، وجعلهم خزّان علمه ومستودع حكمته وموضع سرّه، وأيّدهم «بالدلائل». ولولا ذلك لكان الناس على سواء ولادّعى أمر الله عزّ وجل كل أحد، ولما عُرف الحق من الباطل ولا العالم من الجاهل.

وقد ادّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادّعاه، فلا أدرى أيـة حالة هي له رجاء أن تتمّ دعواه! أبفقه في دين الله! فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرِّق بين خطأ وصواب. أم بعلم! فما يعلم حقّاً من باطل ولا مـحكماً مـن متشابه. ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها! أم بورع! فالله شهيد على تـركه الصـلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعوذة[1]! ولعلّه قد تأدّى خـبره إليكـم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّ وجل مشهورة قائمة. أم بآية! فليأتِ بها. أم بحجة! فليُقمها. أم بدلالة! فليذكرها.

فالتمِس ـ تولّى الله توفيقك ـ من هذا الظالم ما ذكرتُ لك وامتحنه، وسله عن آية من كتاب الله يفسّرها، أو صلاة فريضة يبيّن حدودها وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره ويظهر لك نقصانه وعَواره، والله حسيبه.

حفظ الله الحق على أهله وأقره في مستقرّه، وقد أبى الله عزّ وجل أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام. وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحق واضمحلّ الباطل وانحسر عنكم. وإلى الله أرغب فـي الكـفاية وجـميل الصـنع والولاية. وحسبنا ونعم الوكيل، وصلّى الله على محمد وآل محمد[2].

وكان ببغداد رجل من الشيعة يُدعى ابن أبي غانم القزويني لم يؤمن بوجود الخلف الحجة بعد العسكري عليه السلام، وكان يشاجر الشيعة في ذلك فـيُدخل عـليهم الريب والشك والحيرة، فكتب جماعة من الشيعة كـتاباً فـي ذلك وأنـفذوه إلى الناحية المقدسة، فورد جواب كتابهم بخطه عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم.. إنه أُنهي إليّ ارتياب جماعة مـنكم فـي الديـن

---

(١) هذا أقدم ما بأيدينا من أخبارهم عليهم السلام عن أربعين المشعوذين من الصوفية وغيرهم.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٨٧ ـ ٢٩٠، الحديث ٢٤٦.

وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أُمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأنّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا «ونحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا»[1].

يا هؤلاء! ما لكم في الريب تردّدون، وفي الحيرة تنتكسون؟! أو ما سمعتم الله عزّ وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقين منهم؟! أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها وأعلاماً تهتدون بها، من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام، كلما غاب علَم بدا علَم، وإذا أفِل نجم طلع نجم. فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أنّ الله أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه! كلّا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون.

وإنّ الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً، على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل! وفينا وصيته وعلمه، ومن هو خلفه ويسدّ مسدّه، لا ينازعنا موضعه إلّا ظالم آثم، ولا يدّعيه دوننا إلّا جاحد كافر! ولولا أنّ أمر الله تعالى لا يُغلب وسرّه لا يُعلن ولا يُظهر، لظهر لكم من حقّنا ما تبهر منه عقولكم ويُزيل شكوككم، لكنّه ما شاء الله كان ولكل أجل كتاب. فاتقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غُطّي عنكم ولا تميلوا عن

---

(١) الصنائع جمع الصنيعة: الاحسان، وجاء في كتاب علي عليه السلام إلى معاوية، نهج البلاغة، كتاب ٢٨ عن الفتوح لابن أعثم ٢: ٩٦١ كما في المعجم المفهرس لنهج البلاغة: ١٣٩٥ ولم نجده في أنساب الأشراف.

(٢) النساء: ٥٩.

اليمين وتعدلوا إلى الشمال. واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنّة الواضحة. فقد نصحت لكم والله شاهد عليَّ وعليكم.

ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم والإشفاق عليكم؛ لكنّا في شغل عن مخاطبتكم ممّا قد امتُحنّا به من منازعة الظالم العُتلّ الضال، المتابَع في غيّه المضاد لربّه، الداعي ما ليس له الجاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب! ولي في ابنة رسول الله ﷺ أُسوة حسنة! وسيُردي الجاهل رداءة عمله! وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار!

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلّها برحمته، فإنه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً. والسلام على جميع الأوصياء والأولياء، والمؤمنين ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً[1].

وقد مات جعفر الكذّاب في سنة (٢٧١هـ) وعمره (٤٥) عاماً، فكان كما جاء في أواخر هذه الرسالة: «وسيُردي الجاهلَ رداءة عمله» فهذه الكتب كانت في هذه الفترة العشر سنين بين (٢٦٠هـ) إلى (٢٧١هـ). بل يبدو أنّ الكتابين الآخِرين من هذه الكتب الثلاثة كانا كالكتاب الأول على عهد السفير الأول أيضاً.

وقال الطوسي: وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد.. إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي والأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه، إذا احتاجت إلى السؤال فيه، بالخطّ الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام.. إلى أن توفي عثمان بن سعيد «رحمه الله ورضي عنه» وغسّله ابنه أبو جعفر وتولّى القيام به[2].

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٨٥ ـ ٢٨٧، الحديث ٢٤٥.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٥٦.

ودفنه في الجانب الغربيّ من بغداد في شارع الميدان في مسجد درب جَبَلة يمنة الداخل إليه في قبلة المسجد، في بيت ضيق مُظلم عليه باب إلى جنب محراب المسجد[١] بلا تاريخ.

فروى الصدوق عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه وفيه: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه. عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فإنه لم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّ وجل وإليهم. نضّر الله وجهه وأقاله عثرته».

وفي فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رُزئت ورُزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه. وكان من كمال سعادته: أن رزقه الله عزّ وجل ولداً مثلك يخلفه من بعد ويقوم مقامه بأمره ويترحّم عليه! وأقول: الحمد لله، فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك، وما جعله الله عزّ وجل فيك وعندك. أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفقك، وكان الله لك ولياً وحافظاً، وراعياً وكافياً ومعيناً»[٢].

الشيخ محمد الأسدي العَمري:

أسند الطوسي عن عبد الله بن جعفر الحميري: أنّه لمّا مضى الشيخ عثمان أتتنا الكتب بالخطّ الذي كنّا نكاتَب به بإقامة ابنه أبي جعفر محمد مقامه.

منها ما خرج إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي وفيه: والابن ـ وقاه الله ـ لم يزل ثقتنا في حياة الأب «رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه»

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٥٨.

(٢) كمال الدين: ٥١٠، الباب ٤٥، الحديث ٤١.

يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل «تولّاه الله» فانته إلى قوله وعرّف معاملينا ذلك»[١].

وكأنّه كان في الشيعة من كان بحاجة إلى أن يتبيّن أمر العمريّ الابن، منهم إسحاق بن يعقوب، وكأنه أخو الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، روى الصدوق عنه عن (أخيه) إسحاق بن يعقوب: أنه كتب مسائل أشكلت عليه وسلّمها إلى الشيخ محمد العمري وسأله أن يوصلها، وفيها السؤال عن العمريّ نفسه، قال: فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الدار عليه السلام وفيه: «وأمّا محمد بن عثمان العمري» «رضي الله عنه وعن أبيه من قبل» فإنه ثقتي، وكتابه كتابي»[٢].

أسند ذلك الصدوق عن الكليني في سوى «الكافي» أما فيه فقد أسند عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي: أنه سأل العسكري عليه السلام: عن مَن آخذ وقولَ من أقبل؟ فقال: العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّي يؤديان وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان[٣].

ولذا روى الطوسي عن هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب قال: لمّا كان قد تقدّم النصّ على أبي جعفر محمد بن عثمان بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن العسكري عليه السلام وبعده من أبيه الشيخ عثمان بن سعيد، فلم تختلف

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٢ الحديث ٣٢٤ و ٣٢٥.

(٢) كمال الدين: ٤٨٣ الحديث ٤، الباب ٤٥، والغيبة للطوسي: ٢٩٠، الحديث ٢٤٧ كلاهما عن الكليني، وليس في الكافي. وهو التوقيع الشريف الدال على المراجعة في الحوادث الواقعة إلى فقهاء رواة أخبارهم عليهم السلام. (التقليد وولاية الفقهاء).

(٣) أُصول الكافي ١: ٣٣٠ الحديث ١، باب التسمية.

الشيعة في أمانته ولم يرتابوا في عدالته. كانت التوقيعات تخرج إلى الشيعة في المهمات على يده طول حياته، بالخطّ الذي كانت تخرج في حياة أبيه، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا ترجع إلى أحد سواه.

وظهرت على يده معجزات الإمام، ونُقلت عنه دلائل كثيرة، وأُمور أخبرهم بها عنه، زادتهم بصيرة في هذا الأمر هي مشهورة عند الشيعة[1].

ولوكالته مع أبيه منذ العسكري عليه السلام قال سبطه هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب: أنه كان يتولّى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة! يحمل الناس إليه أموالهم، وهو يُخرج إليهم التوقيعات بخط العسكري عليه السلام في المهمات من أمر الدنيا والدين، وفي ما يسألونه من المسائل، بالأجوبة العجيبة، ثمّ بالخطّ الذي كان يخرج في حياة العسكري عليه السلام، حتى توفي في سنة (٣٠٤هـ) وقال أبو غالب الزراري في آخر جمادى الأُولى سنة (٣٠٥هـ)[2].

وستأتي أخبار وفاته واستخلافه حينها الحسين بن روح النوبختي في حوادث عام (٣٠٥هـ).

حوادث الخمسين عاماً:

بعد أن مرّ ذكر خبر موقف المعتمد العباسي في أحداث وفاة العسكري عليه السلام في (٢٦٠هـ) انصرفنا عن استعراض الأحداث السياسية إلى أخبار السفيرين الأولين في عهد الغيبة الصغرى، فأرى هنا أن أعود إلى استعراض الأحداث السياسية:

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٢، الحديث ٣٢٧.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٦، الحديث ٣٣٤.

سوابق الصفار، وغلبته بطبرستان:

قال المسعودي: كان الليث بن يعقوب الصفّار، في حال صغره صفّاراً، ثمّ خرج في مطوّعة سجستان إلى حرب الشراة الخوارج إلى مدينتهم ممّا يلي بلاد سجستان المعروفة بأوق، واتّصل بدرهم بن نصر، وترقّى به الأمر إلى أن دخل بلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان، ثمّ دخل بلاد هراة ثمّ بلخ، ثمّ عاد إلى بلاد نيسابور فقبض على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (مولاهم) ثمّ رحل إلى بلاد طبرستان والمتغلّب عليها الحسن بن زيد الحسني (الزيدي)[1] وذلك في سنة (٢٦٠هـ).

وكان السلطان المعتمد العباسي قد أرسل رسلاً يطلبون الحسن بن زيد الحسني، فلمّا قصده الصفّار راسلوا السلطان وقصدوا الصفّار برسالة من المعتمد، فانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب في تعقيبه ومعه رسل السلطان، فلمّا رأى بعضهم طاعة رجال الصفّار له وما كان منهم في تلك الحرب، قال له: أيها الأمير! ما رأيت كاليوم! فقال له الصفار: وأعجب منه ما أُريك إياه! ثمّ قربوا من الموضع الذي كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا الكُراع والسلاح والعُدد وبُدر الأموال وجميع ما خلّف في عسكره حين هزيمته، وجدوه على حاله، لم يلتبس أحد من أصحابه بشيء منه ولا دنوا إليه، بل إنما عسكروا بقربه بحيث يرونه بالموضع الذي خلّفهم فيه الصفار. فقال رسول الخليفة: هذه سياسة وريـاضة راضهم الأمير بها إلى أن تأتّىٰ له منهم ما أراده.

وكان الصفار لا يجلس إلّا على قطعة مِسح بطول سبعة أشبار وعرض ذراعين، وإلى جانبه تُرسه يتكئ عليه، فإذا أراد النوم نزع راية فجعلها مخدّته واضطجع على تُرسه. وأكثر لباسه خفتان مصبوغ بلون فاختى!!

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٢.

فقال له بعض من ورد عليه برسالة السلطان : أيها الأمير ! أنت في رياستك ومجلسك ليس في خيمتك إلّا سلاحك ومسح أنت عليه ! واقترح عليه ما ذكر من الأثاث.

فقال له : إنّ رئيس القوم يأتمّ به أصحابه فيما يظهر من أفعاله وسيرته، فلو استعملت ما ذكرت من الأثاث، ائتمّ بي في فعلي مَن في عسكري، ونحن نقطع في كل يوم من المهامة والمفاوز والأودية والقيعان، فلا يصلح لنا إلّا التخفيف.

وكان في عسكره خمسة آلاف جمل وعشرة آلاف حمير شهب عُرفت بالصفّارية ! لحمل الأثقال[1].

وكان قد ضرب ألف عمود من ذهب وألف عمود من فضّة عُدة للنوائب (بدلاً عن بيوت الأموال والخزائن) وانتخب من أصحابه ألف رجل على اختباره لهم والأثر الظاهر منهم ونكايتهم في حروبهم، فجعلهم أصحاب أعمدة الذهب، كل عمود منها فيه ألف مثقال ! ثمّ يليهم في البأس والأثر فوج ثان (ألف رجل) هم أصحاب أعمدة الفضة. فإذا كانت الأعياد، أو الأيام التي يحتاج فيها إلى الاحتفال ومباهاة الأعداء دفع إليهم تلك الأعمدة[2].

وبلغ من طاعة أتباعه وظهور طاعتهم له : أنه رئي رجل من ذوي المراتب من قوّاده والدرع الحديد على بدنه بلا ثوب عليه ! فسُئل عن ذلك فقال : نادى منادي الأمير : البسوا السلاح، وكنت عرياناً أغتسل من احتلام، فلبست الدرع بلا تشاغل بالثياب !

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١١٦ ـ ١١٨.

(٢) مروج الذهب ٤ : ١١٥، ١١٦.

بل تلقّب بأمير المؤمنين، وهو بأرض فارس، وخيله يرعى ويرتع، وأراد الرحيل فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرعي، فأسرع رجل منهم إلى دابته وأخرج الحشيش من فمها وقال بالفارسية يخاطبها: «أمير المؤمنين! دواب را ازتر بُريده است» وتعريبه: إنّ أمير المؤمنين قطع الدواب عن الرُطبة[1]!

هزيمة المعتمد لعسكر الصفّار:

تزامنت أوائل أمر الصفّار مع أوائل مقاتل الزنوج، فاتّهم الصفّار الخليفة بإهماله أمر صاحب الزنج وخرج منكراً عليه وعلى الموالي معه إضاعتهم الدين، وقال في مسيره إليه أبياتاً هي:

خراسان أحويها وأعمال فارس ... وما أنا من ملك العراق بآيس
إذا ما أُمور الدين ضاعت وأُهملت ... ورثّت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمناً ونصرة ... وصاحب رايات الهدى غيرحارس[2]

وكان مسيره نحو العراق في (٢٦٢هـ) في جيوش عظيمة، حتى نزل دير العاقول بين واسط وبغداد على شاطئ دجلة. وبلغ ذلك إلى المعتمد في سامرّاء.

وفي الثالث من جمادى الآخرة استخلف المعتمد ابنه المفوّض وخرج هو من سامراء فعسكر في الموضع المعروف بالقائم من سامرّاء، ثمّ دخل منها إلى بغداد فجازها حتى وصل إلى سيب بني كوما إلى جهة دير العاقول في الخامس من شهر رجب، وفي التاسع منه واقع الصفّار في الموضع المعروف باصطربد بين السيب ودير العاقول. وكان على ميمنته موسى بن بُغا، وفي القلب الموفّق أخو

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٤، ١١٥.

(٢) مروج الذهب ٤: ١١٤.

المعتمد (وعلى ميسرته) إبراهيم بن سيما أو محمد بن اوتامش التركي. وحمل الصفار على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وقتل بيده خلقاً كثيراً، وطعن محمد بن اوتامش، وقصد موسى بن بغا على الميمنة وقتل المغربي المعروف بالمبرقع وخلقاً كثيراً من الناس ثمّ هُزم.

وكان السبب في هزيمة الصفّار في ذلك اليوم: أنّ نصيراً الديلمي مولى الحاجب سعيد بن صالح كان على الشذوات في بطن دجلة، فوافى موخرة عسكر الصفار وسواده، وخرج من دجلة فطرح النار في الخيول والحمير والإبل وهي خمسة آلاف جمل بُخاتي، فتفرقت الإبل في ذيل العسكر وشردت الخيول واضطرب الناس في مصاف الصفار لمّا سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم. وفجّر جيش المعتمد عليه نهر السيب فغشى الماء الصحراء، وعلم الصفار أنّ الحيلة قد توجهت عليه فنجا بنفسه والخواص من أوليائه، وأتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد، فغنموا الأكثر من ماله وعدده وفيها عشرة آلاف رأس من الدواب. وكان معه محمد بن طاهر الخزاعي (مولاهم) مقيداً فأُطلق، وأتاه الموفق ففك قيوده وخلع عليه وردّه إلى مرتبته على خراسان.

وعاد الصفّار إلى الأهواز فاستولى عليها[1].

وفي شعبان (٢٦٢هـ) عاد المعتمد إلى سامرّاء[2].

وحرب الروم والصين عام (٢٦٤هـ):

في سنة (٢٦٤هـ) تجهّز لحرب ثغور الروم عبد الله بن رشيد في أربعة آلاف

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٣ و ١١٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٣١٩.

فارس، فمرّ على سلوقية وخرشنة ثمّ بدندون مدفن المأمون وقتل وغنم، وتوافق لقتالهم بِطريقا سلوقية وخُرشنة فلمّا انصرف من بدندون خرجا عليه بعسكريهما، فأُسر عبد الله بن رشيد وحُمل إلى ملك الروم، فتوافق خمسمئة من المسلمين فحملوا حملة واحدة حتى نجوا على خيولهم، ونزل الباقون فعرقبوا دوابّهم وقاتلوا حتى قتلوا أربعة آلاف وخمسمئة[١]!

وكثر المسلمون في الصين! فخرج فيهم رجل وعظم جمعه وحاصر مدينة خانقوه وهي مدينة حصينة ولها نهر عظيم، وفيها ناس كثير مسلمون ونصارى ويهود ومجوس! وغيرهم، ففتحها عنوة، وقتل ما لا يحصى، ثمّ استولى على كثير من بلاد الصين، ثمّ حاربه ملك الصين فانهزم جمعه[٢].

ابن طولون في الشام:

في (٢٦٥هـ) تمرّد أحمد بن طولون التركي والي مصر، على المعتمِد، فسار بعسكره من مصر إلى سيما وإلى حلب والعواصم في أنطاكية فحاصرها حتى فتحها وقتل سيما، وملك حلب ثمّ دمشق وحمص وحماة وقنّسرين إلى الرّقة، فأمر المعتمد بلعن ابن طولون على المنابر، وأمر ابن طولون بلعن المعتمد، حتى مات في سنة (٢٧٠هـ) وخلفه ابنه خمارويه[٣].

عاقبة يعقوب، وطاعة عمرو:

في شوال سنة (٢٦٥هـ) مات يعقوب الصفار في جُندي شاپور، وخلّف

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري : ١٤٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٢٩.

(٣) تاريخ مختصر الدول : ١٤٨.

في بيت ماله خمسين ألف ألف (مليون) درهم وثمانمئة ألف دينار، وخلفه أخوه عمرو[١].

وكان قد جاء يعقوب رسول من الخليفة المعتمد ليستميله، فأحضره وجعل عنده رغيف خبز يابس يسمّى بالفارسي خوشكار وبصلاً وسيفاً! فقال للرسول: قل للخليفة: إن متّ فقد استراح مني واسترحت منه، وإن عوفيت فليس بيني وبينه إلّا هذا السيف! فإن كسرني وأفقرني عُدت إلى أكل هذا الخبز والبصل! ثمّ مات.

وقام بعده أخوه عمرو بن الليث فكتب إلى الخليفة بطاعته، فولّاه الموفّق أخ الخليفة إصفهان إلى خراسان وسجستان وكرمان حتى السند[٢].

مصير صاحب الزنج:

قال المسعودي: غلب صاحب الزنج على البصرة وأكثر كور الأهواز وما يلي أرّجان من أرض فارس، ومن العراق على واسط إلى النعمانية وشاطئ دجلة إلى جرجرايا من النهروان، وإلى الطفوف من نواحي الكوفة[٣].

قال: وفي ربيع الآخر سنة (٢٦٧هـ) قدّم الموفّق العباسي ابنه أبا العباس إلى سوق الخميس لحرب صاحب الزنج، وكان فيها من قبله صاحبه الشعراني في جمع كثير من الزنوج، فتحصّن بها، ففتحها أبو العباس وقتل من كان فيها من الزنوج وغنم كل ما فيها، وفتح مواضع أُخرى كثيرة. وسار الموفق إلى الأهواز

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٣٠.

(٣) التنبيه والإشراف: ٣١٩.

فأصلح ما أفسده الزنوج وعاد إلى البصرة مُنازلاً لصاحب الزنج بها. وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلاثمئة ألف منهم! واختفى كثير من الناس في الدور والآبار، ويظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والسنانير والفئران حتى أفنوها حتى لم يقدروا على شيء منها، فكانوا إذا مات أحدهم أكلوه! ويراعى بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله! وعدموا الماء العذب.

وذُكر عن امرأة منهم، قال الراوي: كنا على مشرعة عيسى بن أبي حرب إذ رأينا امرأة تبكي ومعها رأس، فقيل لها: ويحك ما لك تبكين؟ قالت: اجتمعوا على أُختي فما تركوها تموت موتاً حسناً! حتى قطّعوها ثمّ لم يعطوني من لحمها شيئاً إلّا رأسها هذا!

وبلغ من أمر عسكره: أنه كان ينادىٰ فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام ومن ولد العباس وغيره من ولد هاشم وقريش والعرب، يُنادى عليها بنسبها: هذه ابنة فلان الفلاني، وتُباع بالدرهمين والثلاثة! فلكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون! يخدمنهم ونساءَهم الزنجيات.

وقد تكلم الناس في مقدار ما قَتل في سنيّ قتاله وحكمه (١٤ عاماً) فمكثّر ومقلّل، وكلا الفريقين يقول في ذلك حدساً وظنّاً إذ كان شيئاً لا يدرك ولا يُضبط، فالمكثّر يقول: إنه أفنى من الناس ما لا يدركه العدد ولا يقع عليه الإحصاء فلا يعلمه إلّا الله! ممّا أباد من أهل الضياع والأمصار والبلدان، والمقلّل يقول: أفنى منهم خمسمئة ألف نفر[1]! ومنهم من يقول: إنّ ذلك كان ألف ألف (مليوناً) وأكثرهم يرى أنّ ذلك لا يحيط به الإحصاء ولا يحصره العدد كثرة وعِظماً!

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٩، ١٢٠.

وكان مقتله في صفر سنة (٢٧٠هـ) وأُدخل رأسه إلى بغداد في أواخر جمادىٰ الآخرة (٢٧٠هـ) وقد زُيّنت له الطرق وعُقدت له القباب، حتى أدخلوه على المعتمد[١].

وكان في كرخ بغداد من فروع دجلة نهر عيسى وانبثق في هذه السنة، ففاض الماء في الكرخ حتى تهدّم سبعة آلاف دار فيها[٢]!

مصير علوي في حكم ابن طولون:

طال المنون ابن طَولون في سنة السبعين بعد المئتين وخلفه ابنه خمارويه.

وقبل موته وقع ما يلي:

روى ابن طاووس عن محمد بن علي العلوي الحسيني المصري قال: سُعي إلى أحمد بن طولون فداهمني أمر عظيم وهمّ شديد من قِبله حتى خشيته على نفسي، فخرجت من مصر إلى الحجّ ثمّ صرت إلى العراق لمشهد مولاي الحسين عليه السلام عائذاً لائذاً مستجيراً به من سطوة ابن طولون، فأقمت بالحائر أُسبوعاً أدعو وأتضرّع ليلي ونهاري.

وبين اليقظة والنوم من ليلة الأحد من الأُسبوع الثاني تراءى لي وليّ الرحمان قيّم الزمان (عجل الله تعالى فرجه) فقلت له: أراد فلان هلاكي فلجأت إلى سيّدي الحسين عليه السلام أشكو إليه عظيم ما أراد بي!

فقال: إذا كانت ليلة الجمعة فاغتسل وصلّ صلاة الليل فإذا سجدت سجدة الشكر فابرك على ركبتيك وادع بهذا الدعاء وذكر لي دعاءً. ثمّ كرّر عليَّ هذا القول والدعاء في كل ليلة قبل الجمعة حتى حفظت الدعاء.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣١٩.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢٨.

وفي ليلة الجمعة اغتسلت ولبست ملابس جديدة وتطيّبت، ثمّ صلّيت صلاة الليل وسجدت سجدة الشكر ثمّ جثوت على ركبتيّ ودعوت الله بالدعاء. فلما أمسيت ليلة السبت أتاني وقال لي: يا محمد، قد أُجيبت دعوتك عند فراغك من الدعاء وقُتل عدوّك (؟) بيد مَن وَشىٰ بك إليه (ابن طولون).

قال: فلما أصبحت ودّعت سيدي الحسين عليه السلام وخرجت إلى مصر، فلما بلغت الأُردن رأيت رجلاً مؤمناً من جيراني بمصر فحدّثني أن أحمد بن طولون قد قبض ليلة الجمعة على خصمي (؟) فلم يصبح حتى ذبح من قفاه! وأُمر به فطُرح في النيل. وكان ذلك عند فراغي من الدعاء كما أخبرني مولاي عليه السلام[1].

أول شأن المهدي الإسماعيلي؛ والقرمطي؟:

في سنة (٢٧٠هـ) ظهرت من اليمن دعوة عبيد الله المهدي الفاطمي الإسماعيلي، وفي (٢٦٨هـ) حجّ فالتقى بقبيلة كَتامة من مصر فصحبهم إلى مصر، ثمّ صحبهم إلى المغرب إذ رأى منهم طاعة وقوة.

وفيها بالكوفة ظهر المدعو بالقرمطي، وكان كيسانياً! يزيد في أذانه: وأن محمد بن الحنفية رسول الله! ويصلّي ويحج إلى بيت المقدس! وإنّما يصوم النوروز والمهرجان[2]! كما ذكره السيوطي.

وسبقه ابن الأثير فذكر قبلتهم بيت المقدس، إلّا أنّه ذكر لهم أذاناً يذكرون فيه كل أُولي العزم، وذكر لهم صلاة خاصة! وأنّ عطلتهم كانت يوم الاثنين لا الجمعة ولا السبت ولا الأحد[3]! وذكر ظهورهم بسواد الكوفة في سنة

---

(١) بحار الأنوار ٥١ : ٣٠٧ عن مهج الدعوات لابن طاووس.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٢٨.

(٣) الكامل في التاريخ ٦ : ٧٠.

(٢٧٨هـ)[١] وكذا اختاره ابن الوردي قال : في (٢٨٧هـ) تحرك بسواد الكوفة نبطي يُدعى بالنبطية : «كرم تيه» أي أحمر العين، فأجابه من السواد والبادية مَن ليس لهم عقل ولا دين، أخرج لهم كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم، يقول «الفرج بن عثمان» من قرية «خصرانة» : إنه داعية المسيح عيسى وهو «الكلمة» وهو «المهدي» وهو «أحمد بن محمد بن الحنفية» وأنه تصوّر في جسم إنسان وقال (لي) : إنك الداعية، وإنك «الناقة» وإنك «الدابة» وإنك يحيى بن زكريا! وإنك روح القدس! وعرّفه : أنّ الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها! وأنّ الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن ثلاث مرات : الله أكبر، ومرتين أشهد أنّ لا إله إلّا الله، ثمّ : أشهد أنّ آدم رسول الله! وأشهد أنّ نوحاً رسول الله، وأشهد أنّ إبراهيم رسول الله، وأشهد أنّ عيسى رسول الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأشهد أنّ أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله! والقبلة بيت المقدس.

ولكنه عن تاريخ ابن المهذب المقري تراجع بتاريخ ظهوره إلى (٢٦٤هـ)، وقال : بل زعموا أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد! قال : ثمّ صدر منهم ما لا يصدر من الكفار»[٢].

فلعلّهم علّلوا دعوتهم إلى الإسماعيلية أولاً إلى حوالي (٢٧٠هـ) ثمّ إلى الكيسانية لمّا رأوها منتشرة في بادية الكوفة وسوادها، وظهروا عام (٢٧٨هـ).

وفيات أصحاب تاريخ وسنن:

في سنة (٢٧٣هـ) توفي محمد بن يزيد بن ماجة القزويني صاحب كتاب

---

(١) الكامل في التاريخ ٦ : ٦٧.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٣.

السنن (معدود مع الصحاح الستة) قال ابن الوردي: وسننه أحسن «الكتب الستة» رحل لطلب الحديث من قزوين إلى الري فالعراق فالشام ومصر، وله تفسير وتاريخ أحسن فيه.

وفي (٢٧٥هـ) مات أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب كتاب السنن أيضاً.

وفي (٢٧٦هـ) مات ابن قتيبة عبد الله بن مسلم صاحب كتاب «أدب الكاتب» و(٦٥) كتاباً آخر.

وفي (٢٧٧هـ) مات يعقوب بن سفيان الفسوي الفارسي قال: وكان «يتشيع»! وله تاريخ[1].

آخر أمر الموفّق مع المعتمد وبدء المعتضِد:

مرّ أن طلحة الموفق العباسي في عهد أخيه المعتمد وباسمه توفّق لإخفاق صاحب الزنج والزنوج معه بالبصرة، ودخل برأسه إلى أخيه ببغداد منتصراً، ومعه وفي مقدمته ابنه أبو العباس عام (٢٧٠هـ).

وفيها أيضاً طال الموت أحمد بن طولون التركي المصري وخلفه ابنه أبو الجيش خمارويه، وجرّد جيشه للشامات. وفي السنة التالية (٢٧١هـ) بدأ النقرس برجلي الموفق وانتهى به بمرض الفيل!

قال المسعودي: في شوال من سنة (٢٧١هـ) وجّه الموفق ابنه أبا العباس لمحاربة جيش أبي الجيش خمارويه، إلى الطواحين من أرض فلسطين، فواقعه فهزمه واحتوى معسكره، وانهزم أبو الجيش إلى مصر، إلّا أنّ غلامه

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٢ وتاريخ الفسوي مطبوع منشور.

سعد الأعسر تخلّف فواقف أبا العباس فهزمه واستباح عسكره، فانهزم أبو العباس إلى العراق[١].

فغضب عليه أبوه الموفّق فأوقفه بدار وزيره إسماعيل بن بلبل الشيباني (مولاهم) مضيقاً عليه، وخرج أبوه الموفق إلى بلاد الجبال فآذربايجان، ووافى من آذربايجان عليلاً مدنفاً متورّماً في بيت من الخشب مبطّناً بالحرير والخزّ، يحملونه على أكتافهم متناوبين، فدخل بغداد في صفر سنة (٢٧٨هـ) واشتدت علّته وأُرجف بموته.

وكان الوزير إسماعيل بن بلبل قد وكّل بأبي العباس مولاه بكتمر ليحبسه في المدائن على أقل من يوم من بغداد، وأيس الوزير إسماعيل من الموفّق فأرسل إلى بكتمر أن ينصرف بأبي العباس إلى بغداد، فدخل إليها من يومه.

وبلغ إسماعيلَ الوزير صلاح حال الموفّق، فأخرج الخدّام: يأنس ومؤنس وصافي الحرمي وغيرهم من خدم الموفق اخرجوا أبا العباس من حبسه في دار ابن إسماعيل الوزير وساروا به إلى الموفق.

وأسرع سائر الخدم مع عامة الناس إلى نهب دور الأجلّة والكتّاب فنهبوها وفتحوا أبواب السجون والجسور فلم يبق أحد منهم في الحديد والمَطبق إلّا أُخرج فكان أمراً فظيعاً!

وخلع الموفق على ابنه أبي العباس وسمّاه المعتضد وانصرفوا من عنده.. ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثمّ توفي في أواخر صفر سنة (٢٧٨هـ) وقام المعتضِد بتدبير أُمور الناس، وخلع ابن عمه جعفر المفوّض بن المعتمِد من ولاية عهده، واستمر إسماعيل بن بلبل في وزارته ثمّ عزل وعذّب حتى

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٢٢.

مات سنة (٢٧٨ هـ) ومات بعده المعتمِد سنة (٢٧٩ هـ) وقتلته مداومته لشرب النبيذ! ثمّ سلّموا على المعتضِد بالخلافة[١].

خلافة المعتضِد:

مرّ الخبر عن عدم اعتماد طلحة الموفق أخو المعتمد على تدبيره، وتولّى هو تدبيره حتى أنه عيّن ابنه أحمد لولاية العهد وأخذ البيعة له بذلك ولقّبه بالمعتضِد، فتولّى بعد أبيه الموفّق وعمّه المعتمِد، وهو في الأربعين من عمره تقريباً. واستوزر عبيد الله بن سليمان. وجعل حاجبه صالح الأمين. وقاضيه إسماعيل بن إسحاق الجهضمي الأزدي مولاهم، وكان مالكياً! وعبد الحميد البصري الحنفي على قضاء شرقيّ بغداد[٢] وأُمّه جارية رومية، وقام مولاه بدر بتدبير خلافته والقوّاد والجيوش وجميع المعارف في الآفاق. ونديمه عبد الله بن حمدون[٣] واتخذ المطامير وفيها صنوف العذاب وعليها نجاح الحرمي[٤].

وكان أبوه الموفق قد غضب عليه فحبسه مدّة، فرأى فيه رؤيا بشّرته بخلاصه وخلافته؛ قال: رأيت كأنّ على دجلة شيخاً جالساً يمدّ يده إلى ماء دجلة فيسحب ماءها حتى تجفّ دجلة، ثمّ يردّه من يده فتعود دجلة كما كانت! وكان حوله ناس سألتهم عنه قالوا: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام فقمت إليه وسلّمت عليه فقال لي: يا أحمد، إنّ هذا الأمر سيصير إليك، فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم! فقلت له: السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين!

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٣٩ ـ ١٤١.

(٢) التنبيه والإشراف: ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٤٢ و ١٤٣.

(٤) مروج الذهب ٤: ١٤٥.

ولذا لما رُفع إليه أنّ محمد بن زيد الداعي العلوي (الحسني) صاحب طبرستان أرسل مالاً إلى بغداد سرّاً ليفرّق في آل أبي طالب، وأُخذ الرجل إليه أنكر عليه إخفاء ذلك! وأمره بإظهاره[١] هذا مع أنه كان سفّاكاً للدماء شديد الرغبة في القتل بالتمثيل! كثير الإقدام عليه قليل الرحمة[٢]!

تولّى في شهر رجب، واتخذ لنفسه مصلى قرب داره، فلمّا كان الفطر صلّى بالناس فيه فكبّر في الأُولى بستّ تكبيرات، وفي الثانية بواحدة، ثمّ صعد ليعقد البيان فتعقّد لسانه فلم يُسمع منه شيء[٣]!

ولم يتساهل مع ابن سهل:

وكأنّ تساهله مع رسول الداعي العلوي الحسني من طبرستان بالأموال إلى رجال منهم ببغداد، جرّأ محمد بن الحسن بن سهل ابن أخ الفضل بن سهل ذي الرياستين على الدعوة لمثله ببغداد ولا سيما بين جماعة من المستأمنين من فلول عسكر صاحب الزنج المدّعى العلوية بهتاناً وزوراً، وكان له كتاب ألّفه من أخبار أنصاره. فأقرّ عليه جمع منهم لدى المعتضد، فلمّا كبست قواته دار ابن سهل أصابوا لديه جرائد بأسماء رجال بايعوه لرجل من الطالبيين؟! فأُخذوا وأُدخلوا

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١٨١. وانظر تفصيل الخبر والرؤيا في الطبري ١٠ : ٤١ فذكر أنّ الرجل هو محمد بن ورد العطار والمال كان اثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها ببغداد والكوفة ومكة والمدينة، والرؤيا بكيفية أُخرى في عام (٢٨٢ هـ).

(٢) مروج الذهب ٤ : ١٤٤.

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٤٥ وقال شعراؤه : ما ذلك من إفحام ولكن من احتشام! وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٢ : أنّ ذلك كان في صلاة الأضحى.

على المعتضِد فأقرّوا بذلك، فأمر بهم فقُتلوا! ثمّ أراد المعتضد بالله من محمد بن الحسن بن سهل أن يدلّه على الطالبي فأبى وقال له: لو شويتني بالنار لما كشفت لك! عمّن أقررت بإمامته ودعوت الناس إلى طاعته، فاصنع ما أنت صانع! فأمر المعتضِد بشَويه على النار، فشدّ بين رماح وأُدير على النار يُشوى كما يُشوى الدجاج حتى مات وتفرقع جسمه ثمّ صُلب في غربيّ بغداد بين الجسرين[١].

فكان هذا مصير هذه الأُسرة بالعراق. وبهذا عُرف مستوى احتساب المعتضِد واقترابه من آل أبي طالب!

ابن أبي دُلف لرافع بن الليث:

مرّ الخبر عن تمرّد يعقوب بن الليث الصفّار حتى وفاته، وخلفه أخوه رافع بن الليث وتحمّل إلى بلاد الري متاخماً لبلاد طبرستان وعليها الداعي العلوي محمد بن زيد الحسني. فكتب المعتضد إلى أحمد بن أبي دلف أن يواقع رافع الصفّار، في أواخر العام الهجري، فسار أحمد إلى رافع فالتقوا حول الريّ لآخر ذي القعدة الحرام، فتحاربوا أياماً حتى ولّى رافع، واستولى ابن أبي دلف على عسكره. ووصل خبرهم إلى بغداد لأوائل ذي الحجة لعام (٢٧٩هـ)[٢].

وفي سنة (٢٨٠هـ) فشا أمر داعي المهدي الفاطمي الإسماعيلي في القَيروان، فقاتله صاحبها صاحب افريقية، فعلا أمر الداعي الفاطمي وزاد ولم يزل يزداد[٣].

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٥٤، ١٥٥.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٥٤.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٣٢.

زواج المعتضِد بقطر الندى:

حيث مات أحمد بن طولون المولى العباسي المتمرّد عليهم بدمشق وخلفه ابنه خمارويه أبو الجيش، وتغيّر الخليفة ببغداد إلى أحمد المعتضد، وجعل وليّ عهده ابنه علياً ولقّبه بالمكتفي بالله، وكان لخمارويه ابنة لقّبها بقطر الندى، فزفّها مع رسوله الحسن بن عبد الله بن الجصاص مع سبعة أشخاص من مصر إلى بغداد ومعهم هدايا كثيرة وأموال جليلة، وليسعوا في تزويج قطر الندى بعليّ المكتفي.

فلمّا وصلوا إلى المعتضد قبلهم وطلع عليهم وتقبّل قطر الندى لنفسه! وكان ابن الجصاص قد حمل معها جوهراً لم يجتمع مثله عند خليفة قط! وكان المعتضِد يومئذ بمدينة بلد، فجعل صداقها ألف ألف (مليون) درهم وطيباً وأمتعة من العراق والهند والصين، فحمل المعتضد ذلك لها على الماء إلى بغداد وانحدر هو من مدينة بلد إليها، وخصّ أباها أبا الجيش ببدرة من الجوهر الثمين فيها أنوك من الجوهر والياقوت وتاج وإكليل ووشاح، فحملوها إلى مصر في رجب سنة ثمانين ومئتين[1].

وقال المعتضد لأصحابه: أكرموها بشموع عنبر، وكان في خزانتهم أربعمئة من أتوار الذهب والفضة وأربعمئة شمعة عنبر، فأعدّوا أربعمئة وصيفة وأوقدوا الشموع في العشاء بأيدي هذه الوصائف قدّام قطر الندى! فاستكثرها المعتضِد وقال لهم: اَطفِئوا شمعنا واسترونا[2].

وكان في جهازها عشر صناديق جوهر فيها أربعة آلاف تكّة مجوهرة[3].

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٤٥، ١٤٦.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٣٧.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٣٢.

وكان من قواد العباسيين بخراسان محمد بن أبي الساج، فاستدعاه المعتضِد وتزوّج ابنته لغلامه بدر بحضرته، ثمّ رحّله من خراسان إلى مراغة من آذربايجان وبها عبد الله بن الحسين متغلّباً، فافتتحها ابن أبي الساج وأخذ عبد الله واستصفى أمواله ثمّ قتله.

وكان قد مات نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان وخلفه أخوه إسماعيل، فسار إلى بلاد الترك وقاتلهم فقتل منهم عشرة آلاف وأسر خمسة عشر ألفاً منهم وهزم ملِكهم طنكش وأسر زوجته خاتون.

وكان الشراة الخوارج من الأباضية في عمان قد بلغوا نحو مئتي ألف، وامامهم الصلت بن مالك، وكان على البحرين أحمد بن ثور، فأثاره المعتضد على الصلت، فصمد إليه بجمعه، فكانت له عليهم وافتتح عمان وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ حمل كثيراً من رؤوسهم إلى المعتضد ببغداد، فنُصبت على الجسور بها.

وكان أعراب بني شيبان ممّا يلي الجزيرة والزاب في الموضع المعروف بوادي الذئاب، كانوا قد عتوا وأكثروا الفساد، فخرج إليهم المعتضد بنفسه مع عسكره فقَتل كثيراً منهم وأَسر ذراريهم ووصل الموصل[1]. كل ذلك في عام (٢٨٠هـ).

وفي سنة (٢٨١هـ) كان في دمشق من قواد العباسيين مولاهم أبو أخشيد طغج بن شبيب، فسار من دمشق في عساكر كثيرة إلى الروم غازياً فدخل طرسوس ممّا يلي درب الراهب وبلاد برغوث حتى فتح مكورية وعاد إلى دمشق.

وبعد هزيمة رافع بن الليث عند جبل الريّ بلغته عن بلاد الجبال اُمور، فحمل معه ابنه علياً المكتفي حتى أنزله بالريّ وولّاه عليها وأضاف إليها من

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٥٥ و ١٥٦.

همَدان إلى قم والريّ ثمّ قزوين إلى زنجان وأبهر! ودعا إليه عمر بن أبي دلف فقلّده الكرخ إلى إصفهان! ولم يعرض لصاحب بلاد طبرستان محمد بن زيد العلوي الحسني[١] وغارت مياه الريّ إلى طبرستان فقحطوا حتى أكلوا الجيف[٢]!

النوروز المعتضِدي رفقاً بأهل الخراج:

أجدب أهل البصرة واعتورهم عمّالهم بالجور في خراجهم، فاجتمع خلق من أهل الرياسة والشرف والعلم ومن خُلطائهم ومتكلميهم، وأولهم أبو خليفة الجُمحي مولاهم! ووفدوا على المعتضد في مراكب بحرية بيض مشحّمة بالشحم والنورة، يشكون إليه ما نزل بهم من الجدب والجور[٣].

ففي (٢٨٢هـ) أمر المعتضد بافتتاح الخراج في النيروز المعتضدي رفقاً بهم وبعامة الناس، وذلك عند ركون الشمس في أواخر الجوزاء في حزيران[٤] فعمّ الناس تأخر الخراج عنهم من إنعام المعتضد عليهم، ونظمه الشعراء فأكثروا ووصفوه فأطنبوا، منهم يحيى بن علي المنجم[٥].

إلّا أنه منعهم والقصّاص من القعود في الطرق، ومنع الورّاقين من بيع كتبهم والفلسفة! وسنن المجوس في النيروز من إيقاد النيران وصبّ المياه[٦]!

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١٥٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٢.

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٤٩، ١٥٠.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٤، وفي الطبري ١٠ : ٣٩ : أنّ ذلك كان لأول سنة (٢٨١ هـ).

(٥) مروج الذهب ٤ : ١٨٢.

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٢، وفي الطبري ١٠ : ٣٩ : كان ذلك في المحرم عام (٢٨١ هـ). وفي : ٥٣ يقول : كان ذلك في جمادى الأُولى عام (٢٨٤ هـ) ثمّ أطلقه لهم!

وفي السنة التالية أشاع المنجّمون : أنه في السنة القادمة تكثر الأمطار فتزيد المياه في الأنهار حتى يغرق العراق إلّا يسيراً من بابل! فقلّت الأمطار وغارت المياه حتى دجلة حتى استسقى الناس ببغداد عدة مرّات[١].

حمْدان جدّ الحمْدانيين:

هو حمدان بن حمدون بن الحارث بن منصور بن لقمان التغلبي، جدّ ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني، جمع جمعه وبنى لهم قلعة سمّاها بالصوّارة (أو ماردين) على عين الزعفران وأنفق عليها أموالاً جليلة وتحصّن بها، فقصده المعتضد بعسكره حتى نزل عند القلعة، فاستأمن إليه ابن حمدان : الحسين، ومن معه من أصحابه، وخرّب المعتضِد القلعة[٢]. وضمّ الحسينَ بن حمدان إلى عسكره، كان ذلك عام (٢٨١هـ).

وفي (٢٨٣هـ) خرج المعتضد بعسكره إلى تكريت لحرب هارون الشاري الخارجي، وأخرج معه الحسين بن حمدان وسيّره لحرب الشاري، فكانت بينهم حروب عظيمة انتهت بغلبة ابن حمدان على الشاري وأسره وأخيه بغير أمان. فألبسه درّاعة ديباج وجعل على رأسه برنس خزّ طويل وأركبه فيلاً، وألبس أخاه مثله وأركبه على بعير ذي سنامين. وعبّأ المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسيّة ببغداد أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة، ونُصبت له القباب وزُيّنت له الطرقات، فشقّوا بغداد إلى القصر الحسني، ودخل المعتضد بقباء أسود وقلنسوة

---

(١) تاريخ مختصر الدول : ١٥١، وتاريخ ابن الوردي ١ : ٢٦٣ كلاهما في عام (٢٨٤هـ).

(٢) مروج الذهب ٤ : ١٥٧.

على فرس، وعلى يساره أخوه عبد الله بن الموفّق وخلفه غلامه بدر ووزيره عبيد الله بن سليمان وابنه القاسم، وهم في أثر الحسين بن حمدان وأصحابه. ثمّ خلع المعتضِد على ابن حمدان وطوّقه بطوق من ذهب، وخلع على رؤساء أهله وفرسانه وأصحابه، وشهرهم في الناس تكريماً وتقديراً لحسن بلائهم وفعالهم، فعلا بذلك أمرهم وشأنهم[1].

كان ذلك في شرقيّ بغداد، فلمّا عاد الناس إلى غربيّه تكاثفوا على الجسر فانخسف بهم كرسيّ أعلى الجسر، وكان تحته زورق مملوء من الناس العابرين، وسقط الجسر عليهم فغرق ممّن عُرف منهم نحو ألف نفر[2]!

وأصبح الصفّار من الأنصار:

لمّا غلب المعتضد ببركة الحسين بن حمدان وعسكره على عسكر الشاري الضاري، وآخرين قبله مثله، ومنهم رافع بن الليث الصفّار، رأى أخوه عمرو بن الليث أن يسالم الخليفة ببغداد.

ففي سنة (٢٨٣هـ) وردت بغداد هدايا من قبل عمرو بن الليث: منها مئة من مهارى خراسان وجمّازاتها، وعليها صناديق كثيرة وفيها أربعة آلاف ألف (ملايين) درهماً، ومن الجمّازات ما تجرّ عربة على عجلات عليها تمثال صنم من صفر مثال امرأة عليها وشاحان من فضة مرصّعة بالجواهر البيض والحُمر،

---

(١) وكان حمدان قد هرب، تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٤ فعاد إلى المعتضد ببغداد واستأمنه فأمنه. مختصر تاريخ الدول : ١٥٠. وفصّل الطبري ١٠ : ٣٩، ٤٠ كيفية حروبه واستجارته وقال : كان معه الأكراد، وفي : ٤٣ و ٤٤ فصل حرب هارون الشاري واشتراط ابن حمدان على المعتضد.

(٢) مروج الذهب ٤ : ١٦٦.

وبين يديها أصنام صغار عليها الجواهر والحلي، أوصلوها إلى المعتضد، ثمّ أمر المعتضِد أن تُرد هذه التماثيل إلى مجلس الشرطة في شرقيّ بغداد فتُنصب للناس ثلاثة أيام!

فاشتغل الناس فيها عن أعمالهم بالنظر إليها! وكانت هي من مغانم عمرو بن الليث من بلاد الهند[١].

وانفصلت مصر ثمّ اتصلت:

تمرّد أحمد بن طولون مولى العباسيين بمصر والشام ومات، فخلفه ابنه أبو الجيش خمارويه على دمشق وجعل ابنه الجيش على مصر، وتودّد للمعتضد بتزويجه ابنته قطر الندى إياه كما مرّ، وكان قد بنى لنفسه قصراً في سفح جبل دير مرّان يشرب فيه الخمر مع غلامه طُغج، وذات ليلة تتآمر عليه عدة من سودان مماليكه فخرج بهما خادمهم إلى أميال من الجبل فرموهم بالنشّاب وقتلوهم[٢].

وحملوا أبا الجيش في تابوت إلى مصر (الفسطاط) وعلى بابه خرج إليه ولده الأمير جيش ومعه الأُمراء والأولياء، وأخرجوا أباه من التابوت وجُعل على سرير فصلّى عليه القاضي العبداني ثمّ دُلّي في قبره[٣].

وفي سنة (٢٨٣هـ) نقم المصريون على الجيش تقدُّمه على أخيه سلامة المؤتمن وتقديمه لغلامه نجح الطولون فشغبوا عليه وقتل أبو محمد المارداني

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١٤٨.

(٢) مروج الذهب ٤ : ١٥٨.

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٥٩.

عليّ بن أحمد المارداني، وخرج قوّاد من عسكره فلحقوا بالمعتضد فخلع عليهم[١] فخلعوا الجيش وأمّروا أخاه هارون فصالح المعتضد كل سنة بمليون ونصف دينار[٢].

وعقاب، وشغب ببغداد:

وكان المعتضِد ولّى الحسبة ببغداد أحمد بن الطيب السرَخْسي من أصحاب يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف، وفي سنة (٢٨٣هـ) رفع إليه تقرير عليه باكتنازه الأموال، فعزله وسلّمه إلى غلامه بدر، فوجّه إلى داره من قرّر جواريه على أمواله حتى استخرجوها وقبضوا على جميع أمواله، فكان جملة ما حصل من ثمن الآلات والعين والورق مئة وخمسين ألف دينار.

واجتمع الخدم في داره إليه وكلّموه بما يلحقهم في الأزقة والشوارع والدروب والطرق من الصغير والكبير من العوام من صياحهم بالسودان منهم: يا عاق يا طويل الساق، وبالحمر منهم: يا عقيق صبّ ماي واطرح دقيق! فأمر المعتضِد فأُخذ جمع منهم وضُربوا سياطاً، فشغبوا لذلك[٣].

الشيعة في حدود (٢٨١هـ):

كان الشيعة يكاتبون إلى الناحية المقدّسة ببعض حوائجهم، منهم: علي بن زياد الصيمري كتب يطلب كفناً لنفسه، وكأنه كان شيخاً كبيراً، فجاءه جوابه:

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٧٠.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٥١، وابن الوردي ١: ٢٣٥.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٧٠، ١٧١، وللتفصيل انظر الطبري ٨: ٥٣، ٥٤.

إنك تحتاج إليه في سنة (إحدى) وثمانين ومئتين، وأُرسل إليه بالكفن في السنة نفسها ومات بعد ذلك بشهر أو شهرين[١].

وكأنّ حالة التقية كانت قد أبقت بعض الشيعة لا يعلم إلى من يفزع في مذهبه بل حتى لا يعرف إمام زمانه معرفة تامة، منهم: أحمد بن إبراهيم قال: في سنة (٢٨٢هـ) حججت وكان قد تعرّف على الهادي عليه السلام وأُخته حكيمة بنت الجواد عليه السلام، فدخل عليها وكلّمها من وراء الحجاب، قال: سألتها عن دينها، فسمّت لي من تأتمّ به حتى ذكرت ابن أخيها الحسن العسكري عليه السلام ثمّ سمّت ابنه. فقلت لها: سميتيه معاينة أو خبراً؟ قالت: بل كتب به أبو محمد (العسكري عليه السلام) إلى أُمه. قلت: فأين هذا المولود؟ قالت: مستور. قلت: فإلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى أُمّ أبي محمد (العسكري جدّة الحجة عليه السلام فقلت: فهل هو أوصى إلى امرأة)؟! قالت: نعم.

فقلت لها: أفأقتدي بمن وصيّته إلى امرأة؟!

قالت: نعم، اقتداءً بالحسين بن علي عليه السلام، فإنه في الظاهر أوصى إلى أُخته زينب بنت علي بن أبي طالب، فكان ما يخرج من علم عن علي بن الحسين يُنسب إلى زينب بنت علي، تستّراً على علي بن الحسين. ثمّ قالت: أنتم قوم أصحاب أخبار، أما رُويتم أن التاسع من وُلد الحسين عليه السلام يُقسّم ميراثه وهو في الحياة[٢]؟!

الأسرى المسلمون والروم:

أجمل القول المسعودي قال: في شعبان من سنة (٢٨٣هـ) كان افتداء الأسرى بين المسلمين والرومان[٣].

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٤، الحديث ٢٧ وكمال الدين: ٥٠١، الحديث ٢٦.

(٢) كمال الدين: ٥٠١، الحديث ٢٧.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٦٩ ـ ١٧٠.

وفي السنة نفسها بلا تعيين الشهر قال ابن العبري: سارت الصقالبة إلى الروم وخرّبوا بلادهم حتى حاصروا القسطنطينية وقاتلوا أهلها فقتلوا منها خلقاً كثيراً، وكان عند الروم أُسارى المسلمين، فلمّا رأى ملك الروم(؟) أنه لا يجد خلاصاً من الصقالبة رأى أن يدفعهم بأسرى المسلمين! وسألهم معونتهم على الصقالبة فأجابوا، فجمعهم وسلّحهم فكشفوهم وأزاحوهم عن القسطنطينية!

ثمّ خاف على نفسه فجرّدهم من السلاح وفرّقهم في بلاد الروم.

ثمّ كان الفداء بين المسلمين والروم، فكان جملة من فودي من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان! ألفين وخمسمئة نفس[1] وذلك يقتضي أنه بعد أن فرّقهم جمَعهم وفادىٰ بهم.

قتل الشاعر ابن الرومي:

عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي امتلك عبداً رومياً يونانياً يدعى جرجيس أو جورج، وأسلم ابنه فسمّى عباساً، وتزوّج حسنة ابنة عبد الله السجزي الخراساني[2] فولدت له ابنين سمّيا محمداً وعلياً، وعُدّوا هؤلاء من موالي الأمير عبيد الله بن عيسى العباسي ببغداد.

وكان عباس ابن الرومي يصادق الراوية الضلّيع في اللغة والأنساب محمد بن حبيب، فاختص علي بن العباس بهذا الشيخ يختلف إليه، ويحدب عليه ابن حبيب لما يراه من ذكائه وحدّة ذهنه[3].

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٥١، وذكر الطبري خبر حرب الصقالبة وإعانة المسلمين للروم عليهم في ١٠: ٤٥، وخبر المفاداة كما هنا في ١٠: ٤٦ على حدة بفاصل بينهما.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني الخراساني: ١٤٥.

(٣) الغدير ٤: ٥٥.

ثمّ تزوج ابن الرومي ورزق ثلاثة أبناء هم : هبة الله ومحمد وثالث لم يذكر اسمه، وماتوا كلهم وهم أطفال أو صبيان فرثاهم أبوهم في شعره[١]. وكان صاحب ضيعة ومالك دارين وثراء وتحف موروثة[٢].

وثار يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بوجه بني العباس بالكوفة، فقاتله الطاهريون موالي خزاعة ببغداد حتى قتلوه، فرثاه علي ابن الرومي بقصيدة تمنّى في آخرها قيام ثائر لآل محمد ﷺ قال خطاباً لبني العباس :

لعلّ لهم في منطوى الغيب ثائراً سيسموا لكم، والصبح في الليل مولج

فقال المعرّي بشأنه : إنّ البغداديين يدّعون أنه متشيّع، ويستشهدون لذلك بهذه الجيمية[٣] وفي نونية يخاطب العلويين ويشير إلى العباسيين يقول :

فاصبروا يهلكهم الله لكم مثل ما أهلك أذواء اليمن
قرب النصر فلا تستبطئوا قرب النصر يقيناً غير ظن!

ويحيى بن عمر الزيدي ومعظم من كان معه كانوا من الزيدية[٤] بل الجيمية الدالة على تشيّعه هي :

لكنّ حبّيَ للوصيِّ مخيِّم في الصدر يسرح في الفؤاد تولّجا
قال النبيّ له مقالاً لم يكن «يوم الغدير» لسامعيه ممجمجا[٥]
من كنت مولاه فذا مولىً له مثلي، وأصبح بالولاء متوّجا[٦]

---

(١) الغدير ٤ : ٥٦.

(٢) الغدير ٥ : ٦٣.

(٣) رسالة الغفران : ٢٤٤.

(٤) الغدير ٤ : ٦٤ ـ ٦٦.

(٥) مجمج في كلامه : لم يبينه.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٨.

وكان يكثر مجالسة القاسم بن عبيد الله، على عهد وزارة أبيه عبيد الله بن سليمان للمعتضد، فبلغ ذلك إلى الوزير فأمر ابنه القاسم بطرده بل بقتله، وكان أعدى الناس لابن الرومي: ابن فراس فدسه عليه فدس إليه خبزاً محلّى بسكّر مسموم فقتله في أواخر جمادى الأُولى سنة (٢٨٣هـ)[1].

كتاب المعتضد بشأن الأُمويين:

كان أهل الفتيا والقُصّاص يقعدون حلقاً في المسجدَين الجامعَين بالجانبَين ببغداد، والباعة يقعدون في رحابهما، وجماعة يسقون الماء فيهما ويترحَّمون على معاوية ويجتمعون على من يناظر أو يجادل في ذلك!

فأمر المعتضد فكُتبت نسخ أمر بقراءتها بالجانبين في الأرباع والأسواق والمحلات، فقرئت عليهم منذ الخامس والعشرين من جمادى الأُولى عام (٢٨٤هـ) إلى العاشر من جمادى الآخرة، فمنعهم من ذلك جميعاً. وفي يوم الجمعة الحادي عشر نودي في الجامعين: بأنّ الذمة بريئة ممّن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل، وأن لا يترحّموا على معاوية ولا يذكروه بخير!

وكان المأمون قد أمر بإنشاء كتاب براءة من معاوية وبني أبيه ليُقرأ على الناس، فأُنشئ ثمّ صُرف عن ذلك فبقي في ديوان الخلافة، وذُكر للمعتضد فأمر بإخراجه وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم العزيز الرحيم.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة، من شبهة قد دخلتهم في أديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها

---

(١) الغدير ٤: ٨٤، ٨٥.

أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفة ولا روية، وقلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتّبعة إلى الأهواء المبتدعة.

قال الله عزّ وجل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] خروجاً عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة، وإيثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة وبتر عنه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه اللعنة! وتعظيماً لمن صغّر الله حقّه وأوهن أمره وأضعف ركنه من «بني أُمية» الشجرة الملعونة! ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة، وأسبغ به عليهم النعمة من أهل بيت الرحمة والبركة.

قال الله عزّ وجل: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين، وفساداً لمن قلّده الله أمره من المسلمين، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجة على الشاكّين، وبسط اليد على المعاندين.

إنّ الله عزّ وجل لما ابتعث محمداً بدينه وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربّه، وأنذرهم وبشّرهم ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له وصدّق قوله واتّبع أمره نفر يسير من بني أبيه، من بين مؤمن بما أتى من ربّه، وبين ناصر له وإن لم يتّبع دينه، إعزازاً له وإشفاقاً عليه، لماضي علم الله فيمن اختاره منهم، ونفذَت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبيّه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميّته، يدفعون من نابذه وينهرون من عازّه وعانده،

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) آل عمران: ٧٤.

ويتوثّقون له ممّن كانفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسّسون له أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به، بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة، ومعدن الحكمة، وورثة النبوة وموضع «الخلافة» وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممّن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم، يتلقّونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبادونه بالعداوة وينصبون له المحاربة، ويصدّون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتّبعه.

وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم مخالفة، وأوّلهم لكل حرب ومناصبةً في كل مواطن الحروب من بدر وأُحد والخندق والفتح، لا يُرفع على الإسلام راية إلّا كان صاحبها وقائدها ورئيسها (هو) «أبو سفيان بن حرب» وأشياعه من بني أُمية الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدّة مواضع، لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب جاهداً ودافع مكايداً وأقام منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقوّل بالإسلام غير منطوٍ عليه وأسرّ الكفر غير مقلع عنه، عرفه بذلك رسول الله والمسلمون فميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبله وولده.

فمما لعنهم الله به على لسان نبيّه وأنزل به كتاباً قوله: ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾[1] ولا خلاف من أحد أنه أراد بها «بني أُمية».

---

(١) الإسراء: ٦٠.

ومنه : قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار يقود به معاوية ويسوق به ابنه يزيد، قال : «لعن الله الراكب والقائد والسائق»! ويروي الرواة عنه قوله : «يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنة و لا نار» وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[1].

ومنه : ما يروون من وقوفه بعد ذهاب بصره على ثنيّة أُحد وقوله لقائده : هاهنا ذببنا محمداً وأصحابه!

ومنه : الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها، إذ ذكروا أنه رأى نفراً من «بني أُمية» ينزون على منبره، فما رُئي ضاحكاً بعدها فأنزل الله عليه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾[2].

ومنه : أنّ رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فاعتلّ بطعامه! فقال النبي فيه: «لا أشبع الله بطنه» فبقي يقول: والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن إعياءً!

ومنه : أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه : يطلع من هذا الفجّ رجل من أُمتي يُحشر على غير ملّتي! فطلع معاوية.

ومنه : أنّ رسول الله ﷺ قال : «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»!

ومنه : الحديث المشهور المرفوع عنه قال : إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي ربّه فيجاب : ﴿ أَآلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

---

(١) المائدة : ٧٨.

(٢) الإسراء : ٦٠.

(٣) يونس : ٩١.

ومنه : انتزاؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً : عليّ بن أبي طالب، ينازعه حقّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضُلّاله وغُواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] يستهوى أهل الغباوة ويموّه بمكره وبغيه على أهل الجهالة، وقد قدّم النبيّ الخبر عنهما إذ قال لعمّار : « تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار ». مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام مستحلّاً للدم الحرام، حتى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من دماء خيار المسلمين، الذابين عن دين الله والناصرين لحقه. مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع، وتبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان، وأن تعلو كلمة الضلالة وترتفع دعوة الباطل. و ﴿ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾[2] ودينه المنصور وحكمه المتّبع النافذ وأمره الغالب، وكيد من كادّه المغلوب الداحض، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن انتهكها، ومنع الحقوق عن أهلها، واغترّه الإملاء واستدرجه الإمهال والله له بالمرصاد.

وممّا أوجب الله به له اللعنة : قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة : مثل : عمرو بن الحمق الخزاعي وحُجر بن عَدي في من قتل من أمثالهم، في سبيل أن يكون له الملك والغلبة والعزة (بالاثم) ﴿ وَلِلهِ الْعِزَّةُ

---

(١) التوبة : ٣٢.

(٢) التوبة : ٤٠.

﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] والله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[٢].

وممّا استحقّ به اللعنة من الله ورسوله: إدّعاؤه «زياد بن سميّة» جرأة على الله، والله يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾[٣] ورسول الله يقول: «ملعون من ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه» وقال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». فخالف (معاوية) حكم الله عزّ وجل وسنّة نبيه ﷺ جهاراً إذ جعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضرّه عهره، فأدخل بهذه الدعوى على أُم حبيبة زوجة النبي ومحرمه من سفر وجهاً ما قد حرّمه الله وكذا في غيرها، وأثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح ما قد حضره الله، ممّا لم يدخل على الإسلام مثله خلل قبله، ولم ينل الدين تبديل مثله.

ومنه: دعاؤه عباد الله إلى ابنه «يزيد» المتكبّر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه له البيعة من خيار المسلمين بالاخافة والتهديد والتوعيد والرهبة والسطوة! وهو يعلم سفهه ومطلع على خبثه ورهقه، ويعاين كفره وفجوره وسكرانه.

فلمّا تمكّن يزيد فيما مكّنه أبوه فيه ووطّأه له وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين.. فظنّ أنه قد انتقم من أولياء الله وبلغ فيه الغاية لأعداء الله، فقال مجاهراً لكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر، شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلّوا واستهلوا فرحاً ... ثمّ قالوا: يا يزيد لا تُشل

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) الأحزاب: ٥.

لست من «خِندف» إن لم انتقم من «بني أحمد» ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء، ولا وحي نزل

وهذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى رسوله وكتابه ودينه، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

وإنّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم: سفكه دم الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه بسيادة أهل الجنة! اجتراء على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة! فبتر الله عمره واجتثّ أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من «بني مروان» من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه، واتخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته واستحلال حرامه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم إياه بالنيران، لا يألونه إحراقاً وإخراباً ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً، ولمن أمّنه الله به إخافة وتشريداً.

حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملؤوا الأرض بالجور والعدوان، وعمّوا عباد الله بالظلم والاقتسار، وحلّت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة.. أتاح الله لهم من «عترة نبيّه وأهل وراثته»! من استخلصهم منهم بخلافته، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين! فسفك الله بهم دماءهم مرتدّين، كما سفك بآبائهم دماء آبائهم الكفرة المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين، ومكّن الله المستضعفين، وردّ الله الحقّ إلى أهله «المستحقين»...

معاشر الناس! فانتهوا عمّا يُسخط الله عليكم، وارجعوا إلى ما يُرضى الله عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما أمركم به وجانبوا ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم والمحجّة البيّنة والسبل الواضحة، و«أهل بيت الرحمة»! الذين هداكم الله بهم بدءاً، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً. وصيّركم إلى الأمن والخفض والعزّ بدولتهم! وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم!

وفارِقوا من لا تنالون القربة إلى الله إلّا بمفارقته، والعنوا من لعنه الله ورسوله (فقولوا): اللهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده. اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدين ومجاهدي الرسول! ومغيّري الأحكام ومبدّلي الكتاب وسفّاكي الدم الحرام. اللهم إنّا نبرأ إليك من موالاة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[1].

يا أيها الناس! تأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها، واعرفوا الحق تعرفوا أهله، فإنه إنّما يبيّن عن الناس أعمالهم، ويلحقهم بالصلاح أو الضلال آباؤهم، فلا تأخذكم في الله لومة لائم، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم وطاعة من تخرجه طاعته إلى معصيتكم لربكم!

وأمير المؤمنين على الله توكله وهو حسبه فيكم، وبالله استعانته فيما قلّده من أُموركم! ولا حول ولا قوة إلّا بالله، والسلام عليكم.

فلمّا رأى وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب عزم المعتضد على إعلان هذا الكتاب وأنه لا يقدر على صرفه عن ذلك، أحضر القاضي يوسف بن يعقوب ابن

---

(١) المجادلة: ٢٢.

القاضي أبي يوسف (صاحب أبي حنيفة) وأمره أن يعمل الحيلة لذلك، وأدخله على المعتضد، فدخل عليه وكان من كلامه معه أن قال له:

يا أمير المؤمنين! إني أخاف من أن تضطرب العامة ويكون منها حركة عند سماعها هذا الكتاب!

قال: إن تحرّكت العامة أو نطقت سأضع فيها سيفي!

قال: يا أمير المؤمنين! إنّ في هذا الكتاب إطراءً على الطالبيين، وها هم في كل ناحية يخرجون! فإذا سمعوا هذا كانوا أبسط ألسنة وأثبت حجةً منهم اليوم! وإذا سمع الناس هذا كانوا أميل إليهم لمآثرهم ولقرابتهم من الرسول صلى الله عليه وآله.

ففتّ هذا المفتي في عضد المعتضد، وقضى هذا القاضي على قناعته بصحة قضاء جدّه المأمون، وخيّب أمله في إحياء كتابه وتجديد عمله، فأمسك المعتضد عن جوابه ولم يأمر فيه بشيء[1]!

وكان قد شاع في الناس أنّ المعتضد أمر بإنشاء كتاب بلعن معاوية وأنه سيُقرأ على منبر الجمعة بعد صلاة الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة، فاجتمعوا لصلاة الجمعة وبعدها بادروا إلى صوب مقصورة الجامع ليسمعوا الكتاب، فلم يُقرأ[2]!

وحاولوا القبض على الوكلاء:

ورُفع تقرير إلى الوزير عبيد الله بن سليمان سمّوا له فيه جميع وكلاء الناحية المقدّسة وأنهم يجبون له الأموال، فرفعه الوزير إلى المعتضد فقال له:

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٥٤ ـ ٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٥٤.

إنّ هذا أمر غليظ فاطلبوا هذا الرجل، دسّوا إليهم قوماً لا يعرفون، بأموال، فمن قبض منهم شيئاً قُبض عليه!

فخرج إليهم من الناحية المقدّسة: بأن يتجاهلوا الأمر ويمتنعوا ولا يأخذوا من أحد شيئاً.

فبثّوا الجواسيس، ولمكان ما كان تقدم إليهم امتنع الوكلاء كلّهم، ومنهم محمد بن أحمد (؟) اندسّ إليه رجل وخلا به وقال له: معي مال أُريد أن أُوصله. قال له محمد: أنا لا أعرف من هذا شيئاً. فلم يزل الرجل يتلطّفه ومحمد يقول: إنك قد غلطت، ويتجاهل عليه[1].

غارة بني طيِّئ على الحجّاج:

كان من تكاليف الأُمراء تأمين السُبل ولا سيما سُبل الحجّاج ذهاباً وإياباً، وكان للمعتضد غلامان يسميّان بجيء، فكان قد جعل الكبير لتأمين سُبل الحجاج. وفي سنة (٢٨٥هـ) اجتمع جمع عظيم من قبيلتي سَنبس ونبهان من عشائر طيِّئ وعليهم صالح بن مدرك الطائي، في الموضع المعروف بقاع الأجفر، وقطعوا السبل على الحجّاج وأخذتهم سيوفهم فقتلوا خلائق منهم، وأخذوا منهم نحواً من ألفي ألف (مليونين) ديناراً، ومات منهم خلائق بالعطش.

وبلغ ذلك جيء الكبير فخرج بعسكره لحرب صالح بن مدرك. فكانت له مع صالح ومن معه من الطائيين حروب عظيمة[2].

وفي سنة (٢٨٦هـ) كان صالح بن مدرك قد خرج ببني طيِّئ إلى ناحية فَيد إلى مكة، وكان المعتضد قد أغار عليهم أبا الأغر السُلمي، فظفر أبو الأغر بصالح

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٥، الحديث ٣٠ وانظر تاريخ الغيبة الصغرى للصدر: ٦٢٩.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٧٢.

في موضع فَيد مكراً! فذهب الأعراب وجمعوا جمعهم ليستنقذوا صالحاً من يده، فعادوا إليه ورئيسهم جحش بن ذيّال، فقاتلهم أبو الأغر حتى قتل رئيسهم ابن ذيّال وأخذ رأسه، وعلم صالح بذلك فلمّا جاءه غلام بطعامه استلب منه سكّينه وانتحر به، فنصب رأسه أبو الأغر بالمدينة فتباشر به الحجّاج.

فلمّا عاد أبو الأغر مع سائر أُمراء قوافل الحجّاج، كانت الأعراب من طيِّئ وأحلافها قد تحشدت واجتمعت في ثلاثة آلاف فارس ومثلهم راجلين، وذلك بين منزل الحاجر ومعدن القرشي، وطالت الحرب بينهم ثلاثة أيام، ثمّ انهزم الأعراب وسلم الناس.

ودخل أبو الأغر بغداد وقدّامه رؤوس صالح وعبده الأسود وجحش بن ذيّال! وأربعة من أبناء عم صالح أُسراء! فطوق المعتضد أبا الأغر بطوق من ذهب وخلع عليه، ونُصبت الرؤوس على الجسور[1].

ومصير ابن الشيخ بآمد:

كان أحمد بن عيسى بن الشيخ عبد الرزاق قد تمرّد بآمد، وبعده تحصّن بها ابنه محمد بن أحمد، فقصده المعتضد بعسكره حتى بثّ جيوشه حولها وحاصرها، ووجّه إليه شعبة بن شهاب اليشكري ليتمّ عليه الحجة، وهو غلام حدث معجب بنفسه أنصت لأقوال السفهاء واستمدّ بآرائهم.

وانتهى الأمر إلى أنه لمّا عظم القتال وجّه إليه المعتضد بالأمان فنزل عليه إلى المعتضد. وتقدّمت عمّته أُم شريف بالشفاعة إليه فشفّعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق عليه العقوبة. وذلك في أوائل عام (٢٨٦هـ)[2].

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٧٥، ١٧٦.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٥٢ ـ ١٥٤.

تعاظم أمر القرامطة:

مرّ الخبر عن نشوء القرامطة في عراق الكوفة، ونجدهم اليوم أنهم تغلّبوا على البحرين! بقيادة أبي سعيد الجنابي، وكان على حرب البصرة أحمد بن محمد الواثقي، وقد استمرّ سور البصرة بعد صاحب الزنج غير حصين، فخاف الواثقي أن يكبسها الجنابي! فكتب بذلك إلى المعتضد، فأطلق لتحصينها أربعة عشر ألف دينار فبُنيت وحُصّنت عام (٢٨٦هـ)[١].

وقال ابن العبري: في سنة (٢٨٥هـ) ظهر بالبحرين أبو سعيد الجنابي ودعا بدعوة القرامطة، فاجتمع إليه جمع من الأعراب حتى قوى أمره؛ فقاتل ما حوله من القرى حتى صار إلى القطيف وتغلّب عليها، ثمّ أظهر أنه يريد البصرة، فلمّا وصل خبره إلى الواثقي كتب إلى المعتضد، فأمر المعتضد ببناء سور البصرة بأربعة عشر ألف دينار[٢].

وقيل: بل في سنة (٢٨١هـ) ظهر رجل في القطيف وادّعى أنه يحيى بن المهدي(؟) وأنه رسول من المهدي عليه السلام إليهم ومعه كتاب منه يدعوهم فيه للتهيّؤ لظهوره فيدعوهم إلى نصرته! فاستجاب له جمع منهم رجل أصله من فارس يدعى أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابي[٣] تحالف مع يحيى بن المهدي وأخذا ينسّقان فيما بينهما لجمع الأنصار وتعبئة الجماهير، فتبعهما جمع كثير من قبائل البادية وسائر الناس.

وبعد أن ازداد أنصاره وقوى أمره استولى بهم على حكم القطيف أولاً،

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٧٥.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٥١.

(٣) لعلّه نسبة إلى جَنابة معرّبة گناوة من موانئ الخليج الفارسي.

ثمّ قصد هجر بجيشه حتى ضمّها إليه، ثمّ عاد إلى جزيرة أوال من جزر البحرين فألحقها بدولته. وخفي في هذه المعارك ذكر يحيى بن المهدي، فلعلّه مات أو قتل أو أن أبا سعيد تخلّص منه[١].

وفي بادئ أمرهم زعموا أن دولتهم هي دولة المهدي المنتظر، إلّا أنّهم لمّا تمكنوا وبنوا عاصمتهم الأحساء لم يبنوا فيها مسجداً، وقال لهم أبو سعيد: إني أعفيكم عن الصلاة والصيام! فهم يقرّون بالإسلام ديناً وبمحمد نبيّاً ولكنّهم لا يصلّون ولا يصومون، ولما يُسألون عن مذهبهم يقولون: إنا أبو سعيديون! ولا يأخذون العشور، ولا الربا، ولهم عبيد كثيرون ثلاثون ألف، فإذا احتاج أحدهم إلى بناء ولا يقدر عليه أمروا بعض العبيد فيبنون له ولا يأخذون منه شيئاً. ولا مسجد لهم ولا صلاة ولا جمعة ولا خطبة! ولا خمور، ولكن بها دور البغاء علناً! ولحومهم من كل شيء حتى الحمير والكلاب برؤوسها! وعُملتهم من الخزف[١]!

وقال المسعودي: في سنة (٢٨٧هـ) خرج أبو سعيد الجنابي إلى هجر فحاصرها، وخرج إليه من البصرة العباس بن عمرو الغنوي (البحراني) في جيش عظيم ومعه خلق من المطوّعة إلى هجر فالتقى هو وأبو سعيد، فكانت بينهم وقائع، انهزم فيها أصحاب العباس وأُسر هو وسبعمئة من أنصاره، فقتلوهم صبراً! سوى من هلك منهم عطشاً في الرمل فأحرقت الشمس أجسادهم، ثمّ منّ أبو سعيد على العباس الغنوي فأطلقه، وعاد إلى حصار هجر حتى افتتحها بعد حصار طويل[٢].

---

(١) أعلام هجر للسيد هاشم الشخص ١: ٨٩، ٩٠.

(٢) أعلام هجر ١: ٩٤ ـ ٩٧.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٧٦.

مقتل العلوي في جرجان:

كانت حكومة العباسيين في خراسان مع آل سامان ومنهم يومئذ إسماعيل بن أحمد الساماني، وتمتدّ حكومته إلى جرجان. وكان قد تغلّب على طبرستان محمد بن زيد العلوي الحسني، وفي سنة (٢٨٧هـ) سار في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم إلى جرجان ليتغلّب عليها، وهم في بياض. وجهّز لهم الساماني جيشاً عليها محمد بن هارون وهم في سوادهم، والتقى الفريقان قرب جرجان، وكانت بينهم وقعة لم يُر مثلها في ذلك العصر، وصبر الفريقان جميعاً. فلمّا رأى محمد بن هارون ثبوت الديلم على مصافّهم لا ينقضون صفوفهم، فرّ للمكيدة، فنقض الديالمة صفوفهم للغنائم، فكرّ عليهم العباسيون السامانيون، وثبت الداعي العلوي مع من وقف لنصره، فأسفرت الحرب وقد أُسر ابنه زيد وقد أُثخن الداعي بالجراح فلم يبقَ إلّا أياماً يسيرة حتى توفي بجراحاته، فدفن قرب مدخل جرجان[١].

وحُمل ابنه زيد إلى إسماعيل بن أحمد الساماني فأكرمه ووسّع عليه، وكان أبوه محمد بن زيد رجلاً ديّناً فاضلاً شاعراً حسن السيرة[٢].

ولمّا بلغ خبر قتل محمد بن زيد العلوي الحسني إلى المعتضد أظهر الحزن له وتأسّف لقتله وأظهر النكير على ذلك[٣].

وفي سنة (٢٨٨هـ) سار الروم إلى بلدة كيسوم فأسروا منهم من الرجال والنساء والصبيان نحو خمسمئة عشر ألف إنسان ونهبوا دورهم[٤].

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١٧٧.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٧.

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٨٣.

(٤) تاريخ مختصر الدول : ١٥١.

آخر أمر المعتضد:

كانت له رغبة في البناء حتى أنه بنى قصراً بطول ثلاثة فراسخ (= ١٥ كم) وسمّاه الثريا وأنفق عليه أربعمئة ألف دينار[١] وكانت له عمارة سمّاها البحيرة صرف عليها ستين ألف دينار، يخلو فيها مع جواريه ومنهنّ خصّيصته دريرة[٢].

وكان له قصر آخر يعرف بالحسنى، وفيه لأربع ساعات خلت من ليلة الثامن من ربيع الآخر سنة (٢٨٩هـ) اعترته غشية فوقع للموت، وهو على ما به من الحال ضجّ غلمانه عند وزيره القاسم بن عبيد الله فأطلق لهم عطاءهم، فلمّا فهم المعتضد ذلك همهم في سكرته، وقدم الطبيب ليجسّ نبضه وهو على ما به من سكرات الموت، فأنف من ذلك وركله برجله، ومات هو من ساعته، فدفن بدار الرخام في الجانب الغربي من بغداد، وهي دار محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (مولاهم) وكان قد أوصى بذلك[٣].

وكان له (٤٧) سنة، نحيفاً متوسطاً، خفيف العارضين يخضب بالسواد[٤].

وأبناؤه هارون وجعفر وعليّ المكتفي وهو وليّ عهده[٥] وله أكثر من عشرة بنات.

وكان أبوه الموفّق قد اختار لتعليم المعتضد أحد فلاسفة الإسلام أحمد بن محمد السرَخسي، وكانت له تآليف جليلة في علوم كثيرة من علوم القدماء

---

(١) مروج الذهب ٤ : ١٤٥.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٤.

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٨٤ و ١٨٥.

(٤) التنبيه والإشراف : ٣٢٠.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٣٧.

والعرب، وكان حسن المعرفة جيّد القريحة بليغ اللسان مليح التصنيف، ولكن كان الغالب عليه علمه لا عقله، فاتّفق أن نادمه المعتضد واختصّه وأفضى إليه بسره فأذاعه فقتله المعتضد!

وكان محمد بن موسى بن شاكر من أصحاب «بيت الحكمة» للمأمون ببغداد وصار وافر الحظّ من الهندسة والنجوم، وكان قد نزل بغداد من صابئة حرّان الشام ثابت بن قُرّة فتعلّم النجوم على محمد بن موسى، وصارت له مؤلّفات كثيرة في التعليمات الرياضية والمنطق والطبّ، فوصله شيخه محمد بن موسى بالمعتضد، فبلغ لديه أعلى المنازل وأجل المراتب، يجلس لديه ويحادثه طويلاً ويضاحكه ويُقبل عليه دون وزرائه وخاصّته[١].

خلافة علي المكتفي بالله:

في سنة (٢٦٤هـ) من أُم ولد تركية اسمها جيجك[٢] ولد لأحمد المعتضد ولد سمّاه عليّاً، ثمّ عهد إليه بأمره من بعده فلقّبه بالمكتفي بالله، وحدّره إلى الرَّقة بالشام، فكان بها لما بلغه موت أبيه وخلافته، وله يومئذٍ نيف وعشرون سنة، ورحل إلى بغداد فوصلها في أواخر جمادى الأُولى سنة (٢٨٩هـ) ونزل القصر الحسني على دجلة، وأخذ له البيعة وزيره القاسم بن عبيد الله، فخلع المكتفي عليه[٣].

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١ : ١٥٢، ١٥٣.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٧، وفي التنبيه والإشراف : ٣٢١ : اسمها خاضع! ولقبها جيجق، وصحّف هذا في تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٠ إلى : حجج!

(٣) مروج الذهب ٤ : ١٨٦.

وقبل انتقاله إلى الرَّقة كان أبوه المعتضد اختار لتأديبه في بغداد من المحدّثين عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا من موالي بني أُمية! لكنّه صاحب «مقتل أمير المؤمنين علي» و«مقتل الحسين»[١] ففي «تاريخ نيشابور» عن ابن أبي الدنيا: أنه لما أفضت الخلافة إلى المكتفي كتب إليه:

إنّ حق التأديب حقّ الأبوة عند أهل الحجى وأهل المروّة
وأحقّ الرجال أن يحفظوا ذا ك ويرعوه أهلُ بيت النبوة!

قال: فحمل إليّ عشرة آلاف درهم[٢]!

وكان أبوه المعتضد قد أخذ من أُناس منازلهم فاتّخذ فيها المطامير للسجناء فأطلقهم المكتفي وهدم المطامير وردّ مواضعها لأصحابها وفرّق فيهم أموالاً ليعيدوا بناء منازلهم فيها[٣]، وكان أبوه المعتضد قد أخذ من أُناس بساتينهم وحتى حوانيتهم ليبنى له فيها قصوره فأمر المكتفي بردّها إليهم[٤].

وكان المعتضد قد خلّف في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف (ملايين) ديناراً، ومن الفضة أربعين ألف ألف (مليون) درهماً، واثني عشر ألف فرس وبغل وجمل وحمير[٥].

وكان المكتفي دقيقاً أسمر اللون أعين قصيراً كبير اللحية، حسن الوجه

---

(١) انظر مقدمة المحقق المحمودي على مقتل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٣٩، ٤٤٠ وقال: وهذا يدل على حياته في أول خلافة المكتفي.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٨٧.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٣٨.

(٥) مروج الذهب ٤: ١٤٤.

والبدن. أفضى إليه الأمر بتوطئة أبيه، فكان ماله جمّاً وجيوشه كثيفة، ولكنه بُلي بكثرة الفتوق واضطراب الأطراف عليه[١].

وتزلزلت بغداد وتكرّرت أياماً، وبالبصرة هبّت أرياح قلعت أكثر نخيلها وغزا المسلمون بلدة أناطوليا الرومية ففتحوها عنوة وغنموا ما لا يحصى[٢].

شؤم القرامطة بالشام:

كانت دمشق والشام ما زالت في حكم هارون بن خمّارويه بن طولون وعنه على دمشق طغج بن جفّ الفرغاني إلى حمص والأُردن. وفي قبائل بني كلاب مما يلي السماوة بالعراق قام أبو القاسم وانتمى إلى آل أبي طالب وإلى القرمطية بما فيها من تخفيف للتكاليف الشرعية ودعوى التناسخية، فتبعه كثير منهم، فسار بهم إلى رَقّة الشام، وكان المكتفي قد خلّف عليها سبك الديلمي فخرج بجنوده والتقى بهم فهزموه وجنوده، وساروا إلى دمشق، وبلغ خبرهم إلى دمشق فخرج إليهم طغج بجنوده فلقيهم بوادي القردان والأفاعي في آخر رجب سنة (٢٨٩هـ) فهزمه القرمطي.

وفي شهر ربيع الأول سنة (٢٩٠هـ) خرج طُغُج لقتالهم فلقيهم، فقتل القرامطةُ جمعاً من أصحابه وهزموهم أيضاً، وتعقّبوهم حتى حاصروا دمشق قرابة أربعة أشهر إلى رجب سنة (٢٩٠هـ) حيث وصلت عساكر المصريين مدداً لطغُج، فانسحب القرامطة إلى مسافة يوم من دمشق في الموضع المعروف بكوكبا وكناكر،

---

(١) التنبيه والإشراف : ٣٢١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣٨.

فتعقّبهم طغج بعساكره وقاتل أبا القاسم القرمطي حتى قتله. فلمّا قُتل القرمطي انسحب المصريون، فلمّا علم القرامطة بذلك بايعوا أبا الحسن أخا أبي القاسم وعاوَدوا حصار دمشق!

وفي أواسط رجب انسحب القرامطة من حصار دمشق إلى حمص فأقاموا عليها، وتوجّه جمع منهم إلى بعلبك حتى أبادوا أهلها!

وتوجّه إليهم من بغداد خليفة السلمي بجنوده حتى نزل بظهر بلدة حلب، فوجّه القرمطي إليه سريّة منهم فالتقوا في عاشر شهر رمضان سنة (٢٩٠هـ) فأتى القرامطة على أكثر من كان مع خليفة! ثمّ اجتاحت القرامطة ما بين حلب وحمص وأنطاكية.

وفي المحرم سنة (٢٩١هـ) نهض إليهم المكتفي من بغداد وأنهض معه الجيوش إلى نواحي البرّ من شيزر، فالتقى بهم وقتل منهم خلقاً وأسر منهم جمعاً كثيراً واستقر بالرّقة. وتحزّب من بقي من القرامطة، فاختفى عنهم أبو الحسن القرمطي بأربعة معه إلى العراق مارّاً بالدالية من نواحي الرحبة، فقبض عليهم عاملها وحملهم إلى المكتفي بالرّقة في أواخر المحرّم سنة (٢٩١هـ) فرحل بهم المكتفي إلى بغداد فدخلها ظافراً لأول ربيع الأول عام (٢٩١هـ).

وقام بين الباقين من القرامطة من قبائل بني كلاب بالأُردن أبو غانم القرمطي لأوائل عام (٢٩٣هـ) وكثر أتباعه منهم وقوى أمره، فصار بهم إلى أذرُعات فبُصرى فالثنيّة وقتل وسبى، وصار إلى طبريّة فقاتل جندها وقتل كثيراً منهم حتى قتل أميرها جعفر بن ناعم وكثيراً من عوام الناس ثمّ صار إلى الموضع المعروف بخندق من أعمال دمشق، وقد أمر المكتفي الحسين بن حمدان التغلبي بمقابلته، فلقيه بها، فانكشف القرمطي منهزماً في البريّة، وذلك في شعبان من سنة (٢٩٣هـ).

وسار أبو غانم القرمطي إلى هيت فقاتلهم وأحرقها وارتحل عنها إلى البرّ، وانفذ المكتفي عدّة قوّاد لمقابلته، فأحاطت العساكر بهم فاختلفت كلمتهم، فلمّا أمسوا قتله بعضهم ليلاً وتفرّقوا عنه، وتقرّب برأسه بعض زعمائهم إلى الخليفة في الخامس من شوال سنة (٢٩٣هـ).

وفي هذه السنة قام بالموضع المعروف بالصوأر على أربعة أميال من برّ القادسية، في الكلبيين أيضاً رجل منهم يسمّى بالفارسية: ذكرويه بن مهرويه! وادّعى القرمطية بما فيها من تخفيف التكاليف والتناسخ، فتبعه منهم جمع كثير! فصار بهم إلى الكوفة وعليها من أصحاب السلطان إسحاق بن عمران، فكشفهم عن الكوفة واستمدّ السلطان، فأرسل إليهم قائده رائق المعتضدي ومعه خادما المكتفي: بشر الأفشيني وجَني الصفواني، وكان ذكرويه قد انسحب ببني كلاب إلى موضعهم من الصوأر في برّ القادسية فلقوهم بها فأتوا على أكثر جيش الخليفة، وذلك في آخر ذي الحجة من سنة (٢٩٣هـ).

ثمّ توجّه ذكرويه بجمعه من بني كلاب إلى تلقّي قوافل الحجّاج في مرجعهم من الحج، وكانت أولى القوافل قافلة خراسان العظيمة وقد نزلت بالمنزل المعروف بواقصة، فأتوا عليها بما فيها!

ثمّ توجّهوا إلى المنزل المعروف بالعقبة وقد نزلت بها قافلة السلطان وعليها أحمد العقيلي ومبارك القمي فقتلهما ومن معهما من الأولياء والرعية!

ثمّ توجّهوا إلى الموضع المعروف بالطليح من الهبير بين الثعلبية وشقوق، فلقي بها قافلة السلطان الثالثة وعليها أحمد بن سيما ونفيس المولّدي فأتى عليهما وعلى غيرهما من الأولياء والقواد وسائر الناس من مختلف المدن أكثر من خمسين ألفاً!

فتجهّز لهم أخو أحمد: القاسم بن سيما ومعه وصيف الخزري في جيش

كثيف من بني شيبان وغيرهم من أولياء السلطان، فانسحب ذكرويه ببني كلاب إلى ما بين الكوفة إلى البصرة، وتبعهم الجيش حتى التقوا في أواخر ربيع الأول سنة (٢٩٤هـ) قرب قرية أوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أخذهم السيف وانهزموا، وأُخذ ذكرويه جريحاً ثمّ مات، فشدّوه على جمل وحملوه وأسراهم ورؤوس قتلاهم فأدخلوهم إلى بغداد في أوائل ربيع الثاني عام (٢٩٤هـ)[١].

هذا ما ذكره المسعودي، واختلف عنه الشاميان أبو الفداء وابن الوردي فأورد: أن مقدّمهم كان معروفاً بالشيخ يحيى، وبعده قام فيهم أخوه الحسين وتسمى بأحمد، ولما غلب على حمص تسمّى بأمير المؤمنين المهدي فادّعى المهدوية! وخطبوا له على منابرها. ثمّ سار إلى حماه والمعرّة وسلمية فسلّموا له بالأمان ولكنه قتل أهلها حتى النساء والأطفال وحتى صبيان المكتب! وأقام بمعرة النعمان أُسبوعين يقتل وينهب ويحرق حتى قتل منهم بضعة عشر ألفاً[٢].

وفي بداية خلافة المكتفي:

فروى الطوسي بسنده عن خادم النوبختي: عبد اللّه الكوفي قال: بعد ما ذُمّ الشلمغاني وخرجت فيه اللعنة سُئل الشيخ أبوالقاسم قيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا مليئة منها؟ فقا لهم: أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وقد قيل له: كيف نعمل بكتب بني فضال وبيوتنا مليئة منها؟ فقال عليه السلام: خذوا بما رووا وذروا ما رأوا[٣].

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣٢٢ ـ ٣٢٦.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١: ٢٣٨، ونحوه في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٣٨.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٨٩ ـ ٣٩٠، الحديث ٣٥٥.

انتقام الروم، وغدرهم، والأتراك:

مرّ الخبر عن غزو المسلمين في الشام للروم ففتحهم بلدة أناطوليا في (٢٨٩هـ) فبعد عامين أي في سنة (٢٩١هـ) في أوائل غوائل القرامطة بالشام اغتنم الروم الفرصة فخرجوا في مئة ألف إلى ثغورهم نحو الشام، فأغاروا عليها وأَحرقوا وسبوا، وكانوا في عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف[١].

وفي آخر عام (٢٩٢هـ) تقدّم المسلمون بتفادى أسراهم بلدة اللامس الحدودية ففدوا ألفاً ومئة وخمسين نفساً من ذكر وأُنثى، ثمّ غدروا فلم يتمّوا[٢] لما رأوا من استمرار دمار القرامطة بالشامات.

وكذا فعل الأتراك في ماوراء النهر في سنة (٢٩١هـ) فخرجوا في خلق كثير لا يحصون كثرة، بحيث كان في عساكرهم سبعمئة قبة، ولا تكون إلّا لرؤسائهم. فسار إليهم الخراسانيون (السامانيون) بجيوشهم فأغاروا عليهم مع الصباح حتى قتلوا منهم خلقاً عظيماً، وانهزم الباقون منهم[٣].

موت المكتفي وخلافة المقتدر:

في أوائل ذي القعدة سنة (٢٩٥هـ) اشتدت علة المكتفي بالله بالذرَب (الإسهال) وله يومئذ إحدى وثلاثين سنة، فأحضر القاضيَين: محمد بن يوسف وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب الأُموي بالولاء وأشهدهما على وصيته بالعهد إلى أخيه جعفر بن الموفّق ولقّب بالمقتدر، وله يومئذ ثلاث عشرة

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ١٥٤.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٩١، وسكت عنه ابن العبري.

(٣) تاريخ مختصر الدول: ١٥٤.

سنة وعلى وزارته العباس بن الحسن بن أيوب[١] كما كان عليها في أواخر أبيه المكتفي[٢].

ولأربعة أشهر من خلافته توافق جمع من كتّابه وقوّاده على خلعه والبيعة لعبد الله بن المعتز، منهم الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي ووصيف بن سوار تكين الخزري وعلي بن عيسى ومحمد بن داود الجرّاح، ومانعهم العباس بن الحسن الوزير ومعه فاتك العضدي فقتلوهما وخلعوا المقتدر وبايعوا ابن المعتزّ لمنتصف ربيع الأول سنة (٢٩٦هـ) وأقاموا على ذلك يوماً وليلة.

ثمّ ثار عدة من خواص الغلمان فقتلوا ابن المعتز وكثيراً من أنصاره وشتّتوا سائرهم وأعادوا المقتدر[٣].

ذلك ما ذكره المسعودي، وقال ابن العبري: أنّ الحسين بن حمدان التغلبي لما غُلب على أمره بخلع المقتدر، واقتدر أنصاره فأعادوه قاتلهم الحسين بن حمدان عامة النهار وانصرف عنهم آخره، فلمّا جنّه الليل سار بأهله وماله عن بغداد إلى الموصل. فلمّا رأى ذلك ابن المعتزّ ركب بجمعه إلى الصحراء عسى أن يتبعه من بايعه، فلمّا لم يلحقه أحد رجعوا واختفوا!

وثار العيّارون والسفلة ببغداد ينهبون الدور ويقتلون، ووقعت الفتنة والقتل والنهب ببغداد، حتى خرج المقتدر بعسكره فقبض على جماعة منهم وقتلهم، فهدأت الفتنة.

ثمّ كتب إلى أبي الهيجاء بن حمدان أخ الحسين بن حمدان يأمره

---

(١) مروج الذهب ٤: ٢٠١ و ٢٠٢.

(٢) التنبيه والإشراف: ٣٢٩.

(٣) التنبيه والإشراف: ٣٢٦، ٣٢٧.

بطلب أخيه الحسين، وكان مع الحسين أخوه إبراهيم فأرسله يطلب له الأمان فأُجيب إلى ذلك، فعاد إلى بغداد وخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وكاشان فسار إليهما.

وفي هذه السنة (٢٩٦هـ) سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة إلى العصر حتى صار إلى أربع أصابع وجمدت المياه والخلّ والبيض، وهلك النخل وكثير من الأشجار[١].

وأمر المقتدر بأن لا يركب اليهود والنصارى إلّا بالإكاف فيعرفوا، وأن لا يُستخدم أحد منهم[٢].

اتّهام الحلّاج بالحوادث:

قالوا: ولد لرجل يدعى المنصور الحلّاج في بلدة من فارس (شيراز) أسماها العرب (البيضاء) وَلد سمّاه حسيناً في سنة (٢٤٤هـ) ثمّ رحل به إلى واسط العراق، ولمّا بلغ السادسة عشرة من عمره حضر حلقة الصوفي سهل بن عبد الله التستري (م ٢٨٣هـ) ثمّ رحل إلى بغداد وحضر حلقة الصوفي الآخر عمرو المكي (م ٢٩٧هـ) ثمّ تزوّج وانتقل إلى حلقة الصوفي الآخر جُنيد البغدادي، وفي سنة (٢٧٠هـ) رحل إلى مكة وأقام بها سنة، ثمّ عاد إلى الأهواز ثمّ رحل إلى طالقان فخراسان ثمّ عاد إلى بغداد وجمع حوله أربعمئة مريد وحجّ بهم! ثمّ بدأ رحلاته إلى خراسان فالأفغان فالهند وكشمير وحتى الصين! ثمّ عاد إلى مكة سنة (٢٩٤هـ) فأقام بها مدة عامين، ثمّ عاد إلى بغداد (٢٩٦هـ) وبها بايع جمع

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٥٥.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤١.

من القادة لابن المعتز وخلعوا المقتدر واتُّهم ابن الحلّاج أنها كانت بإشارته وإثارته وتدبيره وبلغه ذلك فهرب من بغداد إلى شوش مختفياً.

ولعلّه في رحلته هذه كان ما رواه الطوسي عن الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي: أنّ الحلّاج صار إلى قم، وكان معه ابن عمه أو ابن عمّته فأَرسله الحلّاج بكتاب إلى بعض قرابة أبي: علي بن الحسين بن بابويه يدعوه إليه ويقول: إنه رسول الإمام ووكيله! وجاء الرجل بالكتاب وحامله إلى أبي: علي بن الحسين بن بابويه وعنده غلمانه وأصحابه فلمّا قرأ الكتاب خرقه وقال لحامله: ما أفرغك للجهالات! وهزأ به وضحكوا منه. ثمّ نهض إلى دكّانه مع جماعة غلمانه وأصحابه.

وكان الحلّاج قد سبقه إلى الدار التي فيها دكان أبي: ابن بابويه وقد جلس مع ناس جالسين هناك، ولم يكن يعرفه أبي، فلمّا دخل أبي إلى الدار نهض له من كان هناك غيره، فلمّا جلس أبي وأخرج دواته ودفتر حسابه سأل بعض من حضره عن الحلّاج، وسمعه الحلّاج فقال: تسأل عني وأنا حاضر! فقال أبي: أيها الرجل أكبرتك وأعظمت قدرك أن أسألك! فقال: أنا شاهدتك لما خرقت رقعتي! فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً! ثمّ نادى غلامه قال: يا غلام جرّه برجله وقفاه! ثمّ قال له: اتدّعي المعجزات! عليك لعنة الله! وأخرجه الغلام من قفاه، فما رأيناه بعدها بقم[1] فعاد إلى بغداد، وفيها كان ما رواه قبله عن هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب قال: كان لأبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي في أنفس الناس قدر ومحل من العلم والأدب، فراسله الحلّاج يقول له في مراسلته إياه: «إنّي وكيل صاحب الزمان وقد أُمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من نصرتك لتقوىٰ نفسك ولا ترتاب في هذا الأمر»!

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠٢، ٤٠٣، الحديث ٣٧٧.

فأرسل إليه أبو سهل يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يسهل مثله عليك في جَنب ما ظهر على يديك من البراهين والدلائل! وهو أني رجل أُحبّ الجواري وأصبوا إليهن، ولي منهن عدة أتحظّاهن، والشيب يبعدني عنهن ويبغّضني إليهن، واحتاج أن أُخضّبه في كل جمعة، وأتحمّل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلّا انكشف أمري عندهن، فيصير القرب بعداً والوصل هَجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤونته وتجعل لحيتي سوداء فإني طوع يديك وصائر إليك وقائل بقولك وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلّاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته والخروج إليه بمذهبه، فأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً.

وأما أبو سهل النوبختي فقد صيّرها أُحدوثة وضحكة، وشهر أمره عند الكبير والصغير، وأخذ يطنّز به عند كل أحد، حتى كان هذا الفعل سبباً لكشف أمر الحلّاج وتنفير الجماعة عنه[1].

وعن ابن النديم عن عبيد الله بن أبي طاهر: أنّ الحسين الحلّاج كان رجلاً محتالاً مشعوذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية ويتحلّى بألفاظهم، ويدّعي كل علم وهو صفر فيه، وإنما كان يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء. وكان جاهلاً مقداماً متهوّراً جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم، يروم انقلاب الدول، ويُظهر لهم مذاهب الشيعة وللعامة مذاهب الصوفية. وفي تضاعيف ذلك يدّعى أنّ الأُلوهية قد حلّت فيه. بل يدّعي عند أصحابه الأُلوهية وأنه هو هو[2]!

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠١، الحديث ٣٧٦.

(٢) الفهرست لابن النديم، وعنه في هدية الأحباب للقمي: ١٤٢، ١٤٣.

وقال ابن العبري: كان الحسين الحلّاج قدم من خراسان إلى العراق، ثمّ سار إلى مكة فأقام سنة في حجر إسماعيل عليه السلام لا يستظلّ تحت سقف صيفاً ولا شتاءً! ورُئي صيفاً على جبل أبي قبس على صخرة حافياً حاسراً مكشوف الرأس والعرق يجري منه على الأرض!

ثمّ عاد الحلّاج إلى بغداد، وكان ابتداء حاله أنه كان يُظهر الزهد ويُظهر الكرامات، قيل: إنه حرك يده يوماً على قوم فانتثر عليهم دراهم على الوجه الرائج، فقال له بعض من تفهّم أمره: أرى دراهم معروفة معمولة، أما أنا وخلق معي فسنؤمن بك إن نثرت علينا درهماً عليه اسمك واسم أبيك!

فقال: كيف وهذا لم يصنع بعد؟! فقال له: إنّ من يحضر ما ليس بحاضر يصنع ما ليس بمصنوع! فانقطع الحلّاج.

ومع ذلك افتتن به خلق كثير اعتقدوا فيه الربوبية بل الحلول، وقال قومٌ: هو رجل محتال مشعبذ يتعاطى مذاهب الصوفية، ومع ذلك يدّعي أحياناً: أنّ الأُلوهية قد حلّت فيه فهو هو!

ثمّ نُقل عنه إلى الوزير (حامد؟) أنه أحيا أمواتاً! فاستحضره الوزير وسأله عن ذلك فقال: أعوذ بالله أن أدّعي الربوبية أو النبوة بل إنما أنا أعبد الله! فلم يتمكّن الوزير من قتله[1] بل حبسه.

وقال ابن الوردي: قدم من خراسان إلى العراق ثمّ إلى مكة فأقام سنة في حجر إسماعيل عليه السلام صائماً يفطر بثلاث عضّات من خبز وشربة ماء! ثمّ عاد إلى بغداد صوفيّاً من الزّهاد، يُخرج للناس في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٥٦.

فاكهة الصيف! ويمدّ يده في الهواء فيعيدها وفيها دراهم مكتوب عليها: قل هو الله أحد، ويسمّيها دراهم القدرة. ويخبر الناس بما يأكلون وما يدّخرون بل وما يُضمرون! فاعتقد قوم فيه بالحلول! وقال قوم: هو وليّ الله! وقيل: بل هو مشعبذ بل ساحر ماهر[١] فحبسوه.

ظهور المهدي الفاطمي، وأخبار أُخر:

وفي هذه السنة (٢٩٦هـ) تغلّب المهدي (الاسماعيلي) بالمغرب على أمير افريقية زيادة الله بن الأغلب، فهرب هذا منها إلى مصر ثمّ العراق، فخرجت المغرب عن أمر بني العباس يومئذٍ، ودعي بالخلافة فيها للمهدي (الاسماعيلي) وسُلّم عليه بالإمامة، وتمهّدت له المغرب وعظم ملكه وبنى بلدة (المهدية) وبسط في الناس العدل والإحسان فمالوا إليه[٢].

وذكر ابن الوردي قال: على عهد زيادة الله بن عبد الله قوى أمر أبي عبد الله الشيعي (الاسماعيلي) القائم بدعوة الدولة الفاطمية بالمغرب، فأرسل إليه زيادة الله عسكره أربعين ألفاً مع بني عمّه، فهزمهم الشيعي (الاسماعيلي) فضعف زيادة الله ولجأ إلى النوشري عامل العباسيين على مصر، فكتب النوشري بأمره إلى المقتدر، فكتب المقتدر إليه بإمداد زيادة الله بالأموال والعساكر، فماطله النوشري حتى مرض وسقط شعر لحيته وأيس من النوشري حتى تفرق أصحابه عنه، فسار إلى القدس ومات في الرملة فدفن بها[٣].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٤١.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤١.

الجرّاح والنوبختي والعقيقي:

في سنة (٢٩٨هـ) بمصر كادت ضيعة لعلي بن أحمد العقيقي أن تضيع من حقّه، وكأنّه لم ير لحاجته قضاءً إلّا لدى علي بن عيسى الجرّاح وزير المقتدر ببغداد، فرحل إلى بغداد وعاد مقضيّ المرام إلى مصر، وفي بلدة نصيبين بشمال العراق في طريقه إلى مصر، التقى بالحسن بن محمد العلوي فحكى له أمره قال: ذهبت إلى الوزير الجرّاح وسألته حاجتي بشأن ضيعتي بمصر، فقال لي الوزير: إن أهل بيتك كثير فإن ذهبنا نعطي كل ما سألونا طال ذلك! قال: فغضبتُ وقلت له: فإنّي أذهب لأسأل من يكون قضاء حاجتي على يده! فقال الوزير: ومَن هو؟ قلت: الله عزّوجلّ! وخرجت وأنا أقول: في الله درك من كل فائت وعزاء من كل هالك، وانصرفت.

وجاءني رسول من قبل الحسين بن روح فشكوت إليه شكايتي، فذهب وجاءني بمنديل فيه أكفان وحنوط ومئة درهم عدداً ووزناً وقال لي: إنّ مولاي يُقرئك السلام ويقول لك: إنّ هذا منديل مولاك عليه السلام فإذا أهمّك أمر أو غمّ فامسح وجهك بهذا المنديل، وخذ هذه الدراهم وهذه الأكفان وهذا الحنوط، وستُقضى حاجتك هذه الليلة، فإذا عُدت إلى مصر يكون قد مات قبلك محمد بن إسماعيل (؟) بعشرة أيام، ثمّ تموت أنت بعده فيكون هذا كفنك وهذا حنوطك وجهازك! وانصرف الرسول.

وإذا بالباب يُدق وعليه المشاعل، وكان معي غلامي «خير» فقلت له: يا خير، انظر مَن هو ذا؟ فعاد وقال: هذا غلام حُميد بن محمد الكاتب ابن عمّ الوزير الجرّاح، ثمّ أدخله عليَّ فقال لي: يقول لك مولاي حُميد الكاتب: اركب إليّ فقد طلبك الوزير! فركبت فأخذ بي وفُتحت لنا دروب الشوارع إلى شارع الرزّازين فإذا بحُميد ينتظرني فلما رآني ركب وأخذني حتى أدخلني على الوزير الجرّاح فقال لي: يا شيخ، قد قضى الله حاجتك واعتذر إليّ ودفع إليّ كتاباً مختوماً (بشأن حاجتي في ضيعتي) فأخذته وخرجتُ من عنده.

قال الراوي الحسن بن محمد العلوي : حدثني علي بن أحمد العقيقي بهذا في نصيبين في طريقه إلى مصر، ثمّ خرج إلى مصر وأخذ ضيعته بكتاب الوزير الجرّاح، وكان قد مات قبله بعشرة أيام محمد بن إسماعيل(؟) ثمّ توفي العقيقي فكفّن في الأكفان التي دُفعت إليه[١].

مناوشات الروم والمسلمين:

في سنة (٢٩٨هـ) هجم الروم بمراكبهم إلى ساحل الشام وحاصروا حصن القبة قبل اللاذقية طويلاً ولم يغثهم من المسلمين أحد، فافتتحها الروم، ثمّ افتتحوا بلدة اللاذقية وسبوا منها خلقاً كثيراً.

وكانت مناوشات الروم قبلها برّية، فلمّا قدموا هذه المرة بحراً كان المظنون أنّ أهل جزيرة قبرص قد أعانوهم، وقد كان في العهد معهم صدر الإسلام : أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم، وكان من المسلمين على الغزو بالبحر الرومي (الأبيض المتوسط) رجل يدعى دمنانة، فغزا دمنانة في مراكب المسلمين جزيرة قبرص وأقام بها أربعة أشهر يفتح حصونها ويحرق ويسبي منهم في سنة (٢٩٩هـ).

وفي شهر رمضان من هذه السنة هبّت في الكوفة ريح سوداء مظلمة وهطلت ثلوج وبَرد بثقل رطل بالبغدادي، وكان فيها رجفة وزلزلة عظيمة انهدم بها كثير من بنيان المنازل فهلك بها خلق كثير من الناس[٢].

---

(١) كمال الدين : ٥٠٥ و٥٠٦، الحديث ٣٦ باب التوقيعات، وفي الخبر ما يظهر منه أن هذا الإكرام له كان لمكان عمةٍ له كانت في بيت النوبختي.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢١٨.

دفاع العلويين عن قبر علي عليه السلام:

كان في وسط المسجد الجامع بالكوفة موضع كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يجلس فيه للقضاء، فعمد أبو الحسن علي بن إبراهيم العلوي إليه فبنى عليه بناءً، فأنكره العباسيون وهدموه، ثمّ صاروا إلى قبر أمير المؤمنين يريدون هدمه! وثلموا حائطه! فخرج إليهم الطالبيون فقاتلوهم، فقُتل رجل من العباسيين ورجل من الطالبيين.

فحينئذٍ عمد عاملهم على الكوفة ورقاء بن محمد بن ورقاء (الخزاعي) إلى جماعة من الطالبيين فحملهم وحُرمهم وأولادهم مقيّدين إلى بغداد ليُشهروا ثمّ يُحبسوا! فصادف ورودهم وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات، فأحسن إليهم وخلّى سبيلهم[١] في أواخر عام (٢٩٩هـ)[٢].

وفي سنة (٣٠٠هـ) ظهر بالشام محسن بن جعفر (الكذّاب) بن علي ابن الرضا وجمع إليه جمعاً وواقع بهم عامل العباسيين أحمد بن كيغلغ فقاتله فقتله في المعركة أو صبراً وحمل رأسه إلى بغداد فنصب على غربي الجسر الجديد[٣].

بداية الخلافة الفاطمية:

وبدأ ملك العلويين (الفاطميين الاسماعيليين) بافريقية ومصر، أوّلهم: عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام[٤].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٤٩.

(٢) مروج الذهب ٤: ٢١٣.

(٣) المصدر السابق: ٢١٧، وقارن بمقاتل الطالبيين: ٤٤٩.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٤١، ٢٤٢.

وفي (٣٠١هـ) سار المهدي الفاطمي في قبائل البربر أربعين ألفاً إلى الاسكندرية من مصر فقتل فيها وأفسد ثمّ خرج منها إلى بَرقة فسار إليه الجيش العباسي فجرت بينهم حروب حتى انهزم العباسيون، فملك الفاطمي الاسكندرية والفيّوم في هذا العام[١].

وكان جيش المهدي الفاطمي مع ابنه أبي القاسم، فبعث المقتدر إليهم جيشاً فأجلاهم فعادوا.

وفي (٣٠٢هـ) أرسل المهدي العلوي جيشاً من البحر إلى الاسكندرية، فأرسل المقتدر جيشاً مع يونس الخادم، فاقتتلوا خارج الاسكندرية أربع مرات وقُتل بينهم خلق حتى انهزم المغاربة وعادوا إلى بلادهم.

وفي هذه الحال كان كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي مستولياً على سائر بلاد البحرين إلى الأحساء والقطيف وهجر، دخل الحمّام ومعه خادم له صقلي فقتل مولاه، ثمّ استدعى بلسانه أحد كبرائهم فقتله، ثمّ استدعى آخر منهم فقتله، ثمّ استدعى آخر فقتله حتى قتل أربعة منهم ثمّ علموا به فقتلوه، وتغلّب بعده ابنه الثاني أبو طاهر سليمان[٢] ولم يُعلم بين الاسماعيلية وهؤلاء القرامطة أيّة رابطة.

ظهور الأُطروش العلوي:

وفي بلاد الديلم وطبرستان ظهر الحسن بن علي العلوي الأُطروش، وأخرج منها العباسيين سنة (٣٠١هـ) وكان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء، والنحل،

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٢.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٤٥.

وأقام في بلاد الديلم والجيل سنين وأكثرهم على الجاهلية والمجوسية، فدعاهم إلى الإسلام فاستجابوا له وأسلموا، فبنى لهم في بلادهم المساجد[١].

وقال السيوطي: في سنة (٣٠٢هـ) أسلم الديلم على يد الحسن بن علي الأُطروش، وكانوا مجوساً.

قال: وفي هذه السنة ولي وزارة المقتدر علي بن عيسى الجرّاح، فأبطل عن الناس من المكوس ما يعادل في العام خمسمئة ألف دينار! وأبطل الخمور! وسار بالتقوى والعدل والعفّة.

وركب المقتدر فظهر للناس لأول مرة من قصره إلى الشماسية ببغداد، فختن خمسة من أبنائه وحشر معهم طائفة من الأيتام وأحسن إليهم، فغرم على ذلك ستمئة ألف دينار[٢].

دخول النسأي إلى الشام وقتله:

قال ابن الوردي: في سنة (٣٠٣هـ) دخل أحمد بن علي النسأي إلى دمشق فامتُحن في معاوية! طُلب منه أن يروى شيئاً من فضائله فقال: ما يرضى معاوية أن يكون رأساً برأس حتى يُفضَّل؟! فأوقعوا به مكروهاً؟! فحُمل إلى مكة وتوفي بها في هذه السنة ودفن في المَسعى، وهو صاحب كتاب السنن إمام حافظ محدّث[٣] وكتابه في السنن أحد الصحاح الستّ. حكى: أنه لما أتى دمشق وكتب كتاب «خصائص أمير المؤمنين» قيل له: لِمَ لا صنّفت في فضائل الشيخين؟! فقال: دخلت دمشق فوجدت الكثير بها منحرفاً عن علي عليه السلام فصنّفت كتاب

---

(١) مروج الذهب ٤: ٣١٧.

(٢) تاريخ السيوطي: ٤٤٢.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٤٥.

الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى به! فدفعوا في خصييه حتى أخرجوه من المسجد! ثمّ ما زالوا به حتى أخرجوه من دمشق! فرحل إلى الرملة من فلسطين محمولاً مريضاً حتى توفي فيها فدفن بها. أو حُمل إلى مكة فتوفي فيها ودفن بها سنة (٣٠٣هـ)[١].

وخروج ابن حمدان بالعصيان:

في سنة (٣٠٣هـ) كان الحسين بن حمدان التغلبي غالباً على أرض الجزيرة في شمال العراق إلى ثغور الشام على طاعة المقتدر فخرج عن طاعته، فجهّز وزيره القائد رائق الكبير في جيش وسيّره إليه، حتى التقيا واقتتلا قتالاً شديداً حتى انهزم رائق وسواده، فاستدركه مؤنس الخادم بعسكر أكثر، وخافه الحسين الحمداني وعسكره فتفرقوا عنه ورحل هو بأهله وأولاده إلى أرمينية، وأدركه جيش مونس فأسروه وعادوا به إلى بغداد فحُبس بها إلى سنة (٣٠٥هـ) حيث أُطلق فيها أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته (ومنهم الحسين) وأهل بيته[٢].

نهاية نيابة النائب الثاني:

يظهر من الخبر التالي أنه بعد (٣٠٠هـ) بدأ النائب الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري يأمر بعض من يحمل إليه مالاً أن يحمله إلى صاحبه أبي القاسم الحسين بن روح القمي[٣] النوبختي (من قِبل أُمه).

---

(١) هدية الأحباب: ٢٧٢ وقال: ونَسأ بفتح النون اسم بلدة بين أبيورد وسرَخس من خراسان.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٥٥ و١٥٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٥٥٧، الحديث ١٠٥٢.

روى الصدوق عن محمد بن علي الأسود القمي قال: كنت أحمل الأموال التي تحصل من باب الوقف إلى أبي جعفر العمري، وقبل موته بثلاث سنين أو سنتين حملت إليه شيئاً من الأموال فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي، فحملته إليه وطالبته بالقبض، فشكى ذلك، إلى أبي جعفر فأمرني أن لا أُطالبه وقال: كلّ ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إليّ[1].

وأسند الطوسي عن جعفر بن محمد المدائني البغدادي: أنه حمل إلى الشيخ محمد العمري أربعمئة دينار، فقال له: امض بها إلى الحسين بن روح.. وقال له: فقد أقمت أبا القاسم مقامي ونصبته منصبي، فقم عافاك الله كما أقول لك[2].

هذا وقد كان له من يتصرّف عنه ببغداد عشرة أنفس، كلّهم كان أخصّ به من أبي القاسم بن روح، ولكنه وقع الاختيار عليه والوصية إليه. حتى أنّ كثيراً من الشيعة ببغداد كانوا لا يشكّون أنه إن حدث بأبي جعفر العمري حدث فلا يقوم مقامه إلّا جعفر بن أحمد بن متّيل أو أبوه، لمّا رأوا فيهما من الخصوصية به وكثرة تواجده في منزله وكان طعامه في منزل جعفر وأبيه[3].

وحدّث هبة الله بن محمد عن علي بن أحمد الدلّال القمي قال: دخلت يوماً على أبي جعفر محمد بن عثمان فرأيته قد أحضر نقّاشاً ينقش له على خشبة ساجة آيات من القرآن الكريم، وعلى حواشيها أسماء الأئمة عليهم السلام.

قال علي بن أحمد: فقلت له: يا سيّدي! ما هذه الساجة؟ قال: هذه لقبري تكون فيه فأُوضع عليها، وقد فرغت من القبر، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ

---

(١) كمال الدين: ٥٠١، الحديث ٢٨.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٨، الحديث ٣٣٥.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٩، الحديث ٣٣٦ و ٣٣٧.

جزءاً من القرآن فيه ثمّ أصعد. ثمّ أخذ بيدي وأرانيه. قال: فإذا كان يوم كذا من شهر كذا صرت إلى الله عزّ وجل.

وقال محمد بن علي بن الأسود القمي: أنّ أبا جعفر العمري كان قد حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج، فسألته عن ذلك فقال: قد أُمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين[١].

وفي هذين الشهرين قبل وفاته في آخر جمادى الأُولى، لمّا مرض واشتدت حاله جمع إليه جماعة من وجوه الشيعة منهم: أبو علي محمد بن همّام، وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وأبو عبد الله الباقطاني وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وغيرهم من الوجوه والأكابر، فلمّا دخلوا عليه قالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم:

إن حدث عليَّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي.. فهذا أبو القاسم هو القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام، والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أُموركم وعوّلوا عليه في مهمّاتكم فبذلك أُمرت، وقد بلّغت[٢].

ولمّا حضرته الوفاة كان جعفر بن أحمد بن متّيل القمي جالساً عند رأسه يسأله ويحدّثه، وأبو القاسم بن روح عند رجليه، وكأنّ جعفر بن متّيل لم يكن قد اطّلع على وصية أبي جعفر إلى أبي القاسم، فالتفت أبو جعفر إليه وقال له: أُمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح. قال جعفر بن متّيل: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلى عند رجليه[٣].

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٥، الحديث ٣٣٢، و ٣٦٦، الحديث ٣٣٤.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٧١، الحديث ٣٤١ و ٣٤٢.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٧٠، الحديث ٣٣٩.

ثمّ توفى أبو جعفر العَمري، وكان قد دفن والدته في بيته وحفر لنفسه عندها في منزله وداره في شارع باب الكوفة، فدفن هناك[١] في آخر جمادى الأُولى عام (٣٠٥هـ) كما مرّ.

بداية نيابة النائب الثالث:

روى الطوسي عن هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب عن جدّته لأُمّه أُم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح وكيلاً لأبي أبي جعفر، سنين كثيرة ينظر له في أملاكه، ويلقي بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان يدفع إليه في كل شهر ثلاثين ديناراً، ويصل إليه من رؤساء الشيعة ومن وزرائهم مثل آل الفرات وغيرهم صلات وعطايا، لجاهه ولموضعه وجلالة محلّه عندهم، فحلّ في أنفس الشيعة محلاً جليلاً، لمعرفتهم باختصاص أبي إيّاه وتوثيقه عندهم، ونشره فضله ودينه، وما كان يحتمله من هذا الأمر. فمُهّدت له الحال في طول حياة أبي، إلى أن انتهت الوصية إليه بنصّه عليه، فلم يُختلف في أمره ولم يشك إلّا جاهل بأمر أبي ولست أعلم أنّ أحداً من الشيعة شكّ فيه[٢].

نعم، نقل المفيد عن محمد بن أحمد الصفواني الآذربايجاني قال: كان في سنة (٣٠٧هـ) في بغداد، ووافاها الحسن بن علي الوجناء النصيبي ومعه محمد بن الفضل الموصلي، وكان رجلاً شيعيّاً يقرّ بوكالة العمريّين الأب والابن ويتوقف عليه وينكر وكالة أبي القاسم بن روح ويقول في الأموال التي توصل إليه أنها تُخرج إلى غير موردها! ويقول له الحسن بن الوجناء: يا ذا الرجل! اتقِ الله،

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٦٦ ذيل الحديث ٣٣٤ وقال: وهو الآن في وسط الصحراء!

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٧٢، الحديث ٣٤٣.

فإنّ وكالة أبي القاسم كوكالة أبي جعفر العمري.. فقال الموصلي: من لي بصحة ما تقول في وكالة الحسين بن روح؟ فاتّفق الحسن بن الوجناء مع الموصلي على شيء بينهما، ثمّ تناول منه دفتر حساباته وقطع منه نصف ورقة كان فيه بياض، وتناول منه القلم وجعل يكتب ما اتّفقا عليه في تلك الورقة بذلك القلم بلا مداد! حتى ملأ الورقة، ثمّ ختمه. وكان مع الموصلي شيخ أسود يخدمه. فأعطاه الحسن الورقة البيضاء المختومة! لينفذها إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

وحضرت صلاة الظهر فصلينا هناك، ورجع الشيخ الأسود الرسول فقال: قال لي: امضِ فإنّ الجواب يجيء. وقُدّمت المائدة، فنحن في الأكل إذ ورد الجواب في تلك الورقة مكتوباً بمداد! فلمّا قرأه الموصلي موافقاً لما اتفق عليه مع الحسن بن الوجناء خجل من موقفه فلطم وجهه ندماً، وطلب من ابن الوجناء أن يأخذه إلى الشيخ النوبختي فأخذه معه إليه، فلمّا دخل عليه أخذ يبكي لديه ويقول له: يا سيدي أقلني أقالك الله! وقال له الشيخ: يغفر الله لنا ولك إن شاء الله[1].

مولد الصدوق بدعاء الحجّة (عجل الله تعالى فرجه):

كان من فقهاء قم يومئذ الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، وكأنّه بعد وفاة الشيخ محمد العمري وأوائل توكيل النوبختي أراد أن يتبيّن الأمر بنفسه، فقدم إلى بغداد واجتمع مع الشيخ النوبختي وسأله مسائله[2].

---

(١) المصدر السابق: ٣١٥ ـ ٣١٧، الحديث ٢٤١.

(٢) رجال النجاشي: ٢٦١ برقم ٦٨٤.

وكان للشيخ أحمد بن علي السيرافي البصري من كتبه : كتاب أخبار الوكلاء الأربعة[١] فنقل الطوسي عنه عن ابن سورة عن ابن الدلّال وابن الصائغ القمّيين : أنّ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كان قد تزوّج بابنة عمّه محمد بن موسى، فلم يُرزق منها ولداً (فلمّا توفي الشيخ العمري وتوكّل النوبختي) كتب إليه يسأله أن يسأل الحجة أن يدعو له الله أن يرزقه أولاداً فقهاء! فجاءه الجواب : «إنّك لا تُرزق من هذه! وستملك جارية ديلمية وتُرزق منها ولدين فقيهين» فرُزق محمداً (الصدوق) والحسن والحسين، فأصبح محمد والحسين فقيهين ماهرين، والحسن الأوسط كان عابداً زاهداً منحازاً عن الناس[٢].

أما الصدوق نفسه فاكتفى بالحديث عن محمد بن علي الأسود القمي قال : بعد موت محمد العمري سألني (أبوك) علي بن الحسين بن موسى بن بابويه : أن أسأل أبا القاسم الروحيّ أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو له الله عزّ وجل أن يرزقه ولداً ذكراً! (وليس أولاداً فقهاء) قال الأسود القمي : فسألت (الشيخ النوبختي) فأنهى ذلك (إلى الحجّة) وبعد ثلاثة أيام أخبرني : أنّه عليه السلام قد دعا لعليّ بن الحسين، وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، وبعده أولاد! قال : فولد لعليّ بن الحسين (أنت وبعدك أولاده إخوانك).

قال الأسود القمي : وكنت سألته لنفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً! فأجابني : ليس إلى هذا سبيل! فوُلد لابن بابويه ولم يولد لي[٣].

---

(١) رجال النجاشي : ٨٦ برقم ٢٠٩ وهو شيخ النجاشي.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي : ٣٠٨، ٣٠٩، الحديث ٢٦١ عن كتاب أخبار الوكلاء الأربعة للسيرافي البصري.

(٣) كمال الدين : ٥٠٢، الحديث ٣١، باب التوقيعات.

ولذا قال المحقق الرباني في ترجمة الصدوق : لم يعيّن أحد ممن ترجم له سنة ولادته، فلا نعلمها على التحقيق، ولكن الذي يستفاد من أخباره والنجاشي والطوسي : أنها كانت بعد وفاة الشيخ العمري الثاني سنة (٣٠٥هـ) في أوائل سفارة الثالث : ابن روح النوبختي[١].

تبادل الأسرى والتهدئة مع الروم:

وفي سنة (٣٠٥هـ) وصل رسولان من ملك الروم(؟) إلى بغداد يطلبان الهدنة وفداء الأُسراء، فأُكرما وأُدخلا إلى الوزير (علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية) وهو على أتمّ هيئته، فأدّيا إليه الرسالة. ثمّ أُدخلا إلى المقتدر وقد اصطفّت الأجناد بالسلاح والعتاد والزينة التامة، فأدّيا إليه الرسالة. فأجابهما المقتدر إلى ما طلب منه ملك الروم(؟) من فداء الأُسراء (والهدنة) وسيّر معهما مؤنس الخادم بمئة وعشرين ألف دينار لفداء الأُسراء المسلمين[٢].

وفصّل ابن الوردي قال : اصطفّ الجنود بالأسلحة وأنواع الزينة مئة وستون ألفاً! ما بين خيّالة ورجّالة، وأُوقف الغلمان بالمناطق والأحزمة المحلّاة بالزينة، وأُوقف الخدّام الخصيان كذلك أربعة آلاف خادم أبيض وثلاثة آلاف خادم أسود! وأُوقف الحُجّاب وهم سبعمئة! وسُيّرت المراكب في دجلة بأعظم زينة! وزُيّنت دار الخلافة باثني عشر ألف وخمسمئة ديباج مذهّب، واثنين وعشرين ألف بساط، ومئة سبع مع كل سبع سبّاع!

وكان من الزينة شجرة من ذهب وفضّة لها ثمانية عشر غصناً، وأوراقها

---

(١) مقدمة معاني الأخبار : ٧٣.

(٢) تاريخ مختصر الدول : ١٥٥، ١٥٦.

من الذهب والفضة، وعليها طيور وعصافير من الذهب والفضة، وهي تتمايل بها بحركات موضوعة، والعصافير تصفّر بحركات مرتّبة!

فشاهد الرسل ما يطول شرحه من العظمة! ولمّا أُحضر الرسولان بين يدي المقتدر كان الوزير (ابن الفرات) يبلِّغ كلامهما إلى الخليفة ويردّ الجواب عن الخليفة عليهما[١].

وتبرّعت أُم المقتدر ببناء (البيمارستان = المستشفى) وافتتحته هذه السنة (٣٠٥هـ) فكانت تنفق عليه في العام سبعة آلاف دينار[٢] ويديره محمد بن زكريا الرازي[٣].

ثمّ وقعت الفتنة ببغداد:

في أواخر جمادى الأُولى من أوائل سنة (٣٠٦هـ) خُلع علي بن محمد بن الفرات من وزارته الثانية، وكان الوزير الأسبق علي بن عيسى الجرّاح محبوساً فأُطلق وفُوّضت الأُمور إليه[٤] وفُوّضت الشرطة إلى يجح الطولوني (التركي) فاستعمل الفقهاء على الشرطة ببغداد يعملون بفتاواهم، على أرباع بغداد، فضعفت هيبة السلطنة وطمع العيّارون حتى جعلوا يأخذون في الطرق ثياب الناس[٥].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٤٣.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٤٣.

(٣) تاريخ مختصر الدول : ١٥٨ وستأتي ترجمته.

(٤) مروج الذهب ٤ : ٢١٤.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٦.

وآل الأمر أنّ أُمّ المقتدر أمرت قهرمانتها ثمل أن تجلس أيام الجمعات للمظالم وتنظر في رقاع الناس، فكانت تجلس وتستحضر القضاة والأعيان، وتصدّر الأوامر بخطّها وتوقيعها.

وانتهى الأمر إلى أن غلت الأسعار ببغداد وأصاب الناس مجاعة عامة، وتجدّدت المظالم وفتح الناس السجون وأحرقوا المحابس فنهبوا الناس واختلّت أحوال الدولة العباسية جداً حتى ركب الجند والوزير فرجمهم العامة وقاتلوهم ودام القتال أياماً[١] عام (٣٠٨هـ).

قتل الحسين الحلّاج:

في سنة (٣٠٩هـ) كان على الوزارة حامد بن العباس، وكان الحلّاج في الحبس، وأراد الوزير قتله فلم يتمكّن من ذلك حتى رأى له كتاباً فيه: إنّ الإنسان إذا أراد الحجّ ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً طاهراً، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعل الحجّاج بمكة! ثمّ يطعم ثلاثين يتيماً ويكسوهم ويعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، فإنه يكون حاجّاً!

فأحضر الوزير وجوه الفقهاء والقضاة واستفتاهم فيه، فكتبوا بإباحة دمه، فسلّموا الوزير إلى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط، فما تأوّه لها، ثمّ قطع يده ثمّ رجله ثمّ رجله الأُخرى ثمّ يده ثمّ قتل وأُحرق جسده وأُلقي رماده في دجلة، ونُصب رأسه ببغداد[٢].

وقال ابن الوردي: التمس الوزير حامد بن العباس من المقتدر أن يسلّم

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٣.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٥٦.

الحسين الحلّاج إلى الوزير، فأمر بتسليمه إليه، فلمّا رأى منه ذلك الكتاب أحضر القاضي أبا عمرو وأمر بقراءة ذلك الكتاب عليه، فلمّا قرئ الكتاب قال القاضي للحلّاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري! فقال القاضي: قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا فقد كذبت يا حلال الدم! فطلب الوزير من القاضي أن يكتب له بحلّ دمه وألزمه بذلك. فدافعه شيئاً ثمّ كتب له بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس، فأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر واستأذنه في قتله فأذن، فضُرب ألف سوط ثمّ قطعت يده ثمّ رجله ثمّ قُتل وأُحرق، ونُصب رأسه ببغداد، وكان يقول: أنا الحق! وما في الجبّة إلّا الله[1]!

قتل الطبري بفعل الحنابلة:

محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الآملي المولود (٢٢٤هـ) بدأ أول دورة تفسيرية بالتفسير الترتيبي «جامع البيان في تفسير القرآن» في بغداد وأكمله في ثلاثين جزءاً، ثمّ أنهى «تاريخ الأُمم والرسل والملوك» في عشرة أجزاء في سنة (٣٠٢هـ) إلى سنة (٣٠٠هـ) ثمّ صنّف كتباً في الأُصول والفروع والمناقب ومنها في مناقب علي عليه السلام عُرف باسم كتاب الولاية أو الردّ على الخوارج «الحرقوصية» نسبةً إلى حُرقوص بن زُهير ذي الثُديّة رأس الخوارج الأولين على أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان، وهو جدّ أحمد بن حنبل! وكان الطبري حافظاً عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين فقيهاً مجتهداً لم يقلّد أحداً،

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٨ ونقل عن عبد القادر الجيلاني كلاماً في تأويل كلام الحجّاج، ولكنه عذّر العلماء بظاهر الشرع! ونقل أنّ للغزالي في كتابه مشكاة الأنوار فصلاً طويلاً في تأويل كلامه من شدّة الوجد!

ثمّ صنّف كتاباً جمع فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه شيئاً عن أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك فقال: إنما كان أحمد بن حنبل محدّثاً ولم يكن فقيهاً مجتهداً[١]!

وقال الحموي: قصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل وعن روايته لحديث إجلاس الله لنبيّه معه على العرش! فقال: أما حديث الإجلاس على العرش فمُحال وقال:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

وأما ابن حنبل فإني ما رأيته روي عنه ولا له أصحاب يعوّل عليهم! فرموه بمحابرهم وقاموا! فقام ودخل داره، فرموا داره بالأحجار حتى صار على بابه كالتل العظيم! وكانوا أُلوفاً، فركب نازوك صاحب الشرطة في عشرة آلاف من الجند لمنعهم عنه! فوقفوا ببابه يوماً كاملاً ورفعوا عنه الحجارة[٢].

ونسبه الحنابلة إلى الإلحاد! حتى توفى في شوال عام (٣١٠هـ) فدفن في داره خوفاً منهم[٣] وكانت داره قد ابتناها لنفسه في رحبة يعقوب في بغداد[٤].

الشيخ الشلمغاني قبل شغبه:

بعد حدود خمس سنين من بدء عهد الشيخ النوبختي، أي في سنة (٣١٠هـ) تقريباً، قرّب النوبختي إليه أبا جعفر محمد بن علي المعروف بالشلمغاني[٥]،

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٩.

(٢) معجم الأُدباء ١٨ : ٥٧، وانظر قاموس الرجال ٩ : ١٥١ ـ ١٥٤ برقم ٦٥١٧.

(٣) هدية الأحباب : ٦١، وانظر ترجمته في مقدمة تاريخه ١ : ٥ ـ ٣٢ بقلم محمد أبي الفضل إبراهيم.

(٤) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٦.

(٥) شلمغان من قُرى واسط.

وكان يومئذ مستقيماً لم يظهر منه خلافه، فكان صاحب الشيخ أبي القاسم سفيراً بينه وبين الناس في حوائجهم ومهمّاتهم، فكان الناس يقصدونه ويلقونه، واستتر النوبختي عنهم ما أمكنه[١].

قال أبو غالب الزراري: فكنّا لا نلقى أبا القاسم وصرنا نلقى أبا جعفر بن الشلمغاني[٢].

وكان يكتب «كتاب التكليف» باباً باباً، فيصلح الباب ويدخل به على الشيخ أبي القاسم فيعرضه عليه ويحكمه، فإذا صحّ الباب خرج فنقله للناس وأذن لهم بنَسخه[٣].

أما لمّا كتب الشلمغاني «كتاب التأديب» أنفذه الشيخ النوبختي إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها: انظروا في هذا الكتاب هل تنظرون فيه شيئاً يخالفكم؟

فكتبوا إليه: ما فيه شيء يخالفنا إلّا في زكاة الفطرة فإنها عندنا صاع وهذا فيه: نصف صاع[٤].

وكأنه عندئذ طلب النوبختي من أصحابه أن يطلبوا له «كتاب التكليف» لينظر فيه، فجاؤوا به إليه فقرأه من أوّله إلى آخره ثمّ قال: ما فيه شيء إلّا وقد روي عن الأئمة عليهم السلام إلّا أنّه كذب عليهم في موضعين أو ثلاثة! منها في باب الشهادة: أنه روى عن العالم (الكاظم) أنه قال: إذا كان لأخيك المؤمن على

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٠٣، الحديث ٢٥٦ عن ابن عياش عن أبي غالب الزراري.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٤، الحديث ٢٧٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٨٩، الحديث ٣٥٤.

(٤) المصدر السابق: ٣٩٠، الحديث ٣٥٦.

رجل حق فدفعه عنه ولم يكن له من البيّنة عليه إلّا شاهد واحد وكان الشاهد ثقة، فارجع إلى الشاهد فاسأله عن شهادته، فإذا أقامها عندك فاشهد معه عند الحاكم على مثل ما يشهد هو عنده، لئلّا يبطل حق امرئ مسلم! وهذا من كذبه مع موضع آخر[1].

وكان من الشيعة ببغداد آل بسطام، فلمّا جعل النوبختي للشلمغاني عند الناس منزلة وجاهاً، أصبح أبو جعفر الشلمغاني وجيهاً عند بني بسطام، فكان عند ارتداده وكفره يحكي كل كذب وبلاء لهم ويسنده لهم إلى الشيخ النوبختي فيقبلونه منه ويأخذونه عنه.

ومنه أنّه قال لهم: إنّ روح رسول الله ﷺ انتقلت إلى أبي جعفر العَمري! وروح أمير المؤمنين عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم النوبختي! وروح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت إلى ابنته أُم كلثوم! وقد أخذ عليهم كتمانه ومن أذاعه يعاقب!

فأسند الطوسي عن ابن بنتها هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب عن جدته أُم كلثوم أنها أخبرت الشيخ النوبختي: أنها دخلت يوماً إلى أُم أبي جعفر بن بسطام تزورها قالت: فاستقبلتني وانكبّت على رجلي تقبّلهما! فانكرت ذلك وقلت لها: مهلاً يا ستّي فإنّ هذا أمر عظيم! فبكت وقالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتي فاطمة! فقلت لها: وكيف ذلك يا ستّي!

فقالت لي: إنّ الشيخ أبا جعفر محمد بن علي باح لنا بالسرّ! قلت لها: وما السرّ؟ قالت: قد أخذ علينا كتمانه وقال: إن أذعناه عوقبنا! فأعطيتها موثقاً أني لا أكشفه لأحد! فباحت بالسرّ! فقلت لها: إنّ هذا كذب يا ستّي! فقالت: بل هو سرّ

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠٩، الحديث ٣٨٢ و ٣٨٣.

عظيم وقد أُخذ علينا أننا لا نكشف هذا لأحد! فالله الله فيَّ لا يحلّ بي العذاب! ويا ستّي لولا أنك حملتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك!

فقال لي الشيخ النوبختي: يا بنيّة إياك أن تذهبي إلى هذه المرأة بعد هذا وإن كاتبتك فلا تقبلي لها رقعة، وإن أنفذت إليك رسولاً فلا تقبلي رسولها، فهذا كفر بالله وإلحاد، قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجلعه طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله حلَّ فيه واتحدّ به! كما تقول النصارى في المسيح عليه السلام، ويعدو إلى قول الحلّاج لعنه الله (وكان ذلك بعد هلاكه).

ثم كتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه فلمّا وصل كتابه إليهم أوصلوه إليه فبكى بكاءً عظيماً وقال لهم: إنّ لهذا القول «باطناً» عظيماً! وهو: أنّ اللعنة هي الإبعاد، فمعنى قوله: لعنه الله: أي باعده الله عن عذاب النار! فالآن قد عرفتُ منزلتي! وعليكم بالكتمان لهذا الأمر، وأخذ يمرّغ خديه في التراب!

فلم يبقَ أحد إلّا وتقدم الشيخ أبو القاسم إليه وكاتبه بلعن الشلمغاني والبراءة منه وممّن يتولّاه ويرضى بقوله أو يكلّمه أو يواليه. ونهى بني بسطام خاصّة عن كلامه، وأمرهم بلعنه والبراءة منه، فلم ينتهوا وأقاموا على توليّهم له[1].

توقيع النوبختي بلعن الشلمغاني:

بدأ اقتدار المقتدر منذ عام (٢٩٥هـ) وبعد عشرة أعوام في (٣٠٥هـ) بدأت سفارة الحسين النوبختي، واستمرّ اقتدار المقتدر إلى (٣١٧هـ). ولم نعلم متى رُفع أيّ تقرير على الشيخ النوبختي فأحضره وغيّبه عن الشيعة في داره، إلّا أنه كان قبل (٣١٢هـ).

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠٣ ـ ٤٠٥، الحديث ٣٧٨.

وكأنّه في ذي الحجة من سنة (٣١٢هـ) اتّصل به ـ وهو محبوس في دار المقتدر ـ الشيخ أبو علي محمد بن همّام، فنقل لمحمد بن الحسن الصيمري : عن الشيخ النوبختي أنه أُمر من الناحية المقدسة بإظهار البراءة عن محمد بن علي الشلمغاني وشغبه بالمذهب، وأنّ النوبختي راجع الناحية المقدسة لترك إظهار هذه البراءة فإنه في يد القوم وحبسهم، فأُمر بإظهارها فإنه يأمن منهم ولا يخشى، فأنفذها إلى أبي علي محمد بن همّام، فهو أخرجها لمحمد بن الحسن الصيمري وأحمد بن ذكا مولى علي بن محمد بن الفرات (الوزير) وهارون بن موسى ومحمد بن أحمد بن داود وعنهم جماعة منهم أحمد بن علي بن نوح السيرافي وعنهم الطوسي، وفيها (ولعله بعد البسملة والحمدلة) قالوا : والمداد كان رطباً لم يجف!

« عَرَّف ـ أطال الله بقاءك وعرّفك الخير كله وختم به عملك ـ من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا ـ أدام الله سعادتكم جميعاً ـ بأنّ محمد بن علي المعروف بالشلمغاني ـ وهو ممّن عجّل الله له النقمة ولا أمهله ـ قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذباً وزوراً وبهتاناً وإثماً مبيناً وأمراً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً.

وإننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله « صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم » منه، ولعنّاه « عليه لعائن الله » في الظاهر منا والباطن وفي السرِّ والجهر، وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى من شايعه وتابعه، أو بلغه هذا القول منّا وأقام على تولّيه بعده.

وأعلِمهم ـ تولّاكم الله وأعزّكم الله ـ أنّنا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كان منّا لنظرائه من الشُريعي والنُميري والهلالي والبلالي وغيرهم،

وعادة الله «جل ثناؤه» مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق وإياه نستعين، وهو حسبنا في كل أُمورنا ونعم الوكيل».

قال هارون بن موسى: أنّ أبا علي محمد بن همام حمل هذا التوقيع فلم يدع أحداً من الشيوخ إلّا اقرأه إياه، وكتبوا به إلى من بعُد منهم في ساير الأمصار! فاشتهر ذلك في الطائفة، فاجتمعوا على لعنه والبراءة منه. وخرج الشيخ النوبختي من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة[1] في أواخر عام (٣١٢هـ).

فروى الطوسي بسنده عن خادم النوبختي: عبد الله الكوفي قال: بعد ما ذُم الشلمغاني وخرجت فيه اللعنة سئل الشيخ أبو القاسم قيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا مليئة منها؟ فقال لهم: أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وقد قيل له: كيف نعمل بكتب بني فضّال وبيوتنا مليئة منها؟ فقال عليه السلام: خذوا بما رووا وذروا ما رأوا[2].

حركات القرامطة وما رافقها:

قال المسعودي: ومن الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة التي كانت في أيام المقتدر ما لم يتقدّم مثلها في الإسلام (من حركات القرامطة) في عام (٣١١هـ):

مسير سليمان بن الحسن الجنابي في أربعمئة فارس وخمسمئة راجل من الأحساء إلى البصرة في ست ليال، وكان على حربها سبكا المفلحي، وصلوا إليها ليلاً فدخلوها وقتلوا المفلحي ومن قدروا عليه من أصحابه ومن ظهر لهم من الرعية، في أواخر ربيع الثاني وهرب الناس منهم إلى الأُبلّة والشطوط والأنهار والجزائر وغيرها، وأقاموا بالبصرة (١٧) يوماً ثمّ رحلوا عنها بما احتملوا منها.

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠٩ ـ ٤١٢.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٨٩، ٣٩٠، الحديث ٣٥٥.

وبعد عشرة أشهر تقريباً في أواخر محرم الحرام سنة (٣١٢هـ) خرج أيضاً في خمسمئة فارس وستمئة راجل رحل بهم إلى ناحية الهبير ممّا يلي الثعلبية من منازل الحجاج في منصرفهم إلى العراق، فاعترض وقطع عليهم طريقهم، وفيهم من القوّاد والأولياء أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي وأحمد بن بدر وأحمد بن كشمرد وغيرهم من الوجوه، فنهبوا منهم من صنوف الأموال ما لا يوقف على تحديد مبلغها[١] وتركوهم حتى هلك أكثرهم جوعاً وعطشاً!

فسخط المقتدر على وزيره ابن الفرات وكان له سبعون سنة وكان يلي أعماله ابنه الحسن فقتلهما، واستوزر بعده القاسم حفيد الفتح بن خاقان التركي[٢] فجرّد هذا جمعاً من أولياء الحضرة وقوّادها للقاء القرمطي إلى الكوفة، وهم: جعفر بن ورقاء الشيباني وجَني الصفواني مولى ابن صفوان العقيلي، وثمل الدلفي وطريف السبكري وإسحاق السبكري وغيرهم من رؤساء الجيوش. ففي أواخر ذي القعدة من السنة (٣١٢هـ) اعترضهم القرمطي فواقفهم في الكوفة، فأسر منهم القائد جَني الصفواني وقتل من قتل منهم وهزمهم.

ثمّ كان إلى ستة أيام يدخل الكوفة فينهبها نهاراً ويتركها ليلاً إلى معسكره ثمّ يعود غداً وهكذا ثمّ حمل ما أمكنه من الأموال والثياب[٣] وسلم البلد إلى إسماعيل بن يوسف الحسني وسار بالثقل والذرّية المسبيّة إلى الأحساء.

وكان القائد يوسف بن أبي الساج يلي أعمال بلاد أذربيجان وأرمينية وأران والبلقان وغيرها فأشخصه السلطان (المقتدر) إلى واسط يقيم بها يستمد ويستعد

---

(١) التنبيه والإشراف : ٣٣٠.

(٢) التنبيه والإشراف : ٣٣١.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٩، ٢٥٠.

لينفذ لقتال القرمطي، وأتاه الخبر بمسيره إلى الكوفة، فخرج ابن أبي الساج مبادراً إلى الكوفة فسبقه أبو طاهر القرمطي حتى نزل الخورنق، وفي غده نزل ابن أبي الساج بين النهرين ممّا يلي قرية حَروراء، وأبو طاهر القرمطي بينه وبين الكوفة. ثمّ كانت الوقعة بينهما في (٩ شوال) سنة (٣١٥هـ) وتفرّق كثير من أنصار ابن أبي الساج عنه في طريقه وتأخّر كثير منهم عنه، وكان في أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل، والقرمطي في نحو من ألفين أكثرهم رجالة؛ ومع ذلك أُسر ابن أبي الساج واصطلم عسكره وأتى عليهم القرمطي والخوارج معه[1]!

وقال ابن الوردي: كانت القرامطة في ثمانمئة راجل وسبعمئة فارس فاحتقرهم ابن أبي الساج وقال لكُتّابه: صدّروا الكتب إلى الخليفة (المقتدر) بالنصر، فهؤلاء في يدي! فلمّا اقتتلوا انهزم عسكره وأُسر هو وقتله أبو طاهر القرمطي واستولى على الكوفة ونهبها.

ثمّ جهّز المقتدر مؤنس الخادم في عساكر إلى القرامطة، فانهزموا كذلك قبل اللقاء، ثمّ التقوا فانهزموا أيضاً، ونهبوا مدن الفرات فغنموا وعادوا إلى الأحساء!

وفي هذه الأحوال كان الوزير علي بن عيسى الجرّاح، وكان لإدارة أُمور القصور قهرمانتان فاطمة وأُم موسى، فقالتا للوزير: وقِّع بعشرة آلاف درهم للمجيبة ثياب أمير المؤمنين! ثمّ جاءتا فقالتا: وقِّع بعشرة آلاف درهم للمُعصِّمة! ثمّ قالتا: وقِّع بعشرة آلاف درهم للمزرِّرة! فقال لهما: أفأمير المؤمنين مقطوع اليد لا يقدر أن يتزرّر؟! ثمّ قالتا: وقِّع بعشرة آلاف للمبخِّرة! فقال: لو أخرج أمير المؤمنين يده من ثيابه وأخذ المجمَرة لوقَّر على بيت المال عشرة آلاف درهم! فبلغ ذلك إلى المقتدر فنفاه إلى مكة!

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣٣١.

ثمّ استعاده للوزارة ثمّ عزله وقبض عليه وولّاه علي بن مُقلة[١].

وكان القرمطي قد كثر فساده وأخذه للبلاد وفتكه بالعباد، واشتدّ به الخطب وتمكّنت هيبته في النفوس وكثر أتباعه، حتى أخذ يبثّ السرايا، وتزلزل له الخليفة! ونزح أهل مكة عنها، وانقطع الحج في هذه السنين خوفاً من القرامطة.. وخالطت الروم ثغور الشام حتى دخلت ناحية خلاط ودخلوا بصليبهم إلى جامعها وأخرجوا منبره ونصبوا صليبهم بمكانه! وقبلها وصلوا بسُفنهم إلى دمياط مصر ونصبوا ناقوسهم على جامعها وأخذوا ما فيها ومن فيها وعادوا بهم[٢].

وكان آشكار بن شيرويه قد استولى بعسكره سنة (٣١٥هـ) على جرجان، وكان معه من قوّاده مرداويج بن زياد الديلمي فبايع العسكر له سرّاً فخرج بهم على آشكار حتى قتله، ثمّ ملك قزوين ثمّ الري ثمّ همدان ثمّ كيلور ودينور، ثمّ قم وكاشان ثمّ جرفادقان وإصفهان ثمّ استولى على طبرستان كلها: وعُمل له سرير ذهب يجلس عليه[٣].

قال المسعودي: في ذي القعدة من سنة (٣١٥هـ) انحدرتُ من الشام إلى بغداد، فكنت في طريقي في بلدة هيت، إذ نزل عليها القرمطيّ وحاصرها، وكان أصحابه في جانب الأنبار فعبر بهم على أطواف أسفل هيت في فم بقّة فاجتمعوا إليه، وعبر إليها من الماء من الأولياء هارون بن غريب وسعيد بن حمدان ويونس مولى الأصمعي، وبدأ القرمطي القتال في أوائل ذي الحجة حول سورها بالدبّابات فاحترقت له عدّة منها، فعاد إلى معسكره، ولم تكن له سفن ليقاتل في الماء.

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٠.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٤٤.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥١.

وعند السحر ارتفعت من معسكره نار عظيمة ظننا أنه يريد معاودة الحرب، وإذا هو قد ضرب ثقله بالنار لكثرة ثقله وقلة مركوبه، ثمّ ارتحل من معسكره صباحاً إلى ناحية رحبة مالك، فصار إليها فافتتحها عنوة ثمّ افتتح قرقيسا، ثمّ بثّ منهما السوارب إلى النواحي: منها سرية إلى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين، فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنَمِر وأهل الحضر أيضاً. ووجه بسريّة في ألفين إلى الرَقّة على بُعد ثلاثين فرسخاً من الرحبة، وذلك في أواخر جمادى الأُولى سنة (٣١٦هـ) وكان أمير الرقّة نجم غلام جني الصفواني، فصافا القتال مع سرايا القرمطي ثلاثة أيام حتى أُصيب عدة من الفريقين ثمّ عادوا عنهم إلى الرقّة.

وأقام القرمطي بالرحبة سبعة أشهر، فلمّا عاد إليه هؤلاء سار بهم من الرحبة إلى بلده الأحساء لآخر رجب أو أول شعبان سنة (٣١٦هـ) وقد حصل في هذه المدة على سفن فحملهم برّاً وفي الماء حتى نزل على هيت ثانية فقاتلهم في البرّ والماء قتالاً شديداً، ثمّ انحدر عنهم إلى الكوفة والقادسية، وامتارَ ثمّ مرّ من ظهر البصرة إلى بلاده الأحساء في آخر المحرم أو أول صفر سنة (٣١٧هـ)[1].

جرائم القرامطة في مكة:

كان على مكة في سنة (٣١٧هـ) محمد بن إسماعيل ابن مخلَّب، وسار إليها القرمطي لموسم الحج في ستمئة فارس وتسعمئة راجل حتى دخلها بيوم قبل يوم التروية، وكان على قتالها نظيف مولى ابن أبي الساج وغيره من الأولياء وغيرهم من عوام الناس من الحاج وغيرهم، فصافّوه للقتال ولمّا قُتل نظيف انكشفوا عنه

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

وعاذوا بالمسجد والبيت الحرام، فأخذهم سيوفهم وعمّهم القتل! وهلك في بطون الأودية ورؤوس الجبال والبراري ضرّاً وعطشاً ما لا يدركه الإحصاء وقيل: بل ثلاثون ألفاً! وكان باب البيت الحرام مصفّحاً بالذهب فاقتلعوه، وأخذوا كل ما كان في البيت من محاريب فضة وجزع ومعاليق ومناطق ذهب وفضة من زينة البيت، وجرّدوا البيت ممّا كان عليه من الكسوة إلّا ما أصابه دماء العائذين به، واقتلعوا الحجر الأسود، وأقاموا بمكة أُسبوعاً إلى منتصف ذي الحجة تقريباً يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشية يقتلون وينهبون.

والمسعودي منسوب إلى الصحابي عبد الله بن مسعود الهُذلي من بني هُذيل من القبائل بين مكة والمدينة، فهو يقول:

عرض لهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، في مضايقهم وشعابهم وجبالهم، وحاربوهم حرباً شديدة بالنبل والخناجر! ومنعوهم من المسير، فاشتبهت عليهم سُبلهم ثلاثة أيام بين الجبال والأودية، حتى تخلّص كثير من النساء والرجال المأسورين بأيديهم، واقتطع بنو هُذيل ممّا كان معهم أُلوفاً من الإبل وأثقالها، وهي نحو من مئة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة. حتى أسروا من هذيل عبداً أسود فدلّهم على طريق سلكه فخرج بهم عن المضايق إلى بلدهم الإحساء[1]!

وقال ابن الوردي في توجيه أخذهم للحجر الأسود أنّ القرمطي قال: هذا مغناطيس بني آدم! فهو الذي يجرّهم إلى مكة. فنحوّل به الحجّ إلى الإحساء! وبذل لهم أمير بغداد خمسين ألف دينار لردّ الحجر فما قبلوا[2].

---

(١) التنبيه والإشراف: ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٢.

وكان القرمطي حين قلعه ضربه بدبّوس فكسره ثمّ اقتلعوه. ثمّ صعد على درج باب الكعبة وناداهم:

أنـــا بـــالله وبـــالله أنـــا يخلق الخلق وأفنيهم أنا[1]!

وفي هذه الأحوال وقع ببغداد الاختلال والقيل والقال حول تفسير المقام المحمود في قوله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[2] فقال أبو بكر المروزي الحنبلي: إنّ معنى ذلك أنّ الله تعالى يُقعد النبي صلى الله عليه وآله معه على عرشه! وقال غير الحنابلة: بل إنّما هي الشفاعة، فوقعت بها فتنة عظيمة تدخَّل فيها العسكر والعامة وقُتل بينهم خلق كثير[3]!

وفاة ابن زكريا الرازي:

في سنة (٣٢٠هـ) توفي محمد بن زكريا الرازي، أوحد دهره وفريد عصره، أقبل على تعلّم الفلسفة فنال منها كثيراً، جمع المعرفة بعلوم القدماء لا سيما الطبّ، لم يكن يفارق النَسخ إما تسويداً أو تبييضاً، فألّف كتباً كثيراً أكثرها في صناعة الطب وسائرها في المعارف الطبيعية ومنها اثنا عشرة رسالة في الكيمياء دبّر بالريّ بيمارستاناً (مستشفى) فبنت له أُمّ المقتدر بيمارستاناً ببغداد كانت تصرف عليه في العام سبعة آلاف ديناراً. وكان هو كريماً متفضلاً بارّاً بالناس حسن الرأفة بالفقراء والعلويين حتى أنه كان يجري عليهم أرزاقاً واسعة ويمرّضهم. وفي آخر عمره نزل ماء في عينيه، فجيء إليه بكحّال ليقدحهما؟

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٥.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٦.

فسأله : هل يعرف كم هي طبقات العيون؟ قال : لا، قال : فلا يقدح عينيَّ من لا يعلم ذلك! فقيل له : لو قدحت لأبصرت! قال : قد أبصرت في الدنيا حتى مللت منها[١]! ومن كتبه : كتاب من لا يحضره الطبيب.

ضعف المقتدر واقتدار القاهر:

استوزر المقتدر في أواخر اقتداره الحسين بن القاسم بن عبيد الله[٢] واستوحش منه أمير الأُمراء المظفّر مؤنس الخادم فخرج من بغداد إلى الموصل مغاضباً ووجه برسالة مع خادمه بشرى إلى المقتدر وأمره أن لا يذكرها إلّا له، فسأله الوزير الحسين بن القاسم عن الرسالة فقال : أمرني صاحبي أن لا أذكرها إلّا للمقتدر، فشتمه الوزير وصاحبَه وصادر منه ثلاثمئة ألف دينار! وضربه، فلمّا بلغ ذلك إلى مؤنس صاحبَه كثير من القواد إلى الموصل فكان في ثمنمئة فارس[٣].

واستولى المقتدر على أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك أصحابه، وكتب إلى أُمراء الموصل من بني حمدان بمقابلة مؤنس ومقاتلته[٤] فاجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفاً! فالتقوا واقتتلوا، وانهزم بنو حمدان! واستولى مؤنس على أموالهم وديارهم، وكان محسناً إلى كثير من العساكر فخرج إليه كثير منهم من بغداد والشام وحتى مصر! فأقام بالموصل تسعة أشهر، ثمّ انحدر إلى بغداد حتى نزل بباب الشمّاسية. وخرج إليه المقتدر بأصحابه وبين يديه الفقهاء والقرّاء وعليه

---

(١) تاريخ مختصر الدول : ١٥٨.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢١٤.

(٣) تاريخ مختصر الدول : ١٥٧.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٣.

البُردة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله، والقرّاء قد نشروا مصاحفهم! ولكنهم انهزموا عنه قبل وصوله إلى أنصار مؤنس! ومع يونس قوم من المغاربة، فلمّا بدأ المقتدر يتراجع لحقه قوم من المغاربة مع يونس وشهروا عليه سيوفهم حتى ضربه أحدهم على عاتقه فسقط وذبحوه ورفعوا رأسه وسلبوه حتى سراويله! وحملوا رأسه إلى مؤنس فبكى ولطم وجهه ورأسه! وأنفد جمعاً إلى دار الخلافة ليحافظوا عليها من النهب[١].

قال السيوطي: كان المقتدر جيّد العقل صحيح الرأي! ولكنه كان مؤثراً للشهوات والشراب! حتى غلبن عليه النساء، فأخرج لهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها، وأعطى بعض حظاياه الدرّة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل، وأعطى قهرمانه زيدان سبحة جوهر لم يُر مثلها، وأتلف أموالاً كثيرةً، وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان! غير الصقالبة والروم والسود، وخلّف اثني عشر ولداً ذكراً[٢].

وكان مؤنس مربّياً لأبي العباس ابن المقتدر فأراد أن ينصبه خليفة، فردّه إسحاق بن إسماعيل النوبختي وذكر له أخا المقتدر محمد بن المعتضد فوافقه مؤنس وأمر بإحضاره وبايعوه بالخلافة ولقّبوه بالقاهر، في آخر شوال سنة (٣٢٠هـ)[٣].

بداية خلافة القاهر:

استمرت خلافته سنة ونصفاً إلى أوائل جمادى الأُولى سنة (٣٢٢هـ) وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وكان أبيض تعلوه حمرة، مربوعاً حسن الجسم،

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٥٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) تاريخ مختصر الدول: ١٥٨ و ١٥٩.

أعين وافر اللحية، ألثغ، أهوج شديد الأقدام على سفك الدماء، محبّاً لجمع المال على قلّته في أيامه، سيّئ التدبير قبيح السياسة غير مفكر في عواقب أمره قليل الرغبة في اصطناع الرجال. واستوزر محمد بن علي بن مُقلة في أول أمره[١].

كان كثير التقلّب والتلوّن، شديد البطش بأعدائه، أباد جماعة من أهل الدولة.. واتّخذ حربة عظيمة كان يطرحها في حال جلوسه بين يديه ويباشر بالضرب بها لمن يريد قتله وإذا سعى يحملها في يده. وكان قليل التثبّت لأمره مخوف السطوة[٢].

وتشاغل أول أمره بالبحث عن من استتر من أولاد أخيه المقتدر وحُرمه. وكانت أُم أخيه المقتدر بدأ بها مرض الاستسقاء فاستحضرها واستفسرها عن أموالها، فاعترفت له بما عندها من الثياب والمتاع دون الجواهر والأموال، فضربها أشد الضرب وعلّقها برجلها وضرب المواضع الغامضة منها! فحلفت أنها لا تملك سوى ما قالته. فوكّل على بيع جميع أملاكها حتى ما أوقفته، فبيع جميع ذلك! وصادر جميع حاشية المقتدر وأصحابه[٣].

انقلاب الأصحاب على القاهر:

في سنة (٣٢١هـ) استوحش مؤنس من المظفّر أمير الأُمراء ومولاه بليق الحاجب وابنه علي الوزير! وأبو علي بن مقلة الكاتب، استوحشوا من قهر القاهر، فتوافقوا أن يوكّلوا على دار الخليفة أحمد بن زيرك، وأمروه بتفتيش كل من

---

(١) التنبيه والإشراف : ٣٣٦.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢٢١.

(٣) تاريخ مختصر الدول : ١٥٩.

يدخل الدار ويخرج منها حتى أن يكشف وجوه النساء المنقّبات! فعاتبهم القاهر على ذلك فما أفاد شيئاً، فأرسل إلى أصحاب يوسف بن أبي الساج يأتلفهم إليه على أُولئك ويحلف لهم على الوفاء لهم، فبلغ ذلك إلى ابن مقلة فذكر ذلك لمونس وبليق وابنه واتفقوا على خلع القاهر، واتفقوا على أن يدخل علي بن بليق على القاهر بجماعة من عسكره راكبين إلى أبواب دار الخليفة فيقبض عليه. وعلم بذلك ظريف السكّري فعزم على إغراء القاهر بهم فحضر عنده في زيّ امرأة واجتمع به وذكر له ما قد عزموا عليه. فأنفذ إلى أُولئك الساجية وأحضرهم متفرقين وأكمنهم في الدهليز والممرات والرواقات.

وحضر الوزير علي بن بليق بعد العصر وفي رأسه نبيذ! ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف، وطلب الإذن فلم يؤذن له وخرج إليه الجنود الساجيّون ففرّ منهم إلى دجلة وألقى نفسه في طرّادة اطّردت به إلى غربيّ دجلة واختفى فوراً. وبلغ ذلك إلى أبيه بليق الحاجب فحضر وأنكر ما جرى على ابنه وسبّ الجنود الساجيين ودخل إلى الخليفة ليعاتبه على ذلك فأمر بقبضه وقبض ابن زيرك، وأرسل إلى أمير الأُمراء مونس المظفر ليحضر. فلمّا دخل الدار قبض عليه القاهر وحبسه! فلمّا قبض عليه ثار أصحابه وشغبوا وتبعهم الجيش كلّه! ودخل القاهر إلى علي بن بليق وأمر بذبحه فذُبح ووضع رأسه في طشت وحُمل بين يدي القاهر إلى أبي علي بليق الحاجب ووضع الطشت برأس ابنه بين يديه فبكى وأخذ يقبّله ويرشّفه فأمر القاهر بذبحه فذبح ووضع رأسه في الطشت وحُمل بين يدي القاهر ومضى حتى دخل على مونس فوضعا بين يديه وهما مولياه، فلعن قاتلهما وتشهّد بالشهادتين فأمر القاهر بذبحه فذبحوه وأمر فحملوا الرؤوس وطافوا بها في جانبي بغداد ينادون عليها: هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته[1]!

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٥٩، ١٦٠.

وكان ابن مقلة قد اختفى فعزله واستوزر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثمّ جدّ في طلب أحمد بن المكتفي، لأنه اتفق مع ابن مقلة على خلع القاهر وإقامته مقامه، فلمّا ظفر به القاهر بنى عليه حائطاً حتى مات فيه، في أوائل شعبان سنة (٣٢١هـ) وعلى عادتهم نُظّفت الرؤوس وجعلت في خزانة الرؤوس[١]!

واختصر الخبر السيوطي قال: اتفق مؤنس وابن مُقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفي، وبلغ القاهر، فتحيّل حتى أمسكهم وذبحهم، وطيّن على ابن المكتفي بين حائطين، واختفى ابن مقلة فأُحرقت داره ودور المخالفين! وشغب عليه جنودهم فأطلق لهم أرزاقهم فأسكتهم، وأمر فنقشوا على السكة: القاهر المنتقم من أعداء دين الله! وزاد على لقبه القاهر: المنتقم!

قال: وكان لا يفتر عن سماع الغناء بل لا يصحو من السكر! ومع ذلك أمر في هذه السنة (٣٢١هـ) ببيع الجواري المغنّيات وحرّم بيع القيان وكسر آلات اللهو! وقبض على المغنّين ونفى المخانيث وحرّم الخمور[٢]!

انتقام ابن مقلة من القاهر المنتقم:

كان ابن مقلة مستتراً والقاهر يتطلّبه، وهو يراسل قواد الجنود الساجيين يخوّفهم من شر القاهر ويذكر لهم غدره ونكثه مكرراً كقتله مؤنس وبليق وابنه بعد الأيمان لهم، بل كان هو يجتمع إلى سيما وهو زعيم الجنود الساجيين بزيّ امرأة أو متكدٍّ أعمى ويغريه بالقاهر! وكان لسيما هذا منجّم ومعبّر وعرفهما ابن مقلة فأعطى منجّمه مئتي دينار ليذكر لسيما أن طالعه يقتضي أن ينكبه القاهر!

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٤.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٤٩.

وأعطى لمعبّره شيئاً أيضاً ليحذّره في تعبير له من القاهر! وفعلا ذلك، حتى اتفق هو مع أصحابه على خلع القاهر. وبلغ ذلك إلى الوزير (؟) فأرسل إلى عيسى طبيب القاهر وإلى حاجبه سلام ليُعلماه بذلك، وكان القاهر قد أكثر تلك الليلة من شرب المسكر فوجداه نائماً فلم يقدرا على إعلامه. وهجم الجنود الساجيّون على الدار في منتصف العشر الأوائل من جمادى الأُولى وسمع القاهر أصواتهم وأخبر أنّهم محاصروه ففرّ إلى سطح حمّام داره فأخذوه وسألوه عن محبس أحمد بن المقتدر فدلّهم عليه، فأخرجوه وأجلسوه على السرير ولقّبوه الراضي بالله وسلموا عليه بالخلافة، وبايعوه وبايعه القوّاد والناس، ورأى أخلاق ابن مقلة أليق بهذا الوقت فاستحضره واستوزره، فأحسن إلى كل من أساء إليه وأحسن السيرة، وكان ذلك في (٦ جمادى الأُولى ٣٢٢هـ)[١].

وزاد المسعودي: أنهم سملوا عينيه[٢] وفصل السيوطي قال: أرسلوا إلى أبي الحسين بن القاضي أبي عمر، وأبي طالب بن البهلول، والحسن بن أبي الشوارب الأُموي والقضاة فجاؤوا، وأحضروا القاهر، فقال له القضاة: ما تقول؟ قال: أنا أبو منصور محمد بن المعتضد ولي في أعناق الناس وفي أعناقكم بيعة! ولست أُبرئكم ولا أُحلّلكم منها! فقال الوزير (ابن مقلة) إنّ أفعاله مشهورة فهو يُخلع ولا نفكّر فيه. وقاموا. ودخل القاضي أبو الحسين على الراضي وأخبره بما جرى وقال له: إني أرى إمامته فرضاً! فقال له الراضي: انصرف ودعني وإياه. ودخل سيماء زعيم الجنود الساجيين وأشار على الراضي بسَمل عيني القاهر، فرضي به، فكحله بمسمار محمى حتى سال عيناه على خدّيه[٣].

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٦١ و ١٦٢.

(٢) مروج الذهب ٤: ٢٢٢، والتنبيه والإشراف: ٣٣٦، وابن الوردي ١: ٢٥٦.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥٠.

أمر القاهر باختبار الأطبّاء:

في غضون هذين العامين من حكم القاهر (٣٢٠ ـ ٣٢٢هـ) مات رجل ببغداد بغلط جرى عليه من أحد المتطبّبين، وكان القاهر مغتبطاً بطبيبه الخاصّ به سنان بن ثابت بن قُرّة الصابئي الحرّاني، ولكثرة اغتباطه به أراده على الإسلام، فامتنع امتناعاً شديداً وكثيراً، فتهدّده القاهر فخافه سنان من شدة سطوته فأسلم. فاليوم أمر الخليفة بمنع سائر الأطباء من الطبابة إلّا من امتحنه سنان بن ثابت، فصاروا إليه وامتحنهم، وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح له أن يتصرّف فيه! حتى بلغ عددهم في جانبيّ بغداد إلى ثمنمئة وبضع وستين طبيباً سوى من كان في خدمة السلطان ومن كان غنياً عن ذلك بشهرة تقدّمه في ذلك.

وحضر لديه منهم رجل ذو هيبة ووقار مليح البشرة فأكرمه سنان بموجب منظره، ثمّ التفت إليه وقال له: أشتهي أن يذكر الأُستاذ شيخه في الصناعة وأن أسمع منه شيئاً أحفظه عنه! فأخرج الشيخ من كُمّه إليه قرطاساً فيه شيء من الدنانير ووضعها بين يدي سنان وقال: والله ما أحسن أن أقرأ شيئاً في الجملة ولا أكتب، ولكنّ لي عيالاً ومعاشي دائر، فأسألك أن لا تقطعه عنّي!

فضحك سنان وقال: شريطة ١ ـ أن لا تهجم على مريض بما لا تعلم. ٢ ـ وأن لا تشير بفصد. ٣ ـ ولا بدواء مسهل. وإنما تعالج من الأمراض ما قرب. قال الشيخ: بل ما تعديت الجُلاب (ماء الورد) والسكنجبين (الخلّ المَغليّ بالسكّر). فرخّص له، وانصرف.

وبعده جاءه شاب ذكيّ مليح الوجه حسن البزّة، فقال له سنان: عَلى مَن قرأت الطبّ؟ قال: على أبي. قال: ومَن هو؟ قال: هو الشيخ الذي كان عندك بالأمس! قال: فأنت على مذهبه؟ قال: نعم. قال: فلا تتجاوزه

وانصرف مصحوباً بالسلامة. ثمّ فرّ سنان إلى خراسان. فمن يومئذ كان امتحان الأطباء واختبارهم[١].

بداية دولة آل بويه الديالمة:

مرّ الخبر عن دولة مردآويج بن زياد الديلمي وجنوده، ومن جنوده الديالمة ثلاثة إخوة: أحمد وعلي والحسن أبناء بُويه الديلمي، خرجوا من الديلم إلى مردآويج في طبرستان، فقبلهم أحسن قبول وخلع عليهم، وقدّم منهم علياً وقلّده حكم كرج، فاستمال أهلها بالصِلات والهبات فأحبّوه وقوي جانبه[٢].

وأورد ابن الوردي: أنّ مرداويج بن زياد حوّل جمعاً من قوّاده بمال على عماد الدولة في كرج، فلمّا وصلوا لقبضه استمالهم بإحسانه إليهم حتى استوجبوا طاعته، وهكذا حتى صار في عشرة آلاف عسكري، وكان على اصفهان من بغداد محمد بن ياقوت في تسعمئة، فقصده ابن بويه وقاتله وهزمه واستولى على إصفهان، فعظم بذلك في عيون الناس، وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش منه إلّا أنه بقي يراسله ويلاطفه، وابن بويه يعتذر ولا يحضر. وكان محمد بن ياقوت ارتحل من إصفهان إلى أرجّان، فبعد شهرين ارتحل إليه ابن بويه فانهزم منها بغير قتال واستولى ابن بويه على ارّجان، وذلك في ذي الحجة سنة (٣٢٠هـ) وفي ربيع الآخر من (٣٢١هـ) صار ابن بويه إلى توبيدگان واستولى عليها.

ثمّ أرسل أخاه الحسن ولقّبه ركن الدولة إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج أموالها[٣].

---

(١) مختصر تاريخ الدول: ١٦٢.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٦١.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٥.

وعاد إلى أخيه سالماً غانماً، فعاد معه أخوه علي عماد الدولة حتى استولى على شيراز وملكها سنة (٣٢٢هـ)[١]. وقال السيوطي : أتى همدان ليملكها فقاتلوه ففتحها عنوة أو صلحاً ثمّ صار إلى شيراز، وقلّ ما عنده من مال، واستلقى على قفاه فرأى حية تحركت في السقف، فأمر بنقضه وإذا بصناديق مليئة ذهباً، فانفقها على جنده! وركب يوماً فساخت قوائم فرسه فأمر بحفره فوجدوه كنزاً! وكان قد أُودع عند خياط اثنا عشر صندوقاً لا يعلم ما فيها، وأرسل ابن بويه عليه ليخيط له، وكان أطرش أصمّ فظن أنه سُعى به إليه فقال : والله ما عندي سوى اثني عشر صندوقاً لا أعلم ما فيها! فأحضروها فوجدوا فيه مالاً عظيماً[٢]!

وفاة ابن دُريد اللغوي:

قال المسعودي : في شعبان من عام (٣٢١هـ) في خلافة القاهر كانت وفاة محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري العُماني في بغداد، برع في الشعر وانتهى في اللغة إلى الغاية وقام فيها مقام شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، وأورد في اللغة أشياء لا توجد في المتقدمين، ومن جيّد شعره قصيدته المقصورة[٣] وله كتاب الجمهرة في اللغة، عاش (٩٣) عاماً[٤].

ولمّا سقطت البصرة بيد الزنوج فرّ منها إلى عُمان فأقام بها اثني عشر عاماً، وكان على فارس شيراز بنو شاه مكيال فرحل إليهم فولّوه نظارة ديوانهم،

---

(١) تاريخ مختصر الدول : ١٦١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٤٩.

(٣) مروج الذهب ٤ : ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٥.

حتى خُلعوا منها عام (٣٠٨هـ) فجاء إلى بغداد على عهد المقتدر ووزارة ابن الفرات فعيّن له وظيفة في كل شهر خمسين ديناراً! وله كتب عديدة في الأدب والشعر واللغة، وكتابه الجمهرة في (٦) مجلدات. وعدّه رشيد الدين الحلبي الساروي المازندراني في شعراء أهل البيت المجاهدين عنهم، آخذاً من شيخه الخليل الفراهيدي، ومن شعره في ذلك في «معالم العلماء»:

أهوى النبيّ محمداً و«وصيّه» وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل الولاء، وإنني بولائهم أرجو السلامة والنجا في الآخرة
وأرى محبة من يقول بفضلهم سبباً يجير من السبيل الجائرة
أرجو بذاك رضا المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهور الساهرة

وذكره كذلك القاضي المرعشي في «طبقات الشيعة» والحرّ العاملي في «أمل الآمل» والأفندي في «رياض العلماء» والصدر الكاظمي في «تأسيس الشيعة» و«الشيعة وفنون الإسلام» والمحدث القمي في «الكنى والألقاب» و«هدية الأحباب»[1].

وزارة ابن مقلة للراضي، والشلمغاني:

كان الراضي حسن الهيئة متطيّباً كثيراً، مقرّباً لأهل العلم والأدب والمعرفة، وحسن المذاكرة معهم بأخبار الناس وأيّامهم[2] وكان أسمر أعين مسنون الوجه خفيف العارضين دحداحاً نحيفاً حسن الشعر محباً للأدب، فاستوزر محمد بن علي بن مقلة وولده علي بن محمد يخاطَبان بالوزارة وتخرج الكتب باسمهما[3].

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام: ١١٨، ١١٩، وهدية الأحباب: ٦٧.

(٢) مروج الذهب ٤: ٢٤٤.

(٣) التنبيه والإشراف: ٣٣٧.

ولما أظهر أبو القاسم بن روح لعن الشلمغاني وتبرّأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك واشتهر أمره، لم يمكنه التلبيس. وكأنّ ابن مقلة قصد تحقيق ذلك فعقد في داره مجلساً حافلاً جمع فيه رؤساء الشيعة، واستحضر معهم الشلمغاني، فكان كل منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعن الشلمغاني والبراءة منه! فقال: اجمعوا بيني وبينه حتى آخذ بيده ويأخذ بيدي! فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه فجميع ما قاله فيَّ حق! وكان ذلك في دار ابن مقلة، فرُقّي ذلك إلى الراضي، فأمر بالقبض عليه وقتله.

وكان يقول: إنّه لا يتهيّأ إظهار فضيلة للولي إلّا بطعن الضدّ فيه؛ لأنه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته! وإذن فهو أفضل من الوليّ! إذ لا يتهيّأ إظهار فضيلة إلّا به. وقال: كان قبل هذا العالم ست عوالم وسبع أوادم وهذا العالم السابع، وساقوا الضدّية من لدن آدم إلى موسى وفرعون، وعلي وأبي بكر، والحسن ومعاوية والحسين ويزيد و... وأن باطن «القائم» هو إبليس، فإنه قال: «لأقعدن» فدلّ على أنّه كان قائماً[1]!

ولمّا فشا شغبه وشاع أخذ يقول: أنا صاحب «الرجل» وقد أُمرت بإظهار العلم! وقد أظهرته ظاهراً و«باطناً»! وأنفذ إلى الشيخ النوبختي يقول له: باهلني! فأجابه الشيخ: أينا تقدم صاحبه فهو المخصوم[2]!

وقال لمحمد بن أحمد الكاتب الاسكافي: ما دخلت مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر، إلّا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه: لقد كنّا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف[3]!

---

(١) و(٢) كتاب الغيبة للطوسي: ٤٠٦، الحديث ٣٧٨.

(٣) كتاب الغيبة للطوسي: ٣٩١، الحديث ٣٦١.

وكان محمد بن عبد الله الحميري القمي قد كتب إلى الشيخ النوبختي القمي كتاباً فيه مسائل وأجاب عنها، ثمّ حكي له أنّ الشلمغاني قال: أنا أجبت بهذه الأجوبة! فأعاد الحميري الكتاب المدرج المطوي إلى الشيخ النوبختي وكتب معه يسأل عنها: هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات الشلمغاني، فقد حكي عنه أنه قال بأنه هو أجاب عنها! فكتب النوبختي إليه: قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته، فجميعه جوابنا، ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري لعنه الله في حرف منه[1] والعزاقري هو الشلمغاني نسبة إلى جده وكان يقال له أيضاً: ابن أبي العزاقر.

وذكر ابن الوردي ما يبدو منه أنّ الشلمغاني كان يطلبه الوزير ابن مقلة فكان مستتراً، ثمّ ظهر في شهر شوال عام (٣٢٢هـ) فأمسكه ابن مُقلة، وكان أصحابه يقولون بأُلوهيته على التناسخ والحلول! وتبعه على ذلك أبو علي وأبو جعفر ابنا بسطام وأحمد بن محمد بن عبدوس وإبراهيم بن أبي عون والحسين بن القاسم بن عبيد الله وزير المقتدر، وأحضره الوزير ابن مقلة ومعه ابن أبي عون وابن عبدوس، وأمروهما بصفع الشلمغاني فامتنعا فأُكرها فصفعه ابن عبدوس، وأما ابن أبي عون فإنّه أخذ برأس الشلمغاني وقبّل لحيته وهو يقول له: إلهي وسيدي ورازقي! فقالوا للشلمغاني: أما قلت إنك لا تدّعي الأُلوهية! قال: ما عليَّ من قول ابن أبي عون عنّي مثل هذا؟! وأنكر مذهبه، فصُرفا.

ثمّ أُحضر بمحضر الفقهاء مراراً، وآخر الأمر أفتى الفقهاء بحلّ دمه، فصُلب هو وابن أبي عون في ذي القعدة من (٣٢٢هـ) ثمّ أُحرقا. وكانوا تاركَي الصلاة ويقولون بإباحة المحارم[2]!

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٧٣، الحديث ٢٤٥.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٧.

وقال السيوطي : في سنة (٣٢٢هـ) ظهر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وشاع عنه أنه يدّعي الأُلوهية وإحياء الموتى، فأُخذ مع جماعة من أصحابه وقُتلوا وصلبوا[١] وهكذا تحقق ما قاله له الشيخ النوبختي : أينا تقدّم صاحبه فهو المخصوم!

حركة القرامطة عام (٣٢٣هـ):

قال المسعودي : من الحوادث العظيمة في أيام خلافة الراضي بالله : مسير سليمان القرمطي الأحسائي من الأحساء لقطع الطرق على الحجّاج ذهاباً لموسم الحج لسنة (٣٢٣هـ)، خرج في شوال في تسعمئة فارس ومثلهم رجّالة! فلمّا وصل بعد ثلاثة أيام إلى الجابرية قسم عسكره نصفين، نصفه معه والآخر عليهم الحسين بن سنبر ومعاذ الكلابي قاصدين طريق مكة، وقصد القرمطي نفسه القادسية.

فسار ابن سنبر حتى وقع بناحية زبالة والعقبة في منتصف ذي القعدة، فوقع على القوافل الخارزمية وغيرها. فانهزم كثير منهم راجعين يريدون العُذيب وقد سبقهم القرمطي إليها، واستقبل فيها قافلة الشمسية فاستولى عليها بأسرها، ثمّ سار القرمطي إلى خفّان وهو يريد القادسية، ورجع مستقبلاً للمنهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقيهم بالعُذيب. فأمّا قافلة قرّة فقد بذل عن قافلته مالاً فلم يعرض له، وأوقع بالباقين فقتل جمعاً وأسر آخرين، وصار إليه من الأمتعة والأموال ما لا يُحاط بمبلغه ولا يوقف على تحديده[٢]!

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٤٥٣، وراجع التنبيه والإشراف : ٣٤٣.

(٢) التنبيه والإشراف : ٣٣٧ و ٣٣٨.

وحركة الحنابلة عام (٣٢٣هـ):

وفي سنة (٣٢٣هـ) عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم، فصاروا يكبسون الدور من العامة والقواد فإن وجدوا نبيذاً أراقوه أو مغنيّة ضربوها وكسروا آلة غنائها، حتى شغبوا ببغداد.

فخرج توقيع الراضي ليُقرأ على الحنابلة وفيه: إنكم تارة تزعمون أنّ صورة وجوهكم السمجة القبيحة على مثال ربّ العالمين، وتذكرون له الكفّ والأصابع والرجلين والنعلين الذهب والشعر القطط! والنزول إلى الدنيا! فلعن الله شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات.

فأمير المؤمنين (الراضي بالله) يُقسم بالله إليّةً يلزمه الوفاء بها لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوجّ طريقكم هذه ليوسعنّكم ضرباً وتشديداً وتبديداً وقتلاً! وليستعملن السيف في رقابكم والنار في محالّكم ومنازلكم[1].

مقتل مرداويج بيد جنده:

قال ابن الوردي: في ليلة الميلاد(؟) من هذه السنة (٣٢٣هـ) أمر مرداويج وهو في إصفهان أن يجمع في خارجها حطب مثل التلال بل الجبال، وأمر بسماط عظيم يذبح له ألف رأس بقر ونحوه من الغنم، وأن يجمع أكثر من ألفي غراب ليعمل في أرجلها النفط! للاحتفال. فلمّا أصبح وأراد أن يدخل إلى إصفهان اجتمع حول خيمته جنده الأتراك وكثر صهيل خيولهم، فاغتاظ لذلك وأمر أن توضع سروجها على ظهور أصحابها فيدخلوا إصفهان كذا! ففُعل بهم ذلك فحنق الأتراك عليه. ورحل هو إلى إصفهان ودخل الحمام، فانتهز الأتراك تلك الفرصة

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ١٦٢، ١٦٣، ومثله في تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٨.

وهجموا عليه فقتلوه في الحمام[١] وكان يقول: أنا أمحق دولة العرب وأردّ دولة العجم فقيل إنه كان يريد بغداد[٢].

انتصار الناصر في الموصل:

كان المكتفي بالله قد ولّى أبا الهيجاء عبد الله الحمداني على الموصل وديار ربيعة، واستنصره القاهر بالله فاستناب ابنه الحسن بن عبد الله ولقّبه ناصر الدولة وارتحل هو بجنده إلى بغداد فقُتل بها في المدافعة عن القاهر، فاستمر ناصر الدولة بها إلى سنة (٣٢٣هـ) حيث تقدم عمّه أبو العلاء بن حمدان إلى الراضي وأرضاه بمال يحمله إليه ويضمن ما بيد ابن أخيه من ديوان الخليفة، وسار أبو العلاء إلى الموصل وقاتل ابن أخيه ناصر الدولة فقُتل، فأرسل الخليفة عسكراً مع ابن مقلة لقتال ناصر الدولة، فهرب ناصر الدولة، وأقام ابن مقلة في الموصل مدة ثم عاد إلى بغداد، فعاد ناصر الدولة إلى الموصل وكتب إلى الراضي يسترضيه ويضمن له الموصل بمال يحمله إليه، فأجابه إلى ذلك، فأصبح أمير ربيعة والموصل[٣].

والأخشيد على مصر:

من سنة (٣١٦هـ) إلى سنة (٣١٨هـ) تولّى مدينة الرملة من قبل المقتدر: محمد بن طغج التركي الفرغاني المشتهر بالأخشيد، ثمّ كتب المقتدر إليه

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٥٣.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٨، ٢٥٩.

بولايته على دمشق فسار إليها وتولّاها ثمّ في عام (٣٢٣هـ) ولّاه الراضي على مصر مع الشام وعزل عنها أحمد بن كيغلغ، فتوجه الأخشيد إليها ودخلها في أوائل رمضان[١].

تغيير الوزارة إلى إمارة العسكر:

كان حمل الراضي للأخشيد الفرغاني على ضمّ حكم مصر إلى حكم الشام، آخر تصرّف للخليفة، وبعدها مُنع من ذلك بتملك محمد بن الرائق، وكان على البصرة وواسط وكانت عمدة أرزاق بغداد تحمل منهما إليها فمنعها وحتى قطع البريد، فضاقت أرزاق بغداد، واضطرّ الخليفة الراضي أن يسترضي ابن الرائق ويستقدمه إلى بغداد ويستميله ليقوم بالأُمور، فجاء وقلّده إمارة الأُمراء على الجيش والوزارة، فبطلت الوزارة[٢] وولّاه الخراج والدواوين في جميع البلاد، وأمر أن يُخطب له على جميع المنابر، فكان ابن رائق وكاتبه ينظران في كل الأُمور، وصارت تحمل الأموال إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون وإنما يطلقون للخليفة ما أرادوا[٣] ولم يبقَ للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم حتى فيها لابن رائق وليس للخليفة معه حكم.

وتغلّب العمال على الأطراف: فالبصرة لابن رائق، وخوزستان لابن البريدي، وفارس لابن بويه عماد الدولة، والري وإصفهان والجبل بين ابن بويه ركن الدولة ووشمگير أخي مرداويج يتنازعان عليها، وكرمان لابن إلياس،

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٥٩.

(٣) تاريخ مختصر الدول : ١٦٣.

وديار مُضر وربيعة وديار بكر والموصل لبني حمدان، والشام ومصر لابن الأخشيد، وجرجان وطبرستان للديلم، وخراسان وماوراء النهر للنصر بن أحمد الساماني، والبحرين واليمامة للقرمطي، والمغرب وأفريقية للقائم العلوي الفاطمي الاسماعيلي، والأندلس لعبد الرحمن الناصر الأُموي[1].

وقال السيوطي: في سنة (٣٢٤هـ) تغلّب أمير واسط ونواحيها (إلى البصرة) محمد بن الرائق على حكم البلاد حتى أبطل أمر الوزارة والدواوين وتولّاها هو وكتّابه، فصارت الأموال تحمل إليه، وبقي للراضي من الخلافة الصورة والاسم.. ولم يبقَ بيده غير بغداد والسواد مع يد ابن الرائق عليهما!

قال: ولذا قال أمير الأندلس عبد الرحمن الأُموي المرواني: فأنا أولى الناس بالخلافة وتسمّى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله! فصار المسمّون بها ثلاثة: هو والراضي والمهدي الفاطمي بالقيروان[2].

آخر دلالة من النوبختي قبل أجله:

سيأتي أنّ وفاة الشيخ النوبختي كان في شهر شعبان سنة (٣٢٦هـ)، فلموسم الحج لعام (٣٢٥هـ) كان محمد بن الحسن الدورقي الصيرفي مقيماً بأرض بلخ، وأراد الخروج إلى الحج، وكان بأرض بلخ بعض الشيعة وعرفوا الدورقي الصيرفي بالتشيع، فدفعوا إليه أموالاً من ذهب وفضة ليسلّمها في طريقه إلى الشيخ النوبختي، قال: فجعلت ما كان معي من الذهب سبائك، فلمّا نزلت سرخْس أقمت خيمتي على الرمال، وجعلت أُميّز سبائك الذهب عمّا معي من الفضة، ولمّا بلغت

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥٤.

إلى همَدان قمت مرة أُخرى بتمييز تلك السبائك والفضة لاهتمامي بحفظها، فرأيت أني قد فقدت منها سبيكة بوزن مئة وثلاثة مثاقيل، فسبكت من مالي مكانها سبيكة بوزنها وجعلتها معها.

فلمّا وردت بغداد قصدت الشيخ النوبختي وسلّمتها إليه، فمدّ يديه إلى السبيكة من مالي ورمى بها إليّ وقال لي: سبيكتنا ضيّعتها في سرخس حيث ضربت خيمتك في الرمل، فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت سابقاً، واطلب هناك السبيكة تحت الرمل فإنك ستجدها؛ وستعود إلى هاهنا فلا تراني!

قال الدورقي الصيرفي، فلمّا انصرفت رجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت نزلت فوجدت السبيكة تحت الرمال وقد نبت عليها الحشيش، فأخذتها وانصرفت بها إلى بلدي بلخ.

وتوفى الشيخ النوبختي في شعبان سنة (٣٢٦هـ) وفي خبر الدورقي الصيرفي ما يدلّ على أنّ النوبختي قد أشار عليه بالعودة إلى بغداد وتسليم السبيكة بعده إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري الصيمري البصري، قال: فلمّا كان موسم الحج القادم عام (٣٢٦هـ) حججت فدخلت بغداد، فكان الشيخ النوبختي قد مضى رحمه الله، فلقيت الشيخ السمري فسلّمت السبيكة إليه[1].

روى الصدوق ذلك ثمّ روى نحوه عن الحسين بن علي القمي البغدادي البخاري أنه كان ببخارى واستلم من ابن جاوشير عشرة سبائك ذهب للشيخ النوبختي فلمّا دخل بغداد وجدها قد نقصت واحدة فاشترى مكانها سبيكة بوزنها وجعلها معها، فعرفها النوبختي وقال: خذها وقد وصلت التي ضيّعتها في آمل طبرستان[2].

---

(١) كمال الدين: ٥١٦، الحديث ٤٥.

(٢) كمال الدين: ٥١٨، الحديث ٤٧.

وتوفى الشيخ حسين بن روح النوبختي في شعبان سنة (٣٢٦هـ) ودفن في مقبرة النوبختية في درب علي بن أحمد النوبختي النافذ من ناحية إلى قنطرة الشوك ومن ناحية أُخرى إلى التلّ[١] وكأن تعيين النوبختي للشيخ علي بن محمد السمُري الصيمري والدلائل التي ظهرت منه كانت بحيث لم يُنقل أي خلاف فيه.

معتقل ابن مقلة ومقتله:

في سنة (٣٢٦هـ) كتب أبو علي ابن مقلة الوزير السابق إلى الراضي يشير عليه بإقامة القائد بَجكَم التركي مكان ابن رائق والقبض على ابن رائق وأصحابه، ويضمن أنه يستخرج له منهم ثلاثة آلاف ملايين الدنانير، فعرض الراضي خطّ ابن مقلة على ابن الرائق، فاعتقلوه، ثمّ أمر ابن الرائق بقطع يده فقُطعت، ثمّ عولج فبرأ، فكان يشدّ القلم على يده المقطوعة ويكتب إلى الراضي ويهدّد ابن رائق حتّى أمر الراضي بقطع لسانه، وحُبس وضيّق عليه بلا من يخدمه، فأصابه شقاء شديد حتى مات[٢].

وفي سنة (٣٢٦هـ) تمرّد ابن البريدي في خَوزستان، فأرسل ابن رائق بَجَكَم بعسكره لقتال ابن البريدي، فقاتلوه فانهزم إلى عماد الدولة في فارس وطمّعه في العراق، فأرسل عماد الدولة أخاه معزّ الدولة بن بويه إلى بلاد الأهواز فاستولى عليها[٣].

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي : ٣٨٦ و ٣٨٧، الحديث ٣٥٠.

(٢) تاريخ مختصر الدول : ١٦٣، وانظر تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٦٠، ٢٦١، قال : والصحيح أن صاحب الخطّ المليح ليس هو بل أخوه الحسن بن علي بن مقلة.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٦٠.

فعاد بجكم إلى بغداد ثائراً على ابن رائق فاختفى، ودخل على الراضي فأكرمه وقلّده إمارة بغداد وخراسان ولقّبه بأمير الأُمراء[١].

وكان ناصر الدولة الحمداني قد تمرّد بالموصل، فخرج بجكم إليه وأخرج معه الراضي، فحمل ناصر الدولة أمواله وهرب منها، ثمّ تصالحوا فعاد ناصر الدولة إلى الموصل، وعاد الراضي وبجكم إلى بغداد، وقبل وصولهما ظهر ابن رائق بجماعته ببغداد، فولّاه الراضي العواصم والرّها وحرّان وقنّسرين، فاستولى عليها[٢].

ولموسم الحج لسنة (٣٢٧هـ) أعلن القرامطة أنهم يأخذون من كل جمل من جمال الحجّاج خمسة دنانير ويطلقون طريقهم للحجّ، فحجّ الناس، فكان أول تعشير للحجّاج.

فلمّا عاد حجّاج بغداد لسنة (٣٢٨هـ) فاضت بها دجلة فيضاناً عظيماً بلغ ارتفاعه (١٩) ذراعاً، فانهدم به كثير من الدور وغرق به كثير من البهائم والناس[٣].

وفاة الشيخ ابن بابويه:

في سنة (٣٢٨هـ) اعتل الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الصدوق بقم، وبلغ خبر علّته إلى بغداد إلى الشيخ علي بن محمد السمُري الصيمري البصري البغدادي، فكان يسأل كل قريب عنه.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥٥.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٦٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥٥.

فروى الطوسي عن جماعة عن الحسين بن علي بن بابويه أخ الصدوق عن جماعة من أهل قم كانوا قد رحلوا حينئذٍ إلى بغداد، قالوا: كان الشيخ أبو الحسن السمُري يسأل عنه فنقول له: قد ورد الكتاب باستقلاله وتحسّنه. حتى سأَلنا يوماً فذكرنا له مثل ذلك فقال: آجركم الله في علي بن الحسين فقد قُبض في هذه الساعة!

قالوا: وبعد سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر بوفاته في تلك الساعة[١].

وروى الصدوق بسنده عن أحمد بن إبراهيم بن مخلّد، قال: حضرت في بغداد عند الشيخ علي بن محمد السمُري فقال مبتدئاً: رحم الله علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي! فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم.

وبعد ذلك مضى أبو الحسن السمُري في النصف من شعبان سنة (٣٢٨هـ)[٢].

ورواه عنه الطوسي إلّا أنّه قال: سنة (٣٢٩هـ)[٣] ونقله عنه الشيخ التقي الشوشتري وقال: إلّا أنّ الصدوق أعرف وأضبط، فنقله مقدّم[٤].

مصير آخر سفير:

كان خاتمة السفراء الأربعة الخواص لصاحب الأمر «عجل الله فرجه» هو الشيخ السمُري الآنف الذكر، وقبل وفاته حضر الشيعة لديه وسألوه عن

---

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٦، الحديث ٣٦٦ و ٣٩٤، الحديث ٣٦٤.

(٢) كمال الدين: ٥٠٣، الحديث ٣٢.

(٣) الغيبة للطوسي: ٣٩٤، الحديث ٣٦٤.

(٤) قاموس الرجال ٧: ٤٣٨ برقم ٥١١٢.

مَن يقوم مقامه ومَن الموكَّل بعده؟ فذكر لهم: أنه لم يؤمر بأن يوصي في هذا الشأن إلى أحد بعده[١].

ثمّ اعتلّ فحضروه قبل وفاته بأُسبوع تقريباً في اليوم السابع من شهر شعبان سنة (٣٢٨هـ) فأخرج لهم توقيعاً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام! فاجمع أمرك. ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت «الغيبة التامة».

فلا ظهور إلّا بعد إذن الله «تعالى ذكره» وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً!

وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر! ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

أخرجه الصدوق عن الحسن بن أحمد المكتّب قال: نسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عُدنا إليه وإذا هو يجود بنفسه، فقال له بعض من لم يحضره قبل هذا: مَن وصيّك بعدك؟ قال: لله أمر هو بالغه. فكان هذا آخر كلام سُمع منه[٢] ثمّ مضى رحمه الله في النصف من شعبان سنة (٣٢٨هـ)[٣].

ذلك ما أخرجه الصدوق، ورواه عنه الطوسي إلّا أنّه قال: سنة (٣٢٩هـ)[٤] ونقله عنه الشيخ التقي الشوشتري وقال: إلّا أنّ الصدوق أعرف منه وأضبط، فنقْله مقدَّم[٥] كما تقدم.

---

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٤، الحديث ٣٦٣.

(٢) كمال الدين: ٥١٦، الحديث ٤٤ باب التوقيعات.

(٣) كمال الدين: ٥٠٣، الحديث ٣٢ باب التوقيعات.

(٤) الغيبة للطوسي: ٣٩٤، الحديث ٣٦٤.

(٥) قاموس الرجال ٧: ٤٣٨ برقم ٥١١٢.

وصلّوا عليه وشيعوه ودفنوه على شاطئ نهر أبي عتّاب في ربع باب المحوّل من أبواب بغداد، في شارع الخُلنجي[١].

وبعده كانت نهاية خلافة الراضي العباسي وبداية أَخيه المتقي، ثمّ وفاة الشيخ الكليني في (٣٢٩هـ) فنختم كتابنا بنهاية الكلام عن الكليني.

نهاية الراضي، وبداية المتقي:

في العاشر من ربيع الأول عام (٣٢٩هـ) توفي الراضي بالله ابن المقتدر ببغداد حتف أنفه[٢] وله (٣٢) سنة[٣] بمرض الاستسقاء[٤].

وبويع أخوه إبراهيم بن المقتدر ولقّب بالمتقي بالله[٥] من أُم ولد تسمّى خَلوب، فكان أشهل العين أشقر الشعر أبيض صافي اللون[٦] وكانت بيعته في العشرين من ربيع الأول، حيث كان الحكم مع بَجكَم التركي وكان في واسط.

وكان له كاتب يدعى أبا عبد الله أحمد بن علي الكوفي، فأرسله بجكم إلى بغداد بكتاب معه يأمره فيه أن يجتمع مع سليمان بن الحسن وزير الراضي ويجمع معه كل من تقلد الوزارة قبله، وأصحاب الدواوين والعباسيين والعلويين! والقضاة

---

(١) الغيبة للطوسي : ٣٩٦، الحديث ٣٦٧.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢٣١.

(٣) التنبيه والإشراف : ٣٣٧.

(٤) تاريخ مختصر الدول : ١٦٣، وتاريخ ابن الوردي ١ : ٢٦٣.

(٥) مروج الذهب ٤ : ٢٤٧.

(٦) التنبيه والإشراف : ٣٤٤.

ووجوه البلد، فيشاورهم الكوفي في الخليفة، فاتّفقوا على بيعة إبراهيم بن جعفر المقتدر فبايعوه. ولقّبوه المتقي بالله، فأَرسل اللواء والخلع إلى بجكم، وأقرّ سليمانَ بن الحسن وزير الراضي على اسم الوزارة، والتدبير في الواقع للكوفي كاتب بجكم التركي[1].

وكان على الريّ يومئذ وشمگير بن زياد أخو مرداويج، واستولى القائد ماكان بن كالي على جرجان وكانت جرجان من قبل للسامانية بخراسان، فقصد قائد منهم يدعى أبا علي بن مظفر بن محتاج إلى ماكان على جرجان فهزم ماكان، ثمّ سار ابن المحتاج إلى وشمگير على الريّ فاستمد وشمگير له بماكان فخرج بجمعه إلى الريّ لنجدة وشمگير على ابن المحتاج الساماني، وقدم ابن المحتاج فقاتلاه فقُتل ماكان وهرب وشمگير إلى طبرستان، واستولى ابن المحتاج الساماني على الري[2].

ولعلّه لعلّة هذه الاضطرابات بالريّ كان الشيخ الكليني الرازي هجرها إلى بغداد، بدون تاريخ معيّن معلوم، فتوفى في بغداد كما يلي.

وفاة الشيخ الكليني الرازي:

سبق الشيخ الطوسي في كتابه «الفهرست» بترجمة الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي قال: صنّف كتابه «الكافي» في عشرين سنة، وهو مشتمل على ثلاثين كتاباً. ثمّ عدّها وذكر طريقين إليه، ومنها:

شيخه أبو عبد الله أحمد بن عُبدون. وقال: توفي في سنة (٣٢٨هـ) ببغداد،

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ١٦٤، وتاريخ ابن الوردي ١: ٢٦٥.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٦٤.

ودُفن في مقبرة باب الكوفة من بغداد، وقال ابن عُبدون: كنت رأيت قبره في صَراه الطائي وعليه لوح فيه اسمه واسم أبيه[١].

واطّلع على هذا الشيخ النجاشي الأسدي الكوفي البغدادي، فكتب «فهرستاً» آخر، وترجم فيه للكليني فأتى فيها بما ذكره الطوسي وقال في تاريخ وفاته: مات أبو جعفر الكليني ﷺ ببغداد في سنة (٣٢٩هـ) وزاد: صلّى عليه أبو قيراط محمد بن جعفر الحسني، ودُفن بباب الكوفة، ونقل قول شيخه أحمد بن عبدون وأكمله بقوله: وقد دُرس[٢]!

فعاد الشيخ الطوسي في كتابه «الرجال» لذكر الكليني في من لم يرو عن الأئمة مباشرة، إلى التاريخ الذي ذكره النجاشي: (٣٢٩هـ) وقال: في شهر شعبان. وزاد في وصفه: أنه كان عالماً بالأخبار جليل القدر أعور[٣].

وفي ضبط لفظ «صراه» صرّحوا أنها تختم بالهاء وليس التاء القصيرة، وهو فرع من نهر عيسى بن علي العباسي من شطّ دجلة عند بلدة المحوّل على بعد فرسخ (٥كم) من بغداد بعد باب الكوفة منها في جانبها الغربيّ، عند منطقة الجعيفر اليوم في الكرخ كما عن مصطفى جواد. وليس بها اليوم قبر للشيخ الكليني.

وإنما القبر الوحيد المنسوب للشيخ الكليني ببغداد على شاطئ دجلة عند الجسر العتيق المجدّد باسم جسر المأمون، على يسار القادم من الرصافة في شرق دجلة إلى الكرخ بغربها، في أول السوق بجنب المدرسة المستنصرية. وأقدم ما بأيدينا عمّن أشار إليه هنا الشيخ المجلسي الأول (١٠٧٠هـ) قال:

---

(١) الفهرست: ٣٢٦ برقم ٧٠٩. وصراه معرّب: سه راه: مثلّث الطريق.

(٢) رجال النجاشي: ٣٧٧ برقم ١٠٢٦.

(٣) رجال الطوسي: ٤٩٥ برقم ٢٧.

سمعت من جماعة من أصحابنا ببغداد أنّ قبره يُعرف بقبر شيخ المشايخ! لدى الخاصة والعامة! في «مولوي خانه» وزرته هناك[١] نقله المرحوم محفوظ في مقدمته للكافي ثمّ نقل عن هامش الفهرست للطوسي عن الأفندي (١١٣١ هـ) قال: قبره ببغداد، ولكن ليس في المكان الذي يُعرف الآن[٢]!

و«مولوي خانه» في ما مرّ عن المجلسي الأول، جاء في «روضات الجنات» بعنوان: تكية المولوية[٣]. وفي «مراقد المعارف» بعنوان: جامع الصفوية الذي عُرف بجامع الآصفية! ثمّ بتكية المولوية[٤].

فأرى أنّ الصفوية لمّا دخلوا بغداد بعد الألف الهجرية، وبنوا هذا الجامع هناك، وجدوا في أرضه قبراً منسوباً إلى الشيخ الكليني، فشهروا نسبته إليه «إحياءً لذكره، وإخلاداً لاسمه، واستبقاءً له» كما ذكره الدكتور محفوظ[٥].

وإنما دُفن بباب الكوفة لأنه كان يسكن في درب السلسلة من محلة باب الكوفة ببغداد، بعد أن كان في وقته شيخ أصحابنا بالريّ ووجههم[٦] وكانت له رحلات في طلب أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام إلى قم وقزوين ونيشابور وتنيس وهمدان، وبغداد، والكوفة، والحجاز، وصور، وسورا، ثمّ عاد إلى بغداد فسكن بها. ومرّ أنه كتب كتابه الكافي في عشرين عاماً، ولكن بلا تاريخ

---

(١) شرح مشيخة كتاب من لا يحضره الفقيه، وعنه في مقدمة أُصول الكافي ١ : ٤١.

(٢) مقدمة أُصول الكافي ١ : ٤١، وليس في رياض العلماء المنشور!

(٣) روضات الجنات ٦ : ١١٧.

(٤) مراقد المعارف لحرز الدين ٢ : ٢١٤ زاره عام (١٣٠٥ هـ).

(٥) مقدمة أُصول الكافي ١ : ٤٢، وراجع العميدي في الشيخ الكليني وكتابه الكافي : ٨٢ ـ ٨٦، ودفاع عن الكافي ١ : ٣٥ ـ ٤٢.

(٦) رجال النجاشي : ٣٧٧ برقم ١٠٢٦.

للبداية والنهاية، ولعلّها كانت منذ أوائل ما بعد الثلاثمئة إلى (٣٢٠هـ) أي قبل وفاته بنحو عشر سنين تقريباً، ولا يُعلم كم منها كان في بغداد، إلّا أنّ عمدة من تلقّى عنه الكافي بغداديون، وممّن اختصّ به فيها فكان يبيّض له كتابه الكافي هو محمد بن إبراهيم النعماني[١].

كما لم يُعلم تاريخ مولده في قريته كُلين على بُعد خمسة كيلومترات من بلدة حسن آباد على طريق الريّ إلى قم، والمظنون مولده في أوائل عهد إمامة العسكري عليه السلام أو أوائل ما بعد مولد المهديّ عجل الله فرجه «فكانت حياته في زمن وكلاء المهدي عليه السلام : عثمان بن سعيد العَمري، وابنه محمد، وأبي القاسم حسين بن روح، وعليّ بن محمد السمري، وتوفّى قبله»[٢] ولم يعلم منه أي اتصال وارتباط بهم، ممّا يدل على شدة التقية يومئذ، حتى أنّ الصلاة عليه صلّاها السيّد أبو قيراط الحسني كما مرّ خبره.

واستند ابن الأثير (٦٣٠هـ) في تاريخ وفاته على «الفهرست» للطوسي فذكر تاريخه (٣٢٨هـ)[٣] فتبعه أبو الفداء الأيوبي (٧٣٢هـ) في تاريخه «المختصر في أخبار البشر» وعنه ابن الوردي (٧٤٩هـ) في تتمّته له قال في سنة (٣٢٨هـ) : فيها توفي محمد الكليني من أئمة الإمامية[٤] وقد مرّ أنّ الصحيح (٣٢٩هـ). وقد مرّ خبر التوقيع الشريف الدال على المراجعة في الحوادث الواقعة إلى فقهاء رواة أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

---

(١) انظر مرآة العقول ١ : ٣٩٦.

(٢) كشف المحجة : ١٥٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٤ : ٣٦٤ ولم يعلم بعدوله في رجاله.

(٤) المعروف بتاريخ ابن الوردي ١ : ٢٦٢.

وبخاتمة حياة خاتم السفراء الخواص لصاحب الأمر «عجل الله فرجه» ومع بداية سنة (٣٣٠هـ) غلت أسعار السلع في العراق عامة وفي بغداد خاصة حتى أنه بلغ كُرّ الحنطة ثلاثمئة وستة عشر ديناراً، وتدرّج القحط في الاشتداد حتى وصل إلى حدّ أكل الميتة[1]!

وبتمام الكلام في نهاية حياة الشيخ الكليني انتهى مصير هذا السفر الخطير: موسوعة التاريخ الإسلامي. ومن الله التوفيق وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، في مساء الأربعاء الثالث عشر من شهر ربيع المولود، لعام الثلاثين بعد الأربعمئة والألف من الهجرة النبوية القمرية، الموافق لأواخر سنة ١٣٨٧ هجرية شمسية، على هاجرها ألف سلام وصلاة وتحية.

الحوزة العلمية بقم المقدسة

محمد هادي اليوسفي الغروي

١٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ. ق = ١٣٨٧ش

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٥٧.

عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

أوائل عهد العسكري عليه السلام ٤٣٥
تأكّد الوكيل من خطّ الإمام عليه السلام ٤٣٦
بقايا أحداث عام (٢٥٤هـ) ٤٣٧
المصريون وأحمد بن طولون ٤٣٨
أمر يعقوب بن الليث الصفّار ٤٣٩
موت الجاحظ البصري ٤٤٠
ابن وصيف يُذلّ المعتزّ! ٤٤٠
مصير قبيحة الرومية أُمّ المعتزّ ٤٤٦
سوابق قيام صاحب الزنج ٤٤٧
بعض سيرة المهتدي ٤٤٨
ابن وصيف والمهتدي والعسكري عليه السلام ٤٥٠
غضب المهتدي وآخر أمره ٤٥٢
سيف المصري والعسكري عليه السلام ٤٥٣
شغب يؤدي إلى قتل المهتدي ٤٥٤
المهتدي وخبر عن علي عليه السلام ٤٥٨
أيام أحمد المعتمد العباسي ٤٥٩
المعتمِد يسأل الإمام الاستسقاء ٤٦١
مولود الموعود عليه السلام ٤٦٣
خبر حكيمة بكيفية الولادة ٤٦٤

فهرس موضوعات الكتاب ٦٣٣
أحداث عام (٢٥٧هـ)..... ٤٦٩
وعن صاحب الزنج بالبصرة ٤٧١
العسكري عليه السلام في مشايعة الموفّق..... ٤٧٢
العسكري عليه السلام والطالبيون في سجن المعتمد ٤٧٣
أحداث عامي (٢٥٨هـ) و(٢٥٩هـ)..... ٤٧٤
الحُجة والجدّة إلى الحج ٤٧٥
الوزير ابن خاقان والعسكري عليه السلام ٤٧٦
ترحّم الإمام على ابن شاذان..... ٤٧٧
أيام مرض الإمام عليه السلام..... ٤٨٢
خبر أبي الأديان البصري ٤٨٢
صبيحة وفاة العسكري عليه السلام..... ٤٨٣
إجراءات ما بعد الوفاة ٤٨٦
وفود الأموال من قم والجبال ٤٩٠
هل كنّ الجواري عند العَمري؟..... ٤٩٣

عهد الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى

بقي المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بسامرّاء ٤٩٧
الأسدي العَمري الأب والابن..... ٥٠٤
الشيخ محمد الأسدي العَمري..... ٥١١
حوادث الخمسين عاماً..... ٥١٣

سوابق الصفار، وغلبته بطبرستان ٥١٤
هزيمة المعتمد لعسكر الصفّار ٥١٦
وحرب الروم والصين عام (٢٦٤هـ) ٥١٧
ابن طولون في الشام ٥١٨
عاقبة يعقوب، وطاعة عمرو ٥١٨
مصير صاحب الزنج ٥١٩
مصير علوي في حكم ابن طولون ٥٢١
أول شأن المهدي الإسماعيلي؛ والقرمطي؟ ٥٢٢
وفيات أصحاب تاريخ وسنن ٥٢٣
آخر أمر الموفّق مع المعتمد وبدء المعتضِد ٥٢٤
خلافة المعتضِد ٥٢٦
ولم يتساهل مع ابن سهل ٥٢٧
ابن أبي دُلف لرافع بن الليث ٥٢٨
زواج المعتضِد بقطر الندى ٥٢٩
النوروز المعتضِدي رفقاً بأهل الخراج ٥٣١
حمْدان جدّ الحمْدانيين ٥٣٢
وأصبح الصفّار من الأنصار ٥٣٣
وانفصلت مصر ثمّ اتصلت ٥٣٤
وعقاب، وشغب ببغداد ٥٣٥
الشيعة في حدود (٢٨١هـ) ٥٣٥
الأسرى المسلمون والروم ٥٣٦

قتل الشاعر ابن الرومي..... ٥٣٧
كتاب المعتضد بشأن الأُمويين ٥٣٩
وحاولوا القبض على الوكلاء..... ٥٤٧
غارة بني طيِّئ على الحجّاج..... ٥٤٨
ومصير ابن الشيخ بآمد..... ٥٤٩
تعاظم أمر القرامطة..... ٥٥٠
مقتل العلوي في جرجان ٥٥٢
آخر أمر المعتضد ٥٥٣
خلافة علي المكتفي بالله..... ٥٥٤
شؤم القرامطة بالشام..... ٥٥٦
وفي بداية خلافة المكتفي..... ٥٥٩
انتقام الروم، وغدرهم، والأتراك..... ٥٦٠
موت المكتفي وخلافة المقتدر ٥٦٠
اتّهام الحلّاج بالحوادث ٥٦٢
ظهور المهدي الفاطمي، وأخبار أُخر..... ٥٦٦
الجرّاح والنوبختي والعقيقي ٥٦٧
مناوشات الروم والمسلمين ٥٦٨
دفاع العلويين عن قبر عليعليه السلام ٥٦٩
بداية الخلافة الفاطمية..... ٥٦٩
ظهور الأُطروش العلوي..... ٥٧٠
دخول النسأي إلى الشام وقتله..... ٥٧١

وخروج ابن حمدان بالعصيان ٥٧٢
نهاية نيابة النائب الثاني ٥٧٢
بداية نيابة النائب الثالث ٥٧٥
مولد الصدوق بدعاء الحجّة (عجل الله تعالى فرجه) ٥٧٦
تبادل الأسرى والتهدئة مع الروم ٥٧٨
ثمّ وقعت الفتنة ببغداد ٥٧٩
قتل الحسين الحلّاج ٥٨٠
قتل الطبري بفعل الحنابلة ٥٨١
الشيخ الشلمغاني قبل شغبه ٥٨٢
توقيع النوبختي بلعن الشلمغاني ٥٨٥
حركات القرامطة وما رافقها ٥٨٧
جرائم القرامطة في مكة ٥٩١
وفاة ابن زكريا الرازي ٥٩٣
ضعف المقتدر واقتدار القاهر ٥٩٤
بداية خلافة القاهر ٥٩٥
انقلاب الأصحاب على القاهر ٥٩٦
انتقام ابن مقلة من القاهر المنتقم ٥٩٨
أمر القاهر باختبار الأطبّاء ٦٠٠
بداية دولة آل بويه الديالمة ٦٠١
وفاة ابن دُريد اللغوي ٦٠٢
وزارة ابن مقلة للراضي، والشلمغاني ٦٠٣

فهرس موضوعات الكتاب ٦٣٧
حركة القرامطة عام (٣٢٣هـ)..... ٦٠٦
وحركة الحنابلة عام (٣٢٣هـ)..... ٦٠٧
مقتل مرداويج بيد جنده ٦٠٧
انتصار الناصر في الموصل..... ٦٠٨
والأخشيد على مصر ٦٠٨
تغيير الوزارة إلى إمارة العسكر..... ٦٠٩
آخر دلالة من النوبختي قبل أجله..... ٦١٠
معتقل ابن مقلة ومقتله..... ٦١٢
وفاة الشيخ ابن بابويه..... ٦١٣
مصير آخر سفير ٦١٤
نهاية الراضي، وبداية المتقي..... ٦١٦
وفاة الشيخ الكليني الرازي..... ٦١٧